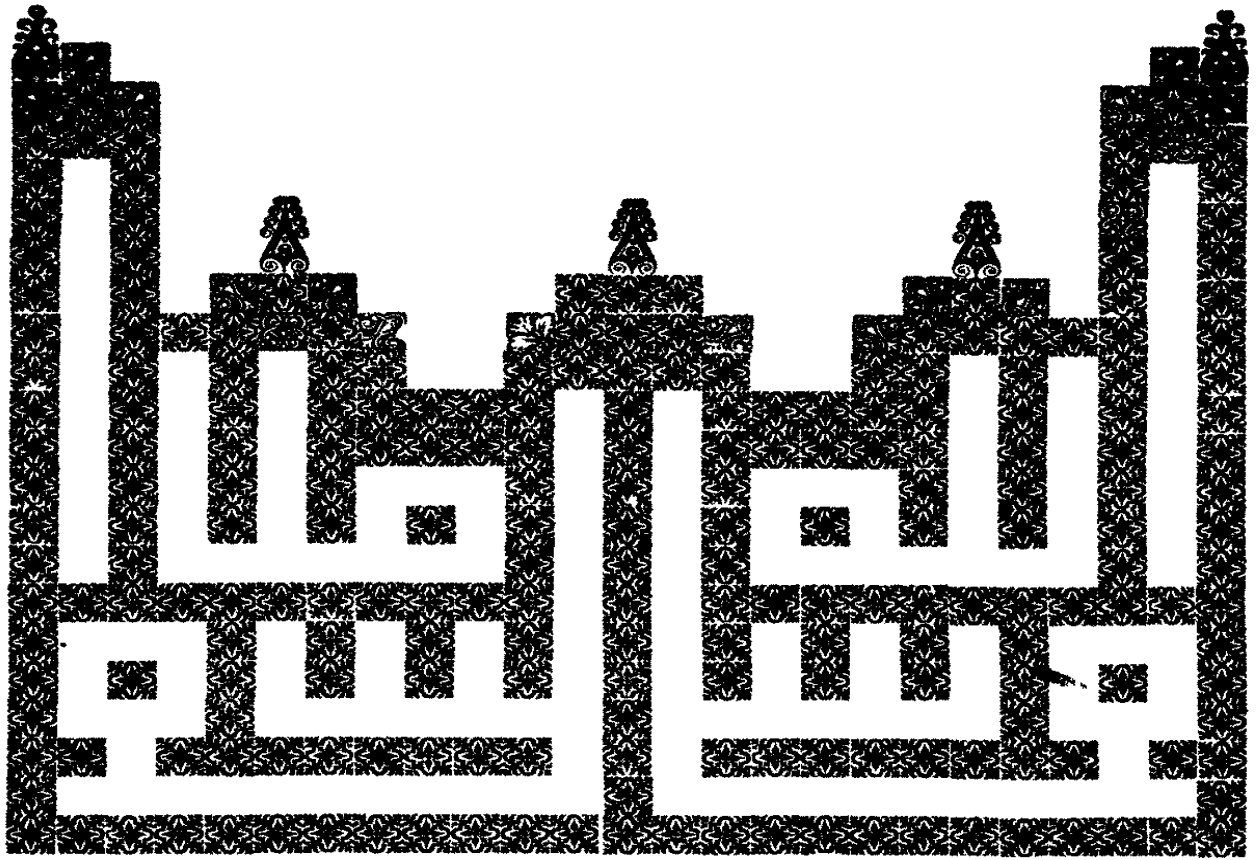


الجزء الثالث

من كتاب المختصر في أخبار البشر
وهو ذلك التاريخ الذي سرت بذكره الركبان
وأثنى عليه أرباب هذا الفن في كل زمان حتى كان
عمدتهم الذي يرجعون في إحقاق الحق اليه ويعولون
في مهمات منقولاتهم عليه تأليف الملك المؤيد
عماد الدين اسماعيل أبي الفدا صاحب حماة
المتوفى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة
هجريه رحمه الله
تعالى آمين

الطبعة الأولى

بالمطبعة الحسينية المصرية
على ثقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ذكر أخبار الاسماعيلية بالشام ﴾

وقتلهم وحصر الفرنج دمشق * كان قد سار رجل من الاسماعيلية يسمى بهرام بعد قتل خاله ابراهيم الاسترابادي ببغداد الى الشام ودخل دمشق ودعى الناس الى مذهبه واعانه وزير توري صاحب دمشق وهو طاهر بن سعد المزدغاني وسلم الى بهرام قلعة بانياس فعظم أمر بهرام بالشام وملك عدة حصون بالجبال وجري بين بهرام وبين أهل وادي التيم مقاتلة قتل فيها بهرام وقام مقامه بقلعة بانياس رجل منهم يسمى اسماعيل وأقام الوزير المزدغاني عوض بهرام بدمشق رجلا منهم يسمى أبا الوفا وعظم أمر أبي الوفا حتى صار الحكم له بدمشق فكتب أبو الوفا الفرنج على أن يسلم اليهم دمشق ويسلموا اليه عوضا مدينة صور واتفقوا على ذلك وأن يكون قدوم الفرنج الى دمشق يوم الجمعة ليجمع أبو الوفا أصحابه

على أبواب جامع دمشق وعلم تاج الملوك توري صاحب دمشق بذلك فاستدعى وزيره
المزدغانى وقتله وأمر بقتل الاسماعيلية الذين بدمشق فثار بهم أهل دمشق وقتلوا من
الاسماعيلية ستة آلاف نفر ووصل الفرنج الى الميعاد وحصروا دمشق فلم يظفروا بشئ
وكان البرد والشتاء شديدا فرحلوا عن دمشق شبه المنهزمين وخرج توري بمسكر دمشق
في أثرهم وقتلوا منهم عدة كثيرة وأما اسماعيل الباطنى الذى كان في قلعة بانياس فانه سلم
قلعة بانياس الى الفرنج وصار معهم

﴿ ذكر ملك عماد الدين زنكى حماة ﴾

(في هذه السنة) ملك عماد الدين زنكى حماة وسببه انه كان بحماة (سونج) ابن توري
ناثبا بها عن أبيه توري وكان قد سار عماد الدين زنكى من الموصل الى جهة الشام وعبر
الفرات وأرسل الى توري يستجده على الفرنج فأرسل توري الى ولده سونج بحماة
يأمره بالمسير الى عماد الدين زنكى فسار سونج اليه فقدر عماد الدين زنكى بسونج
وقبض عليه وارتكب أمراشنيما من الغدر ونهب خيامه والمسكر الذين كانوا صحبته واعتقل
سونج وجماعة من مقدمي عسكره بحلب ولما قبض عماد الدين زنكى على سونج سار من
وقته الى حماة وملكها لخلوها من الجند ثم رحل عنها الى حمص وحاصرها مدة وكان قد
غدر أيضاً بصاحبها قيرخان بن قراجا وقبض عليه وأحضره صحبته الى حمص ممسوكا
وأمره أن يأمر ابنه وعسكره بتسليم حمص فأمرهم قيرخان فلم يلتفتوا اليه فلما أيس زنكى
منها رحل عنها عائدا الى الموصل واستصحب سونج وأمراء دمشق معه واستمر بهم معتقلين
وكتب توري اليه وبذل له مالا في ابنه سونج فلم يتفق حال

ذكر غير ذلك

(وفي هذه السنة) ملك الفرنج حصن القدموس (وفيها) توفي أبو الفتح أسعد بن أبي
نصر الفقيه الشافعى مدرس النظامية وله طريقة مشهورة في الخلاف وكان له قبول عظيم
عند الخليفة والناس (وفيها) توفي الشريف حمزة بن هبة الله بن محمد العلوى الحسينى
اليسابورى سمع الحديث الكثير ورواه ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة وجمع بين
شرف النسب وشرف النفس والتقوى وكان زيدا المذهب (ثم دخلت سنة أربع
وعشرين وخمسمائة)

(ذكر فتح الأتاب)

فيها جمع عماد الدين زنكى عساكره وسار من الموصل الى الشام وقصد حصن الأتاب
لشدة ضرره على المسلمين فان أهله الفرنج كانوا يقاسمون أهل حلب على جميع أعمال

حلب الفريسة حتى على رحي بظاهر باب الجنان بينها وبين سور حلب عرض الطريق وأظن ان اسمها العربية وكان أهل حلب معهم في ضيق شديد فسار عماد الدين اليه ونأزله وجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وقصدوا عماد الدين فرحل عماد الدين عن الأتاب وسار الى ملتقاهم فالتقوا واقتلوا أشد قتال ونصر الله المسلمين واتهمز الفرنج ووقع كثير من فرسانهم في الأسر وكثر القتل فيهم ولما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الأتاب فأخذوه عنوة وقتلوا وأسروا كل من فيه وخرّب عماد الدين في ذلك الوقت حصن الأتاب المذكور وجعله دكا وبقي خرابا الى الآن

(ذكر وفاة الأمر بأحكام الله العلوي)

(في هذه السنة) في ذي القعدة قتل الأمر بأحكام الله العلوي أبو علي منصور بن المستعلي أحمد بن المستنصر مد العلوي صاحب مصر وكان قد خرج الى مستنزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما وعمره أربعا وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدي عبيد الله وهو العاشر من الخلفاء العلويين ولما قتل الأمر لم يكن له ولد فولى بعده ابن عمه الحافظ عبيد المجيد بن أبي القاسم بن المستنصر بالله ولم يبايع أولا بالخلافة بل كان على صورة نائب لا يتظار حمل ان ظهر للأمر ولما تولى الحافظ استوزر أبا علي أحمد بن الفضل بن بدر الجمالي فاستبد بالأمر وتغلب على الحافظ وحجر عليه ونقل أبو علي ما كان بالقصر من الأموال الى داره ولم يزل الأمر كذلك الى ان قتل أبو علي سنة ست وعشرين على ما سنده كره ان شاء الله تعالى

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) كان الرصد في دار السلطنة شرقي بغداد تولاه البديع الاسطرلابي ولم يتم ﴿ وفي هذه السنة ﴾ ملك السلطان مسعود قلعة الموت ﴿ وفيها ﴾ توفي ابراهيم ابن عثمان بن محمد الغزي عند قلعة بلخ ودفن فيها وهو من أهل غزة ومولده سنة احدى وأربعين وأربعمائة وهو من الشعراء المجيدين فن قصائده المشهورة قصيدته التي مدح فيها الترك التي أولها

امط عن الدرر الزهر اليواقينا واجمل لحج تلاقينا مواقينا

ومنها في قتيمة من جيوش الترك ماتركت للرعذ كراتهم صوتا ولا صيتا

قوم ادا قوبلوا كانوا ملائكة حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

ثم ترك الغزي قول الشعر وغسل كثيرا منه وقال

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب البواعث والدواعي مغلق

خلت البلاد فلا كريم برنجي منه النوال ولا ملبح يشق

ومن العجائب انه لا يشتهرى ويحان فيه مع الكساد ويسرق
 ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة فيها أسرديس بن صدقة وسبب ذلك
 مسيره من العراق الى صرخد لان صرخد كان صاحبها خصيا وكانت له سرية فتوفي
 الخصى في هذه السنة واستولت سرية على قلعة صرخد وما فيها وعلمت انه لا يتم لها ذلك
 ان لم تتصل برجل يحميها فأرسلت الى ديس بن صدقة تستدعيه للتزوج به وتسلم اليه صرخد
 وما فيها من مال وغيره فسار ديس من العراق اليها فضل به الادلاء بنواحي دمشق فنزل
 بناس من كلب كانوا شرقي القوطة فأخذوه وحملوه الى تاج الملوك توري بن طفتكين
 صاحب دمشق في شعبان من هذه السنة فحبسه توري وسمع عماد الدين زنكي بأسر
 ديس فأرسل الى توري يطلبه ويبدل له اطلاق ولده سونج ومن معه من الامراء الذين
 غدر بهم زنكي وقبضهم كما تقدم ذكره فأجاب توري الى ذلك وافرغ زنكي عن المذكورين
 وتسلم ديس فايقن ديس بالهلاك لانه كان كثير الوقعة في عماد الدين زنكي ففعل معه
 زنكي بخلاف ما كان يظن وأحسن الى ديس وحل اليه الاموال والسلاح والدواب
 وقدمه على نفسه ولم يزل ديس مع عماد الدين زنكي حتى انحدر معه الى العراق على
 ما سذكره ان شاء الله تعالى وسمع الخليفة المسترشد بقبض ديس فأرسل يطلبه مع سديد
 الدولة ابن الانباري وأبي بكر بن بشر الحزري فأمسكهما عماد الدين زنكي وسجن ابن
 الانباري ووقع منه في حق ابن بشر مكروه قوى ثم شفع المسترشد في ابن الانباري فأطلقه
 (ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود)

(في هذه السنة) في شوال توفي السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان
 ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق بهمدان فاقعد وزيره أبو القاسم النساباذي ابنه داود
 ابن محمود في السلطنة وجار اتابكه الاقنقر الاحمدي وكان عمر السلطان محمود لما توفي
 نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته السلطنة اثني عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين
 يوما وكان حليما عاقلا يسمع المكروه ولا يعاقب عليه مع قدرته عليه

ذكر غير ذلك

(في هذه السنة) ونبت الباطنية على تاج الملوك توي ابن طفتكين صاحب دمشق فخرجوه
 جرحين برى أحدهما وبقي الآخر ينسر عليه الا انه يجلس للناس ويركب على ضعف
 فيه وفيها توفي حماد بن مسلم الرحبي الرياشي الزاهد المشهور صاحب الكرامات
 وسمع الحديث وله أصحاب وتلاميذ كثيرة وكان أبو الفرج بن الجوزي يذمه ويثلبه
 ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة فيها قتل أبو علي بن الفضل بن بدر
 الجمالي وزير الحافظ لدين الله العلوي وكان أبو علي المذكور قد حجر على الحافظ وقطع

خطبة العلويين وخطب لنفسه خاصة وقطع من الاذان حتى على خير العمل فنفرت منه قلوب شيعة العلويين وثار به جماعة من المماليك وهو يلعب بالكرة فقتلوه ونهبت داره وخرج الحافظ من الاعتقال ونقل ما بقي في دار أبي علي الى القصر وبويع الحافظ في يوم قتل أبي علي بالخلافة واستوزر أبا الفتح يانس الحافظي وبقي يانس مدة قليلة ومات فاستوزر الحافظ ابنه الحسن بن الحافظ وخطب له بولاية المهدي ثم قتل الحسن المذكور سنة تسع وعشرين وخسمائة على ما سئذ كره ان شاء الله تعالى ﴿ وفي هذه السنة ﴾ تحرك السلطان مسعود بن محمد في طلب السلطنة وأخذها من ابن أخيه داود بن محمود وكذلك تحرك سلجوق بن محمد صاحب فارس أخو مسعود واتبكته قراجا الساقى في طلب السلطنة وقدم سلجوق الى بغداد واتفق الخليفة المسترشد معه واستنجد مسعود بعماد الدين زنكى فسار الى بغداد لقتال الخليفة وسلجوق فقاتله قراجا اتابك سلجوق وانهمز زنكى الى تكريت وعبر منها وكان الدزدار بها اذ ذاك نجم الدين أيوب فاقام له المعابر فمير عماد الدين وسار الى بلاده وكان هذا الفعل من نجم الدين أيوب سبباً للاتصال بعماد الدين زنكى حتى ملك بنو أيوب البلاد ثم اتفق الحال بين مسعود وأخيه سلجوق والخليفة المسترشد على أن تكون السلطنة لعماد الدين ويكون أخوه سلجوق شاه ولى عهده وعادوا الى بغداد ونزل مسعود بدار السلطنة وسلجوق بدار الشهنكية وكان اجتماعهم في جمادى الاولى من هذه السنة ثم ان السلطان سنجر سار من خراسان ومعه طغريل ابن أخيه السلطان محمد لاخذ السلطنة من مسعود وجرى المصاف بينه وبين مسعود وسلجوق فانهزم مسعود ثم ان السلطان سنجر بذل الامان لعماد الدين فحضر عنده وكان قد بلغ خونج فلما رآه سنجر قبله وأكرمه وعاتبه وأعادته الى كنججه واجلس الملك طغريل في السلطنة وخطب له في جميع البلاد ثم عاد سنجر الى خراسان فوصل الى نيسابور في رمضان من هذه السنة

ذكر الحرب بين المسترشد الخليفة وبين عماد الدين زنكى

﴿ في هذه السنة ﴾ سار عماد الدين زنكى ومعه ديس بن صدقة وعدى الخليفة الى الجانب الغربى وسار ونزل بالعباسية ونزل عماد الدين بالمتارية من دجيل والتقى بمحسن البرامكة في سابع وعشرين رجب فحمل عماد الدين على ميمنة الخليفة فهزمها وحمل الخليفة بنفسه وبقيّة العسكر فانهزم ديس ثم انهزم عماد الدين وقتل بينهم خلق كثير

ذكر وفاة تورى صاحب دمشق

﴿ في هذه السنة ﴾ توفي تاج الملوك تورى بن طفتكين صاحب دمشق بسبب الجرح الذى كان به من الباطنية على ما تقدم ذكره فتوفي في حادى وعشرين رجب وكانت امارته أربع

سنين وخمسة أشهر وأياما ووصى بالملك بعده لولده شمس الملوك اسماعيل ووصى ببعليك
وأعمالها لولده شمس الدولة محمد وكان توري شجاعا سدمسداً به ولما استقر اسماعيل
ابن توري في ملك دمشق وأعمالها واستقر أخوه محمد في ملك بعلبك استولى محمد على
حصن الرأس وحصن اللبوة وكاتب اسماعيل صاحب دمشق أخاه محمدا صاحب
بعليك في اعادتهما فلم يقبل محمد ذلك فسار اسماعيل وفتح حصن اللبوة ثم فتح
حصن الرأس وقرر أمرهما ثم سار إلى أخيه محمد وحصره ببعليك وملك المدينة
وحصر القلعة فسأله محمد في الصلح فأجابته وأعاد عليه ببعليك وأعمالها واستقرت أمورهما
وعاد اسماعيل إلى دمشق مؤيدا منصورا (ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسة) فيها
سار شمس الملوك اسماعيل بن توري صاحب دمشق على غفلة من الفرنج إلى حصن
بانياس فملك مدينة بانياس بالسيف وقتل وأسر من كان بها وحاصر قلعة بانياس وتسلمها
بالامان (وفي هذه السنة) جمع السلطان مسعود العساكر وانضم إليه ابن أخيه داود بن
محمود وسار السلطان مسعود إلى أخيه طغريل وجرى بينهما قتال شديد انهزم فيه طغريل
واستولى مسعود على الساطنة وتبع أخاه طغريل يطرده من موضع إلى موضع حتى وصل
إلى الرى وامتلا ثانياً فانهزم طغريل أيضاً وأسر جماعة من أمراءه (وفيها) سار الخليفة
المسترشد بمساكر بغداد وحصر الموصل ثلاثة أشهر وكان عماد الدين زنكي قد خرج من
الموصل إلى سنجار وحصن الموصل بالرجال والذخائر ثم رحل الخليفة عن الموصل وعاد
إلى بغداد ووصل إليها في يوم عرفة ولم يظفر منها بطائل

(ذكر ملك شمس الملوك اسماعيل مدينة حماة)

(وفي هذه السنة) سار اسماعيل بن توري صاحب دمشق من دمشق في العشر الآخر
من رمضان إلى حماة وهي لعماد الدين زنكي من حين غدر بسويج بن توري وأخذها
منه حسبما تقدم ذكره في سنة ثلاث وعشرين وخمسة فحصرها شمس الملوك اسماعيل
وقاتل من بها يوم عيد الفطر وعاد ولم يملكها فلما كان القدر بكر اليهم وزحف من جميع
جوانب البلد فلما عنوة وطلب من به الامان فأمرهم وحصر القلعة ولم تكن اذ ذلك حصينة
فانها حصنت فيما بعد لان تقي الدين عمر ابن أخى السلطان صلاح الدين قطع جبلها
وعملها على ما هي عليه الآن في سنين كثيرة فلما حصرها شمس الملوك اسماعيل عجز
النائب بها عن حفظها فسلمها اليه فاستولى عليها وعلى ما بها من ذخائر وسلاح وذلك في
شوال من هذه السنة ولما فرغ شمس الملوك اسماعيل من حماة سار إلى شيزر وبها صاحبها
من بني منقذ قنهب بلدها وحصر القلعة فصانمه صاحبها بمال حمله اليه فماد عنها وسار إلى
دمشق ووصل إليها في ذي القعدة من هذه السنة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

﴿ في هذه السنة ﴾ اجتمعت التراكين وقصدوا طرابلس فخرج من بها من الفرنج اليهم واقتلوا فانهزم الفرنج وسار القومص صاحب طرابلس ومن في محبته فاصحروا في حصن بعين وحصرهم التركان بها ثم هرب القومص من الحصن في عشرين فارسا وخلي بحصن بعين من يحفظه ثم جمع الفرنج وقصدوا التركان ليرحلوهم عن بعين فاقتلوا فانهز الفرنج الى نحو رنية وعاد التركان عنهم ﴿ وفيها ﴾ اشترى الاسماعيليه حصن القدموس من صاحبه ابن عمرو ﴿ وفيها ﴾ في ربيع الآخر وثب على شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق بعض ممالك جده طقتكين فضربه بسيف فلم يعمل فيه وتكافى على ذلك الشخص ممالك شمس الملوك فقبضوه وقرره شمس الملوك فقال ما اردت الا اراحة المسلمين من شرك وظلمك ثم أقر على جماعة من شدة الضرب فقتلهم من غير تحقيق وقتل شمس الملوك اسماعيل أيضاً مع ذلك الشخص أخاه سونج بن توري الذي كان بحماة وأسره زنكي على ما تقدم ذكره في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة فعضم ذلك على الناس ونفروا من شمس الملوك اسماعيل المذكور ﴿ وفيها ﴾ توفي علي بن يعلى بن عوض الهروي وكان واعظاً وله بخراسان قبول كثير وسمع الحديث فأكثر ﴿ وفيها ﴾ توفي أبو فديته أمير مكة وولى إمارة مكة بعده أبو القاسم ﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ﴾ فيها في الحرم سار شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق الى حصن الشقيق وكان بيد الضحاك ابن جندل رئيس وادي التيم قد تغلب عليه وامتنع به فأخذ شمس الملوك منه وعظم ذلك على الفرنج وقصدوا بلد حوران وجمع شمس الملوك الجوع وناوشهم ثم أغار على بلادهم من جهة طبرية ففت ذلك في أعضاء الفرنج ورحلوا عائدين الى بلادهم ثم وقعت الهدنة بينهم وبين شمس الملوك ﴿ وفي هذه السنة ﴾ استولى عماد الدين زنكي على جميع قلاع الأكراد الحميدية منها قلعة العقر وقلعة شوش وغيرها ثم استولى على قلاع الحكارية وكواشي ﴿ وفيها ﴾ أوقع ابن دانشمند صاحب ملطية بالفرنج الذين بالشام فقتل كثيراً منهم ﴿ وفيها ﴾ اصطلح الخليفة المسترشد وعماد الدين زنكي ﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة ﴾ فيها مات السلطان طغريل ابن السلطان محمد وكان بعد هزيمته من أخيه مسعود قد استولى على بلاد الجبل ن مات في هذه السنة في الحرم وقيل ان وفاته كانت في أول سنة ثمان وعشرين وهو الاصح في ظني وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة في الحرم أيضاً وكان خيراً عاقلاً ولما بلغ أخاه مسعودا خبر وفاته سار نحو همدان وأقبلت المساكر جيما اليه واستولى على همدان واطاعته البلاد جميعها

ذكر قتل اسماعيل صاحب دمشق

﴿ في هذه السنة ﴾ في رابع عشر ربيع الآخر قتل شمس الملوك اسماعيل بن توري ابن طغتكين وكان مولده في سابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسمائة بقتله على غفلة جماعة باتفاق من والدته وقد اختلف في سببه فقيل ان الناس انفرط جور اسماعيل المذكور وظلمه ومصادرته كرهوه وشكوه لآمه فانفقت مع من قتله وقيل بل ان آمه اتهمت بشخص من أصحاب والده يقال له يوسف بن فيروز فأراد قتل آمه فانفقت مع من قتله وسر الناس بقتله ولما قتل ملك بعده أخوه شهاب الدين محمود بن توري وحلف له الناس (وفيها) بعد قتل شمس الملوك وصل عماد الدين زنكي الى دمشق وحاصرها وضيق عليها وقام في حفظ البلد معين الدين أنزى ملوك طغتكين القيام التام الذي تقدم به واستولى على الامر بسببه فلما برزنكي في أخذ دمشق مطمعا اصطاح مع أهلها ورحل عنها ثأدا الى بلاده

ذكر قتل حسن بن الحافظ لدين الله العلوي

قد تقدم في سنة ست وعشرين وخمسمائة ان أباه استوزره فقتل حس المدكور على الامر واستبد به وأساء السيرة وأكثر من قتل الامراء وغيرهم ظلما وعدوانا وأكثر من مصادرات الناس فأراد المسكر الايقاع به وبأبيه فلم أبوه الحافظ ذلك فسقاه سمات ولذات حسن استوزر الحافظ تاج الدولة بهرام وكان نصرانيا فتحكّم واستعمل الارمن على الناس فكان ماسنذ كره

ذكر الحرب بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود

وأسر الخليفة وقتله

(في هذه السنة) كانت الحرب بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود وسببه ان جماعة من عسكر مسعود فارقوه مغاضبين واتصلوا بالخليفة المسترشد وهونوا عليه قتال السلطان مسعود فاغتر بكلامهم وصار من بغداد الى قتال السلطان مسعود وسار مسعود اليه واتفقوا عاشر رمضان من هذه السنة فصار غالب عسكر الخليفة مع مسعود وانهزم الباقون وأخذ الخليفة المسترشد أسيرا ونهت عسكره وأسروا وبقي المسترشد مع مسعود أسيرا ثم سار به مسعود من همدان الى مراغة في شوال لقتال ابن أخيه داود بن محمود فنزل على فرسخين من مراغة والمسترشد معه في خيمة منفردة وكان قد اتفق مسعود مع الخليفة على مال يحمّله الخليفة اليه وأن لا يعود يخرج من بغداد واتفق وصول رسول السلطان سنجر الى مسعود فركب مسعود والمساکر للمثاقاة فوثبت الباطنية على المسترشد وهو في تلك الخيمة فقتلوه ومثلوا به فجدعوا أنفه وأذنيه وقتل معه نفر من أصحابه وكان قتل

المستشهد يوم الاحد سابع عشر ذى القعدة بظاهر سراغة وكان عمره لما قتل ثلاث وأربعين سنة وثلاثة أشهر وكانت خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوما وأمه أم ولد وكان فصيحاً حسن الخط شهماً

(ذكر خلافة الراشد وهو الثلاثون من خلفاء بني العباس)

لما قتل المستشهد بالله بويغ ابنه الراشد بالله أبو جعفر المنصور بن المستشهد فضل ابن المستظهر أحمد وكان أبوه قد بايع له بولاية العهد في حياته ثم بعد قتله جددت له بيعة في يوم الاثنين السابع والعشرين من ذى القعدة من هذه السنة وكتب مسعود الي بغداد بذلك فحضر بيعة احد وعشرون رجلاً من أولاد الخلفاء

ذكر قتل دبيس

(في هذه السنة) قتل السلطان مسعود دبيس بن صدقة على باب سرادقه بظاهر مدينة خوى أمر غلاماً أرمنياً بقتله فوقف على رأس دبيس وهو ينسكث في الارض باصبعه فضرب رقبة وهو لا يشعر وكان ابنه صدقة بن دبيس بالحيلة فأما بلغه الخبر اجتمع عليه عسكر أبيه وكثر جمعه وما أكثر ما يتفق قرب موت المتعاديين فان دبيساً كان يعادى المستشهد بالله فاتفق قتل أحدهما عقيب قتل الآخر

(ذكر غير ذلك)

﴿ في هذه السنة ﴾ استولى الفرنج على جزيرة جربة من أعمال أفريقية وهرب وأسر من كان بها من المسلمين ﴿ وفيها ﴾ صالح المستنصر بن هود الفرنج على تسليم حصن زوطة من بلاد الاندلس وسلمه الى صاحب طليطلة الفرنجي ﴿ ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة ﴾

ذكر ملك شهاب الدين حمص

﴿ في هذه السنة ﴾ في اثنى والعشرين من ربيع الاول تسلم شهاب الدين محمود بن توري صاحب دمشق مدينة حمص وقلعتها وسبب ذلك ان أصحابها أولاد الامير قيرخان ابن قراجا والوالى بها من قبلهم ضجروا من كثرة تعرض عماد الدين زنكى اليها والى أعمالها فراسلوا شهاب الدين في أن يساموها اليه ويمطيهم عوضاً تدمر فأجابهم الى ذلك وتسلم حمص وأقطمها المملوك جده معين الدين اتز وسلم اليهم تدمر فلما رأى عسكر زنكى يجلب وحماة خروج حمص الى صاحب دمشق تابهوا الفارات على بلدها فأرسل شهاب الدين محمود الى عماد الدين زنكى في الصلح فاستقر بينهما وكف عسكر عماد الدين عن حمص

ذكر غير ذلك

﴿ فيها ﴾ سارت عساكر عماد الدين زنكي الذين مجلب وحماة ومقدمهم أسوار نائب زنكي مجلب الى بلاد الفرنج بنواحي اللاذقية وأوقفوا بمن هناك من الفرنج وكسبوا من الجوار والماليك والاسرى والدواب ماملأ الشام من الغنائم وعادوا سالمين
(ذكر خلع الراشد وخلافة المقتدى وهو حادى ثلاثينهم)

كان الراشد قد اتفق مع بعض ملوك الاطراف مثل عماد الدين زنكي وغيره على خلاف السلطان مسعود وطاعة داود ابن السلطان محمود فلما بلغ مسعودا ذلك جمع العساكر ومار الى بغداد ونزل عليها وحصرها ووقع في بغداد النهب من العيارين والمفسدين ودام مسعود محاصرها نيفا وخمسين يوما فلم يظفر بهم فارتحل الى النهروان ثم وصل طر نطى صاحب واسط بسفن كثيرة فعاد مسعود الى بغداد وعبر الى غربي دجلة واختلفت كلمة عساكر بغداد فعاد الملك داود الى بلاده أذربيجان في ذي القعدة وسار الخليفة الراشد من بغداد مع عماد الدين زنكي الى الموصل ولما سمع مسعود بمسير الخليفة وزنكي سار الى بغداد واستقر بها في منتصف ذي القعدة وجمع مسعود القضاة وكبراء بغداد وأجمعوا على خلع الراشد بسبب انه كان قد عاهد مسعودا على انه لا يقاتله ومتى خالف ذلك فقد خلع نفسه وبسبب أمور ارتكبها نخلع وحكم بفسقه وخلمه وكانت مدة خلافة الراشد احد عشر شهرا واحدا عشر يوما ثم استشار السلطان مسعود فيمن يقيم في الخلافة فوقع الاتفاق على بن محمد المستظهر فأحضر وأجلس في الميمنة ودخل اليه السلطان مسعود وتحالفا ثم خرج السلطان وأحضر الامراء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء وبياعوه ولقبوه بالمقتدى لامر الله والمقتدى عم الراشد المذكور هو والمسترشد ابناء المستظهر وليا الخلافة وكذلك السفاح والمنصور اخوان وكذلك المهدي والرشيدي اخوان وكذلك الواثق والمتوكل وأما ثلاثة اخوة ولوا الخلافة فالامين والمأمون والمعتمد أولاد الرشيد وكذلك المكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتمد والراضي المتقى والمطيع بنو المقتدر وأما أربعة اخوة ولوها فالوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان لا يعرف غيرهم وعمل محضر بخلع الراشد وأرسل الى الموصل وزاد المقتدى في اقطاع عماد الدين زنكي والقابله وأرسل المحضر لحكم به قاضي القضاة الزينبي بالموصل وخطب للمقتدى في الموصل في رجب سنة احدى وثلاثين (ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وخمسمائة) فيها عزل الحافظ وزيره بهرام التنصراني الارمني بسبب ما اعتمده من تولية الارمن على المسلمين واهانتهم لهم فانف من ذلك شخص يسمى رضوان بن الكعشى وجمع جمعا وقصد بهرام فهرب بهرام الى الصعيد ثم عادوا مسكه الحافظ وحبسه في القصر ثم ان بهرام المذكور تهرب وأطلقه الحافظ ولما هرب بهرام استوزر الحافظ.

رضوان المذكور ولقبه الملك الافضل وهو أول وزير للمصريين لقب بالملك ثم انه فسد ما بين رضوان والحافظ فهرب رضوان وجرى له أمور يطول شرحها آخرها ان الحافظ قتل رضوان المذكور ولم يستوزر بعده أحدا وباشر الامور بنفسه الى ان مات
(ذكر حصر زنكي حمص ورحيله الى بارين وفتحها)

(في هذه السنة) نازل عماد الدين زنكي حمص وبها صاحبها معين الدين اتر فلم يظفر بها فرحل عنها في العشرين من شوال الى بعين وحصر قلمتها وهي للفرنج وضيق عليها فجمع الفرنج ملوكهم ورجالهم وساروا الى زنكي ليرحلوه عن بعين فلما وصلوا اليه لقيهم وجرى بينهم قتال شديد فانهزمت الفرنج ودخل كثير من ملوكهم لما هربوا الى حصن بعين وعاود عماد الدين زنكي حصار الحصن وضيق عليه وطلب الفرنج الامان فقرر عليهم تسليم حصن بعين وخمسين ألف دينار يحملونها اليه فأجابوا الى ذلك فأطلقهم وتسلم الحصن وخمسين ألف دينار وكان زنكي في مدة مقامه على حصار بعين قد فتح المعرة وكفرطاب وأحدهما من الفرنج وحضر أهل المعرة وطلبوا تسليم أملاكهم التي كان قد أخذها الفرنج فطلب زنكي منهم كتب أملاكهم فذكروا انها عدت فكشف من ديوان حاب عن الخراج وافرج عن كل ملك كان عليه الخراج لاصحابه (ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة)

ذكر ملك عماد الدين زنكي حمص وغيرها

في هذه السنة في المحرم وصل زنكي الى حماة وسار منها الى بقاع بعلبك فلك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ بانياس وأطاعه وسار الى حمص وحصرها ثم رحل عنها الى سلمية بسبب نزول الروم على حاب على ما ذكره ثم عاد الى منازل حمص فسلمت اليه المدينة والقلعة أرسل عماد الدين زنكي وخطب أم شهاب الدين محمود صاحب دمشق تزوجها واسمها مرد خاتون بنت جاولي وهي التي قتلت ابنها شمس الملوك اسمعيل بن توري وهي التي بنت المدرسة المطلة على وادي الشقرا بظاهر دمشق وحملت الخاتون الى عماد الدين في رمضان وانما تزوجها طمعا في الاستيلاء على دمشق لما رأى من تحكمها فلما طاب مآمله ولم يحصل على شيء أعرض عنها

ذكر وصول ملك الروم الى الشام وما فعله

كان قد خرج ملك الروم متجهزا من بلاده في سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فاشتغل بقتال الارمن وصاحب انطاكية وغيره من الفرنج فلما دخلت هذه السنة وصل الى الشام وسار الى بزاعة وهي على ستة فراسخ من حلب وحاصرها وملكها بالامان في الخامس

والعشرين من رجب ثم غدر بأهلها وقتل فيهم وأسروسي وتصر قاضيها وقدر أربع مائة
نفس من أهلها وأقام على زاعة بعد أخذها عشرة أيام ثم رحل عنها بمن معه من الفرنج
إلى حلب ونزل على قويق وزحف على حلب وجري بين أهلها وبينهم قتال كثير فقتل
من الروم بطريق عظيم القدر عندهم فمادوا خاسرين وأقاموا ثلاثة أيام ورحلوا إلى
الأنارب وملكوها وتركوا فيها سبايا زاعة وتركوا عندهم من الروم من يحفظهم وسار ملك
الروم بجموعه من الأنارب نحو شيزر فخرج الأمر أوار نائب زنكي بحلب بمن عنده
وأوقع بمن في الأنارب من الروم فقتلهم واستفكت أسرى زاعة وسباياها وسار ملك الروم
بجموعه إلى شيزر وحصرها ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقا وأرسل صاحب شيزر أبو
العساكر سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنتاني إلى زنكي يستنجده فسار زنكي ونزل
على العاصي بن حمزة وشيزر وكان يركب عماد الدين زنكي وعسكره كل يوم ويشرفون على
الروم وهم محاصرون لشيزر بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فيأخذون كل ما يظفرون
به منهم وأقام ملك الروم محاصرا شيزر أربعة وعشرين يوما ثم رحل عنها من غير أن ينال
منها غرضا وسار زنكي في أثر الروم فظفر بكثير ممن تخاف منهم ومدح الشعراء زنكي
بسبب ذلك فأكثروا فن ذلك ما قاله مسلم بن خضر بن قسيم الحوي من أبيات

لعزمت أيها الملك العظيم	تذلل لك الصعاب وتستقيم
ألم تر أن كلب الروم لما	تبين أنه الملك الرحيم
وقد نزل الزمان على رضاه	ودان لخطبه الخطب العظيم
فحين رميته بك عن خديس	تيقن فوت ما أمسى بروم
كانك في العجاج شهاب نور	توقد وهو شيطان رحيم
أراد بقاء مهجته فولى	وليس سوى الحمام له حميم

ذكر مقتل الراشد

كان الراشد قد سار من بغداد إلى الموصل مع عماد الدين زنكي وحلح كما تقدم ذكره
ثم فارق الراشد زنكي وسار من الموصل إلى مراغة واتفق الملك داود ابن السلطان
محمود وملوك تلك الاطراف على خلاف السلطان مسعود وقتاله واعادة الراشد إلى
الخلافة فسار السلطان مسعود اليهم واقتتلوا فانهزم داود وغيره واشتغل أصحاب السلطان
بمسعود بالكسب وبقي وحده فحمل عليه أميران يقال لهما بوزايه وعبد الرحمن طغايرك
فانهزم مسعود من بين أيديهما وقبض بوزايه على جماعة من أمرائه وعلى صدقة بن دبيس
صاحب الحلة ثم قتلهم أجمين وكان الراشد إذ ذاك بهمدان فلما كان من الوقعة ما كان سار
الملك داود إلى فارس وتفرقت تلك الجموع وبقي الراشد وحده فسار إلى أصفهان فلما

كان الخامس والعشرين من رمضان وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا في خدمته
فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان من اعقاب مرض قد برى منه ودفن بظاهر أصفهان بشهرستان
ولما وصل خبر قتل الراشد الى بغداد جلسوا لعزائه يوماً واحداً

ذكر غير ذلك

(في هذه السنة) ملك حسام الدين تيمرتاش بن ايلغازي صاحب ماردن قلعة الهناخ من
ديار بكر أخذها من بعض بني مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر جميعها وهو آخر من
بقي منهم (وفيها) قتل السلطان مسعود البقش شحنة بغداد (وفيها) جاءت زلزلة عظيمة
بالشام والعراق وغيرهما من البلاد فخربت كثيراً وهلك تحت الهدم عالم كثير (ثم دخلت
سنة ثلاث وثلاثين وخمسة)

ذكر الحرب بين السلطان سنجر وخورزم شاه

(في هذه السنة) في المحرم سار سنجر بجموعه الى خوارزم شاه اطسز بن محمد بن أنوش تكين
وقد تقدم ذكر ابتداء أمر محمد بن أنوش تكين في سنة تسعين وأربعمائة ووصل
سنجر الى خوارزم وخرج خوارزم شاه لقتاله واقتلوا فانهزم اطسز خوارزم شاه
واستولى سنجر على خوارزم وأقام بها من يحفظها وعاد الى مرو في جمادى
الآخرة من هذه السنة وبمدان عاد سنجر الى بلاده عاد اطسز الى خوارزم واستولى عليها

ذكر قتل محمود صاحب دمشق

في هذه السنة في شوال قتل شهاب الدين محمود بن توري بن طفتكين صاحب دمشق
قتله غيلة على فراشه ثلاثة من خواص غلمانة وأقرب الناس منه وكانوا ينامون عنده
فقتلوه وخرجوا من القلعة وهربوا فنجوا أحدهم وأخذ الاثنان وصلبا واستدعى معين
الدين اتز اخاه جمال الدين محمد بن توري وكان صاحب بعلبك فحضر الى دمشق وملكها

ذكر ملك زنكي بعلبك

في هذه السنة في ذى القعدة سار عماد الدين زنكي الى بعلبك ووصل اليها في العشرين
من ذى الحجة وحصرها ونصب عليها أربعة عشر منجنيقاً فطلب أهلها الامان فأمنهم
وسلموا اليه المدينة واستمر الحصار على القلعة حتى طلبوا الامان أيضاً فأمنهم وسلموا
اليه القلعة فلما زنوا منها وملكها غدر بهم وأمر فصلبوا عن آخرهم فاستبجح الناس
ذلك واستعظموا وحذره الناس وكانت بعلبك لمعين الدين اتز أعطاه اياها جمال الدين
محمد لما ملك دمشق وكان اتز قد تزوج بأم جمال الدين محمد صاحب دمشق وكان
له جارية يحبها فاخرجها اتز الى بعلبك فلما ملك زنكي بعلبك أخذ الجارية المذكورة

وتزوجها في حلب وبقيت مع زنكي حتى قتل على قامة جبر فأرسلها ابنه نور الدين محمود بن زنكي الى اتر وهي كانت أعظم الاسباب في المودة بين نور الدين واطر
(ذكر غير ذلك)

في هذه السنة توالى الزلازل بالشام وخربت كثيرا من البلاد لاسيما حلب فان أهلها فارقوا بيوتهم وخرجوا الى الصحراء ودامت من رابع صفر الى ناسع عشره (ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسائة) في هذه السنة سار عماد الدين زنكي الى دمشق وحصرها وزحف عليها وبذل لصاحبها جمال الدين محمد بعلبك وحصن فلم يأمنوا اليه بسبب غدره باهل بعلبك وكان نزوله على داريا في ثالث عشر ربيع الاول واستمر منازلها لدمشق فرض في تلك المدة جمال الدين محمد بن توري صاحب دمشق ومات في ثامن شعبان فطمع زنكي حينئذ في ملك دمشق وزحف اليها واشتد القتال فلم ينل غرضا ولما مات جمال الدين محمد أقام معين الدين اتر في الملك ولده مجير الدين ارتقى بن محمد بن توري بن طغتكين واستمر اتر يدبر الدولة فلم يظهر لموت جمال الدين محمد أثر ثم رحل زنكي ونزل بعذرا من المرج في سادس شوال وأحرق عدة من قرى المرج ورحل عائدا الى بلاده (وفي هذه السنة) ملك زنكي شهرزور وأخذها من صاحبها قبجق بن الب ارلان شاه التركاني وبقي قبجق في طاعة زنكي ومن جملة عسكره (وفيها) قتل المقرب جوهر من كبراء عسكر سنجر وكان قد عظم في الدولة وكان من جملة اقطاع المقرب المذكور الرى قتله الباطنية ووقفوا له في زى النساء واستغثن به فوقه يسمع كلامهم يقتلوه (وفيها) توفي هبة الله بن الحسين بن يوسف المعروف بالبديع الاطرلابي وكانت له اليد الطولى في عمل الاسطرلاب والآلات الفلكية وله شعر جيد وأكثره في الهزل (ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسائة) في هذه السنة وصل رسول السلطان سنجر ومعه بركة النبي صلى الله عليه وسلم والقضيب وكانا أخذا من المسترشد فاعادهما الآن الى المقتدى (وفي هذه السنة) ملك الاسماعيلية حصن مصيف بالشام وكان واليه مملوكا لبني منقذ صاحب شيرز فاحتال عليه الاسماعيلية ومكروا به حتى صدوا اليه وقتلوه وملكوا الحصن (وفيها) توفي الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان قتيلا في فندق بمرآكش وكان فاضلا في الادب الف علم عدة كتب منها قلائد العقيان ذكر فيه عدة من الفضلاء وأشعارهم ولقد أجاد فيه (ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسائة) في هذه السنة في المحرم وقيل في صفر كان المصاف العظيم بين الترك الكفار من الخطا وبين السلطان سنجر فان خوارزم شاه اطسز ابن محمد لما هزمه سنجر وقتل ولد اطسز عظم ذلك عليه وكاتب الخطا وأطمعهم

في ملك ماوراء النهر فساروا في جمع عظيم وسار اليهم السلطان سنجر في جمع عظيم
 والتقوا بما وراء النهر فانهزم عسكر سنجر وقتل منهم خلق عظيم وأسرت امرأة سنجر
 ولما تمت الهزيمة على المسلمين سار خوارزم شاه اطسز الى خراسان ونهب من أموال
 سنجر ومن بلادها شيئاً كثيراً واستقرت دولة الخطا والترك الكفار بما وراء النهر
 (ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة) في هذه السنة بعث عماد الدين زنكي
 جيشاً ففتحوا قلعة أشب وكانت من أعظم حصون الاكراد الهكارية وأمنعها ولما
 ملكها زنكي أمر باخرابها وبناء القلعة المعروفة بالعمادية عوضاً عنها وكانت العمادية
 حصناً عظيماً خراباً فلما عمره عماد الدين زنكي سمى العمادية نسبة اليه (وفيها)
 سارت الفرنج في البحر من صقلية الى طرابلس الغرب فحصروها ثم عادوا عنها (وفيها)
 توفي محمد بن الدانشمند صاحب ملطية والتغر واستولى على بلاده الملك مسعود بن
 قليج ارسلان السلجوقي صاحب قونية (ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة) في
 هذه السنة كان الصلح بين السلطان مسعود وبين عماد الدين زنكي (وفيها) سار
 زنكي بمساكره الى ديار بكر ففتح منها طنزة واستعرد وحيزان وحصن الروق وحصن
 قطليس وحصن باتاسا وحصن ذي القرنين وأخذ من بلد ماردين ما هو بيد الفرنج
 جماين والموزر وتل موزر من حصون شحتان (وفيها) سار السلطان سنجر بمساكره
 الى خوارزم وحصر اطسز بها فبذل خوارزم شاه اطسز الطاعة فأجابه سنجر الى ذلك
 واصطالحا وعاد سنجر الى مرو (وفيها) ملك زنكي عانة من أعمال القرات (وفيها)
 قتل داود ابن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه قتله جماعة اغتالوه ولم يعرفوا
 (وفيها) توفي أبو القاسم محمود بن عمر النحوي الزمخشري ولد في رجب سنة سبع
 وستين وأربعمائة وهو من زمخشر قرية من قرى خوارزم كان اماماً في العلوم صنف
 المفصل في النحو والكشاف في التفسير وحهر القول فيه بالاعتزال وافتتحه بقوله الحمد
 لله الذي خلق القرآن منجماً ثم أصلحه أصحابه فكتبوا الحمد لله الذي أنزل القرآن وله
 غير ذلك من المصنفات فمنها كتاب الفائق في غريب الحديث وقدم الزمخشري ببغداد
 وناظر بها ثم حج وجاور مكة سنين كثيرة فسمى لذلك جارا لله وكان حنبلي الفروع معتزلي
 الاصول وللزمخشري نظم حسن منه من جملة أبيات

فانا اقتصرنا بالذين تضايقت	عيونهم والله يجزي من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة	ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر
ومن شعره يرثي شيخه أبا مضر منصوراً	
وقائلة ما هذه الدرر التي	تساقط من عينك سمطين سمطين

فقلت لها الدر الذي كان قد حشا أبو مضر اذني تساقط من عيني

(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة) في هذه السنة فتح عماد الدين زنكي الرها من الفرنج بالسيف بعد حصار ثمانية وعشرين يوماً ثم تسلم مدينة سروج وسائر الاماكن التي كانت بيد الفرنج شرقي الفرات وأما البيرة فنزل عليها وحاصرها ثم رحل عنها بسبب قتل نائبه بالموصل وهو نصير الدين جقر وسبب قتله انه كان عند زنكي الب ارسلان ابن السلطان محمود بن محمد السلجوقي وكان زنكي يقول ان البلاد التي بيدي انما هي لهذا الملك الب ارسلان المذكور وانا انا بابه * ولهذا سمي اتابك زنكي وكان الب ارسلان المذكور بالموصل وحقر يقوم بوظائف خدمته فحسن بعض المناحيس لالب ارسلان المذكور قتل جقر وأخذ البلاد من عماد الدين زنكي * فلما دخل جقر الى الب ارسلان على عادته وثب عليه من عند الب ارسلان فقتلوه فاجتمعت كبراء دولة زنكي وأمسكوا الب ارسلان ولم يطمه أحد ولما بلغ زنكي ذلك وهو محاصر للبيرة عظم عليه قتل جقر وخشى من الفتن فرحل عن البيرة لذلك وخشى الفرنج الذين بها من معاودة الحصار وعلوا بضعفهم عن عماد الدين فراسلوا نجم الدين صاحب ماردين وسلموا البيرة اليه وصارت للمسلمين (وفيها) خرج اسطول الفرنج من صقلية الى ساحل افريقية وملكوا مدينة برسك وقتلوا أهلها وسبوا الحريرم (وفيها) توفي تاشفين ابن علي بن يوسف بن تاشفين صاحب المغرب وولى بعده أخوه اسحق بن علي وضمف أمر الملتهمين وقوى عبد المؤمن وقد تقدم ذكر ذلك في سنة أربع عشرة وخمسمائة (ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة) فيها هرب علي بن ديبس بن صدقة من السلطان مسعود وكان قد أراد حبسه في قلعة تكرت فهرب الى الحلة واستولى عليها وكثر جمعه وقويت شوكته (وفيها) اعتقل الخليفة المقتدى أخاه أبا طالب وضيق عليه وكذلك احتاط علي غيره من أقاربه (وفيها) ملك الفرنج شنترين وتاجر وماردة واشبونة وسائر الماقل المجاورة لها من بلاد الاندلس (وفيها) توفي مجاهد الدين بهروز وحكم في العراق نيماً وثلاثين سنة وكان بهروز خصياً أبيض (وفيها) توفي الشيخ أبو منصور موهوب ابن أحمد الجواليقي اللغوي ومولده في ذي الحجة سنة خمس وستين وأربعمائة أخذ اللغة عن أبي زكريا التبريزي وكان يؤم بالخليفة المقتدى وكان طويل الصمت كثير التحقيق لا يقول الشيء الا بعد فكر كثير وكان يقول كثيراً اذا سئل لأدرى وأخذ العلم عنه جماعة منهم تاج الدين أبو الين زيد بن الحسن الكندي ومحب الدين أبو البقاء وعبد الوهاب بن سكينه (وفيها) توفي أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن تقي الاندلسي القرطبي الشاعر المشهور صاحب الموشحات البديعة ومن شعره ما أورده في قلائد العقيان

يافتك الناس الحاظا وأطيههم
 في صحن خدك وهو الشمس طالعة
 ريقا متى كان فيك الصاب والمسل
 ورد يزيدك فيه الراح والحجل
 من خدك الكتبا او من لحظك الرسل
 مرني بما شئت آتية وأمشل
 لو اطلمت على قلبي وجدت به
 من فعل عينيك جرحا ليس يندمل
 (ثم دخلت سنة احدى وأربعين وخمسمائة)

ذكر ملك الفرنج طرابلس الغرب

وسبب ملكها أنهم نزلوا عليها وحصروها فلما كان اليوم الثالث من نزولهم سمع الفرنج
 في المدينة ضجة عظيمة وحلت الاسوار من المقاتلة وكان سببه ان أهل طرابلس احتلفوا
 فراد طائفة منهم تقديم رجل من الملتزمين ليكون أميرهم وأرادت طائفة أخرى تقديم
 بنى مطروح فوقمت الحرب بين الطائفتين وخذت الاسوار فانهز الفرنج الفرصة وصعدوا
 بالسلام وملكوها بالسيف في المحرم من هذه السنة وسفكوا دماء أهلها وبعد ان استقر الفرنج
 في ملك طرابلس بذلوا الامان لمن تقي من أهل طرابلس وتراجعت اليها الناس وحسن حالها
 ذكر حصار عماد الدين زنكي حصني جمبر وفنك ومقتله

(في هذه السنة) سار زنكي ونزل على قلعة جمبر وحصرها وصاحبها على بن
 مالك بن سالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلي وأرسل عسكريا الى
 قلعة فنك وهي تجاور حزيرة ابن عمر فحصرها أيضاً وصاحبها حسام الدولة الكردي
 البشنوي * ولما طال على زنكي منازلة قلعة جمبر أرسل مع حسان البعلبيكي الذي
 كان صاحب منبج يقول لصاحب قلعة جمبر فل لي من يخلصك مني فقال صاحب قلعة
 جمبر لحسان يخلصني منك الذي خلصك من بلك بن بهرام بن أرتق وكان بلك محاصرا
 المنبج فجاءه سهم قتله فرجع حسان الى زنكي ولم يخبره بذلك فاستمر زنكي منازلا
 قلعة جمبر فوثب عليه جماعة من عماليكه وقتلوه في خامس ربيع الآخر من هذه
 السنة بالليل وهربوا الى قلعة جمبر فصاح من بها على العسكر وأعلموهم بقتل زنكي
 فدخل أصحابه اليه وبه رمق وكان عماد الدين زنكي حسن الصورة أسمر اللون مليح
 العينين قد وخطه الشيب وكان قد زاد عمره على ستين سنة ودفن بالرقعة وكان شديد
 الهيبة على عسكره عظيمها وكان له الموصل وما معها من البلاد وملك الشام خلا دمشق
 وكان شجاعاً وكانت الاعداء محيطة بملكته من كل جهة وهو ينتصف منهم ويستولى
 على بلادهم * ولما قتل زنكي كان ولده نور الدين محمود حاضرا عنده فأخذ خاتم
 والده وهو ميت من أصعبه وسار الى حاب فملكها وكان صحبة زنكي أيضا الملك

البارسلان بن محمود ابن السلطان محمد السلجوقي فركب في يوم قتل زنكي واجتمعت عليه
 العساكر فحسن له بعض اصحاب زنكي الاكل والشرب وسمع المغاني فسار
 البارسلان الى الرقة واقامها منكمفا على ذلك وأرسل كبراء دولة زنكي الى ولده سيف
 الدين غازي بن زنكي يعلمونه بالحال وهو بشهر زور فسار الى الموصل واستقر في ملكها
 وأما البارسلان فتفرقت عنه العساكر وسار الى الموصل يريد ملكها فلما وصلها قبض
 عليه غازي بن زنكي وحبسها في قلعة الموصل واستقر ملك سيف الدين غازي للموصل وغيرها
 (ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) أرسل عبد المؤمن بن علي جيشاً الى جزيرة الاندلس فملكوا ما فيها
 من بلاد الاسلام واستولوا عليها (وفيها) بعد قتل عماد الدين زنكي قصد صاحب دمشق
 مجير الدين ابق حسن بملبك وحصره وكان به نجم الدين أيوب بن شاذي مستحفظاً
 يخاف ان اولاد زنكي لا يمكنهم انجاده بالمعجل فصالحه وسلم القلعة اليه وأخذ منه اقطاعاً
 ومالا وملكه عدة قري من بلاد دمشق وانتقل أيوب الى دمشق وسكنها واقام بها
 (ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسائة) في هذه السنة دخل نور الدين محمود بن
 زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج ففتح منها مدينة ارتاح بالسيف وحصر مأمولة وبصرفوت
 وكفرلانا (ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسائة)

ذكر ملك الفرنج المهدي بافريقية وحال مملكة بني باديس

كان قد حصل بافريقية غلاء شديد حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ودام من سنة سبع
 وثلاثين وخمسائة الى هذه السنة فقارق الناس القرى ودخل أكثرهم الى جزيرة صقلية
 فاعتنم رجار الفرنجي صاحب صقلية هذه الفرصة وجهاز اسطولا نحو مائتين وخمسين
 شينياً مملوءة رجالاً وسلاحاً واسم مقدمهم جرج وساروا من صقلية الى جزيرة قوصرة
 وهي ما بين المهديّة وصقلية وساروا منها وأشرفوا على المهديّة ثانی صفر من هذه السنة
 وكان في المهديّة الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي صاحب
 افريقية فجمع كبراء البلد واستشارهم فأروا ضمف حالهم وقلة المؤنة عندهم فاتفق
 رأى الامير حسن بن علي على اخلاء المهديّة نخرج منها وأخذ معه ماخف حمله وخرج
 أهل المهديّة على وجوههم بأهليهم وأولادهم وبقى الاسطول في البحر تمنعه الريح من
 الوصول الى المهديّة ثم دخلوا المهديّة بعد مضي ثلثي النهار المذكور بغير ممانع ولا مدافع
 ولم يكن قد بقي من المسلمين بالمهديّة ممن عزم على الخروج أحد ودخل جرج مقدم الفرنج
 الى قصر الامير حسن بن علي فوجده على حاله لم يعد منه الا ماخف حمله ووجد فيه
 جماعة من حظايا الحسن بن علي ووجد الخزان مملوءة من الذخائر النفيسة من كل شيء

غريب يقل وجود مثله وسار الامير حسن بأهله وأولاده الى بعض أمراء العرب ممن كان يحسن اليه وأقام عنده وأراد الحسن المسير الى الخليفة العلوي الحافظ صاحب مصر فلم يقدر على المسير لحوف الطرق فسار الى ملك بجاية يحيى بن العزيز من بني حماد فوكل يحيى المذكور على الحسن وعلى أولاده من بينهم من التصرف ولم يجتمع يحيى بهم وأنزلهم في جزائر بني مزغان وبقي الحسن كذلك حتى ملك عبد المؤمن بن علي بجاية في سنة سبع وأربعين وخمسة وأخذها هي وجميع ممالك بني حماد فحضر الامير الحسن عنده فأحسن اليه عبد المؤمن وأكرمه واستمر على ذلك في خدمة عبد المؤمن الى ان فتح المهدي فاقام فيها واليا من جهته وأمره أن يقتدى برأى الامير حسن ويرجع الى قوله وكان عدة من ملك من بني باديس بن زيري بن مناذ الى الحسن تسعة ملوك وكانت ولايتهم في سنة احدى وستين وثلاثمائة وانقضت في سنة ثلاث وأربعين وخمسة ثم ان جرج بدل الامان لاهل المهدي وأرسل وراهم بذلك وكانوا قد أشرفوا على الهلاك من الجوع فتراجموا الى المهدي

ذكر حصر الفرنج دمشق

﴿ في هذه السنة ﴾ سار ملك الالمان والالمان بلادهم وراء القسطنطينية حتى وصل الى الشام في جمع عظيم ونزل على دمشق وحصرها وصاحبها مجير الدين اتق بن محمد ابن توري بن طفتكين والحكم وتدير المملكة انما هو لمعين الدين اتز مملوك جده طفتكين * وفي سادس ربيع الاول زحفوا على مدينة دمشق ونزل ملك الالمان بالميدان الاخضر وأرسل اتز الى سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجده فسار بمسكرو من الموصل الى الشام وسار معه أخوه نور الدين محمود بمسكرو ونزلوا على حصن ففت ذلك في اعضاء الفرنج وأرسل اتز الى فرنج الشام يذللهم تسليم قلعة بانياس فتحلوا عن ملك الالمان وأشاروا عليه بالرحيل وخوفوه من امداد المسلمين فرحل عن دمشق وعاد الى بلاده وسلم اتز قلعة بانياس الى الفرنج حسب شرطه لهم

ذكر غير ذلك من الحوادث

﴿ في هذه السنة ﴾ كان بين نور الدين محمود وبين الفرنج مصاف بارض يفرى من العمق فانهزم الفرنج وقتل منهم وأسر جماعة كثيرة وأرسل من الاسرى والغنيمة الى أخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل (وفيها) ملك الفرنج من الاندلس مدينة طرطوشة وجميع قلاعها وحصون لارده (وفيها) كان الفلاء العام من خراسان الى العراق الى الشام الى بلاد المغرب وفي ربيع الاول من هذه السنة أعنى سنة ثلاث وأربعين وخمسة قتل نور الدولة شاهنشاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين قتله الفرنج

لما كانوا منازلين دمشق فخرى بينهم وبين المسلمين مصاف قتل فيه شاهنشاه المذكور وهو أبو الملك المظفر عمر صاحب شمشاة وأبو فرخشاه صاحب بعلبك وكان شاهنشاه أكبر من صلاح الدين وكاننا شقيقين (ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة)

ذكر وفاة غازي بن زنكي

(في هذه السنة) توفي سيف الدين غازي بن عماد الدين اتابك زنكي صاحب الموصل بمرض حاد في أواخر جمادى الآخرة وكانت ولايته ثلاث سنين وشهرا وعشرين يوما وكان حسن الصورة ومولده سنة خمسمائة وخلف ولدا ذكرا فرباه عمه نور الدين وأحسن تربيته وتوفي المذكور شابا وانقرض بموته عقب سيف الدين غازي وكان سيف الدين المذكور كريما يصنع لمسكره كل يوم طعاما كثيرا بكرة وعشية وهو أول من حمل على رأسه السنجق في ركوبه وأمر الاجناد ان لا يركبوا الا بالسيف في أوساطهم والدبوس تحت ركبهم فلما فعل ذلك اقتدى به أصحاب الاطراف ولما توفي سيف الدين غازي كان أخوه قطب الدين مودود بن زنكي مقيما بالموصل فاتفق جمال الدين الوزير وزين الدين على أمير الجيش على تملكه فخلعاه وحلقاه وكذلك باقى المسكر وأطاعه جميع بلاد أخيه سيف الدين * ولما تملك تزوج الحاتون ابنة تمر تاش صاحب ماردين وكان أخو سيف الدين قد تزوجها ومات قبل الدخول بها وهي أم أولاد قطب الدين

ذكر وفاة الحافظ لدين الله العلوي وولاية الظافر

(في هذه السنة) في جمادى الآخرة توفي الحافظ لدين الله عبد المجيد ابن الامير أبي القاسم بن المستنصر العلوي صاحب مصر وكانت خلافته عشرين سنة الا خمسة أشهر وكان عمره نحو سبع وثمانين سنة ولم يل الخلافة من العلويين المصريين من أبوه غير خليفة غير الحافظ والعاقد على ما سنده ذكره ولما توفي الحافظ بويج بمهده ابنه الظافر بأمر الله أبو منصور اسمعيل بن الحافظ عبد المجيد واستوزر ابن مصال فبقي أربعين يوما وحضر من الاسكندرية العادل بن السلار وكان قد خرج ابن مصال من القاهرة في طلب بعض المفسدين فارسل العادل بن السلار ريبه عباس بن أبي الفتوح ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى وكان أبوه أبو الفتوح قد فارق أخاه على ابن يحيى صاحب افريقية وقدم الى الديار المصرية وتوفي بها فتزوج العادل بن السلار بزوجة أبي الفتوح المذكور وممها ولدها عباس بن أبي الفتوح فرباه العادل وأحسن تربيته ولما قدم العادل الى مصر يريد الاستيلاء على الوزارة أرسل ريبه عباس في عسكر الى ابن مصال فظفر به عباس وقتله وعاد الى العادل بالقاهرة فاستقر العادل في الوزارة

وتمكن ولم يكن للخليفة الظافر معه حكم وبقي العادل كذلك الى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة
فقتله ربيعة عباس المذكور وتولى الوزارة على ما سئد ذكره

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) حصر نور الدين محمود بن زنكى حصن حارم فجمع البرنس
صاحب انطاكية الفرنج وسار الى نور الدين واقتلوا فاتصر نور الدين وقتل البرنس
وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم ولما قتل البرنس ملك بعده ابنه يميندوهو طفل وتزوجت
أمه برجل آخر وتسمى بالبرنس ثم ان نور الدين غزاهم غزوة أخرى فهزمهم وقتل
فيهم وأسر وكان فيمن أسر البرنس الثاني زوج أم يميند فتمكن حينئذ يميند في ملك
انطاكية (وفيها) زلزلت الارض زلزلة شديدة (وفيها) توفي معين الدين اتر صاحب
دمشق وهو الذي كان اليه الحكم فيها واليه ينسب قصير معين الدين الذي في الغور
(وفيها) تولى أبو المظفر يحيى بن هبيرة وزارة الخليفة المقتدى يوم الاربعاء رابع ربيع
الآخر وكان قبل ذلك صاحب ديوان الزمام (وفيها) توفي القاضي ناصح الدين الارجاني
وارجان من أعمال آستر وتولى المذكور قضاء آستر واسمه أحمد بن محمد بن الحسين
وله الشعر الفائق فمن ذلك قوله

ولما بلوت الناس اطلب عندهم
تطلعت في حالي رخاء وشدة
فلم أر فيما ساءني غير شامت
تمتعما ياناظري بنظرة
أعيني كفا عن فؤادي فانه
أخائقة عند اعتراض الشدائد
وناديت في الاحياء هل من مساعد
ولم أر فيما سرني غير حاسد
وأوردت بما قلبي أمر الموارد
من النغي سمي اثنين في قتل واحد

(وفيها) توفي بهرا كمش القاضي عياض بن موسى بن عياض السبكي ومولده بها في سنة
ست وسبعين وأربعمائة أحد الاثمة الحفاظ الفقهاء المحدثين الادباء وتآليفه وأشعاره شاهدة
بذلك ومن تصانيفه الاجمال في شرح كتاب مسلم ومشارك الانوار في تفسير غريب
الحديث (ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة) في هذه السنة رابع عشر المحرم
أخذت العرب جميع الحجاج بين مكة والمدينة ذكر ان اسم ذلك المكان القرابي فهلاك
أكثرهم ولم يصل منهم الى البلاد الا القليل (وفيها) سار نور الدين محمود بن زنكى
الى قامية وحصر قلعتها وتسلمها من الفرنج وحصنها بالرجال والذخائر وكان قد اجتمع
الفرنج وساروا ليرحلوه عنها فملكها قبل وصولهم فلما بلغهم فتحها تفرقوا (وفيها) سار
الادفونش صاحب طيطة بجموع الفرنج الى قرطبة وحصرها ثلاثة أشهر ثم رحل عنها ولم يملكها
(وفيها) مات الامير على بن ديبس بن صدقة صاحب الحلة (ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة)

ذكر هزيمة نور الدين بن جوسلين ثم أسر جوسلين

كان جوسلين من أعظم فرسان الفرنج قد جمع بين الشجاعة وجودة الرأي وكان نور الدين قد عزم على قصد بلاده فجمع جوسلين الفرنج فكثر وسار نحو نور الدين والتقوا فانهزم المسلمون وقتل وأسر منهم جمع كثير وكان من جملة من أسر السلاح دار ومعه سلاح نور الدين فارسله جوسلين إلى مسعود بن قليج ارسلان صاحب قونية وأقرا وقال هذا سلاح زوج ابنتك وسأتيك بعهده بما هو أعظم منه فعظم ذلك على نور الدين وهجر الملائد وافتكروا في أمر جوسلين وجمع التركان وبذل لهم الوعود ان ظفروا به أما بامساك أو بقتل فاتفق ان جوسلين طلع إلى الصيد فكبسه التركمان وأمسكوه فبذل لهم مالا فأجابوه إلى اطلاقه فسار بعض التركان وأعلم أبا بكر بن الداية نائب نور الدين بحلب فارسله مكررا كبسوا التركان الدين عندهم جوسلين وأحضروه إلى نور الدين أسيرا وكان أسر جوسلين من أعظم الفتوح وأصابت النصرانية كافة بأسره ولما أسر سار نور الدين إلى بلاد جوسلين وهلاعه فلكها وهي تل بأشر وعين تاب وذلوك وعزاز وتل خالد وقورس والرواندان وبرج الرصاص وحصن البار وكفرسود وكفرلانا ومرعش ونهر الجوز وغير ذلك في مدة يسيرة وكان نور الدين كلما فتح منها موصفا حصنه بما يحتاج إليه من الرجال والذخائر (ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة) من الكامل في هذه السنة سار عبد المؤمن بن علي إلى بجاية وملكها وملك جميع ممالك بني حماد وأخذها من صاحبها يحيى بن العزيز بن حماد آخر ملوك بني حماد وكان يحيى المذكور مواعيا بالصيد واللهو لا ينظر في شيء من أمور مملكته ولما هزم عبد المؤمن عسكر يحيى هرب يحيى وتحصن بقلعة قسطنطينية من بلاد بجاية ثم نزل يحيى إلى عبد المؤمن بالأمان فامته وأرسله إلى بلاد المغرب وأقام بها وأجرى عبد المؤمن عليه شيئا كثيرا وقد ذكر في تاريخ القيروان ان مسير عبد المؤمن وملكه تونس وافريقية إنما كان في سنة أربع وخمسين وخمسمائة

ذكر وفاة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه وملك

ملكشاه ومحمد ابني محمود

(في هذه السنة) وقيل في أواخر سنة ست وأربعين في أول رجب توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمدان ومولده سنة اثنين وخمسمائة في ذي القعدة ومات معه سعادة البيت السلجوقي فلم يبق لهم بعده راية يعتد بها وكان حسن الاخلاق كثير المزاج والانبساط مع الناس كريما عفيفا عن أموال الرعايا ولما مات عهد بالملك

الى ابن أخيه ملكشاه بن محمود فقدم في السلطنة وخطب له وكان المتغلب على المملكة أميراً يقال له خاص بك وأصله صبي تركاني اتصل بخدمة السلطان مسعود فتقدم على سائر أمراءه ثم ان خاص بك المذكور قبض على السلطان ملكشاه بن محمود وسجنه وأرسل الى أخيه محمد بن محمود وهو بخورستان فاحضره وتولى السلطنة وجلس على السرير وكان قصد خاص بك أن يمسه ويخطب لنفسه بالسلطنة فبدره السلطان محمد في ثاني يوم وصوله فقتل خاص بك وقتل معه زكي الجاندار وألقي برأسيهما ففرق أصحابهما

ذكر فتح دلوك

(في هذه السنة) جمعت الفرنج وساروا الى نور الدين وهو محاصر دلوك فرحل عنها وقتلهم أشد قتال رآه الناس وانهمزمت الفرنج وقتل وأسركثير منهم ثم عاد نور الدين الى دلوك فلحقها ومما مدح به في ذلك

أعدت بمصر ك هذا الجدي بد قوح النبي واعصارها
وفي تل باشر باشرتهم بزحف تسور أسوارها
وان دالكتهم دلوك فقدت أسرت فصدقت أخبارها

﴿ ذكر ابتداء ظهور الملوك الغورية وانقراض دولة آل سبكتكين ﴾

أول من اشتهر من الملوك الغورية أولاد الحسين وأولهم محمد بن الحسين وكان قد صاهر بهرام شاه بن مسعود صاحب غزنة من آل سبكتكين وسار محمد بن الحسين المذكور الى غزنة يظهر الطاعة لبهرام شاه ويوطن القدر فأمسكه بهرام شاه وقتله فتولى بعده في ملك الغورية أخوه سودى بن الحسين وسار الى غزنة طالباً بثار أخيه وجرى القتال بينه وبين بهرام شاه فظفر بهرام شاه بسودى وقتله أيضاً وانهمزمت عسكره ثم ملك بعدها أخوهما علاء الدين الحسين بن الحسين وسار الى غزنة فانهزم عنها صاحبها بهرام شاه واستولى علاء الدين الحسين على غزنة وأقام فيها أخاه سيف الدين سام بن الحسين وعاد علاء الدين الحسين بن الحسين الى الغور فكتب أهل غزنة بهرام شاه فسار اليهم واقتل مع سيف الدين القورى فانتصر بهرام شاه وظفر بسيف الدين سام وقتله واستقر بهرام شاه في ملك غزنة ثم توفي بهرام شاه وملك بعده ابنه خسرو شاه وتجهز علاء الدين الحسين ملك الغورية وسار الى غزنة في سنة خمسين وخمسمائة فلما قرب منها فارقها صاحبها خسرو شاه بن بهرام شاه وسار الى هاورور وملك علاء الدين الحسين بن الحسين غزنة ونهبها ثلاثة أيام وتلقب علاء الدين بالسلطان المعظم وحمل الجتر على عادة السلاطين السلجوقية وأقام الحسين على ذلك مدة واستعمل على غزنة ابنه أخيه وهما غياث الدين محمد بن سام وأخوه شهاب الدين محمد بن سام ثم جرى بينهما وبين عميهما علاء

الدين الحسين حرب اتصرا فيه على عمهما وأسراه ولما أسراه اطلاقاه وأجلساه على التخت ووقفاه في خدمته واشمر عمهما في السلطنة وزوج غياث الدين بابنته وجعله ولي عهده وبقي كذلك الى ان مات علاء الدين الحسين بن الحسين في سنة ست وخمسين وخمسمائة على ما ذكره وملك بعده غياث الدين محمد بن سام بن الحسين وخطب لنفسه في الغور وغزنة بالملك ثم استولى الغز على غزنة وملكوها منه مدة خمس عشرة سنة ثم أرسل غياث الدين أخاه شهاب الدين الى غزنة فسار اليها وهزم الغز وقتل منهم خلقا كثيرا واستولى على غزنة وماجاورها من البلاد مثل كرمان وشنوران وماه السند وقصد لهاوور وبها يومئذ خسرو شاه بن بهرام شاه السبكتكيني فملكها شهاب الدين في سنة تسع وسبعين وخمسمائة بعد حصار وأعطى خسرو شاه الامان وحلف له فحضر خسرو شاه عند شهاب الدين بن سام المذكور فآكرمه شهاب الدين وأقام خسرو شاه على ذلك شهرين ولما بلغ غياث الدين بن سام ذلك أرسل الى أخيه شهاب الدين يطلب منه خسرو شاه فأمره شهاب الدين بالتوجه فقال خسرو شاه أنا ما أعرف أخاك ولا سلت نفسي الا اليك فطيب شهاب الدين خاطره وأرسله وأرسل أيضاً ابن خسرو شاه مع أبيه الى غياث الدين وأرسل معهما عسكريا يحفظونهما فلما وصلوا الى الغور لم يجتمع هما غياث الدين بل أمرهما فرما الى بعض القلاع وكان آخر العهد بهما وخسرو شاه المذكور هو ابن بهرام شاه ابن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وهو آخر ملوك آل سبكتكين وكان ابتداء دولتهم سنة ست وستين وثلثمائة وملكوا مائتي سنة وثلاث عشرة سنة تقريباً فيكون اقراض دولتهم في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وقد منا ذلك لتصل أخبارهم وكان ملوكهم من أحسن الملوك سيرة وقيل ان خسرو شاه توفي في الملك وملك بعده ابنه ملكشاه على ما نشير اليه في مواضعه ان شاء الله تعالى ولما استقر ملك الغورية بلهاوور واتسعت مملكتهم وكثرت عساكرهم كتب غياث الدين الى أخيه شهاب الدين باقامة الخطبة له بالسلطنة وتلقب بالقباب منها معين الاسلام قسيم أمير المؤمنين ولما استقر ذلك سار شهاب الدين الى أخيه غياث الدين واجتمعا وسارا الى خراسان وقصدوا مدينة هراة وحصروها وتسلمها غياث الدين بالامان ثم سار ومعه شهاب الدين في عساكرهما الى بوشنج فملكها ثم عاد الى باذغيس وكالين وبيوار فملكها ثم رجع غياث الدين الى بلده فيروز كوه ورجع أخوه شهاب الدين الى غزنة ولما استقر شهاب الدين بغزنة قصد بلاد الهند وفتح مدينة أجر ثم عاد الى غزنة ثم قصد الهند فذلل صاحبها وتيسر له فتح الكثير من بلادهم ودوخ ملوكهم وبلغ منهم ما لم يبلغ أحد من ملوك المساميين ولما كثرت قواحه في الهند اجتمعت الهنود مع ملوكهم في خلق كثير والتقوا مع شهاب الدين وجرى بينهم قتال عظيم فانهم المسلمون وجرح

شهاب الدين وبقي بين القتلى ثم اجتمعت عليه أصحابه وحملوه الى مدينة أجر واجتمعت عليه عساكره واقام شهاب الدين في أجر حتى أتاه المدد من أخيه غياث الدين ثم اجتمعت الهنود وتنازل الجمعان وبينهما نهر فكبس عساكر المسلمين الهنود وتمت الهزيمة عليهم وقتل المسلمون من الهنود ما يفوق الحصر وقتلت ملكتهم وتمكن شهاب الدين بعد هذه الوقعة من بلاد الهند واقطع مملوكه قطيب الدين أيك مدينة دهلي وهي من كراسي ممالك الهند فأرسل أيك عسكرا مع مقدم يقال له محمد بن بختيار فملكوا من الهند مواضع ما وصلها مسلم قبله حتى قاربوا جهة الصين

ذكر وفاة صاحب ماردين

(في هذه السنة) توفي حسام الدين تمرناش بن ايلغازي صاحب ماردين وميا فارقين وكانت ولايته نييفا وثلاثين سنة لانه ولي بدموت أبيه في سنة ست عشرة وخمسمائة حسبما تقدم ذكره وتولى بعده انه نجم الدين البلي بن تمرناش بن ايلغازي بن ارتق (ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة)

(ذكر أخبار الغز وهزيمة السلطان سنجر منهم وأسرهم)

(في هذه السنة) في الحرم انهزم السلطان سنجر من الاتراك الغز وهم طائفة من الترك وكانوا بما وراء النهر فلما ملكه الخطأ أخرجوهم منه فقصدوا خراسان وكانوا كفارا وكان من أسلم منهم وخالط المسلمين يصير ترجمانا بين الفريقين حتى صار من أسلم منهم قيل عنه انه صار ترجمانا ثم قيل تركا نابا لكاف المعجزة وجمع على تراكين ثم أسلم الغز جميعهم فقبل لهم تراكين ولما قدموا الى خراسان أقاموا بنواحي بلخ مدة طويلة ثم عن اللامير قماح مقطوع بانخ أن يخرجهم من بلاد قاهتمتوا فسار قماح اليهم في عشرة آلاف فارس فحضر اليه كبراء الغز وسألوه أن يكف عنهم ويتركهم في سرايعهم ويعطوه عن كل بيت مائتي درهم فلم يجبهم الى ذلك واسر على اخراجهم أو قتالهم فاجتمعوا واقتتلوا فانهزم قماح وتبعه الغز يقتلون ويأسرون ثم عاثوا في البلاد فاسترقوا النساء والاطفال وخربوا المدارس وقتلوا الفقهاء وعملوا كل عزيمة ووصل قماح الى السلطان سنجر منهزما واعلمه بالحال فجمع سنجر عساكره وسار اليهم في مائة ألف فارس فأرسل الغز يعتذرون اليه مما وقع منهم وبذلوا له بدلا كثيرا ليكف عنهم فلم يجبهم وقصدهم ووقعت بينهم حرب شديدة فانهزمت عساكر سنجر وتبعهم الغز يقتلون فيهم ويأسرون فقتل علاء الدين قماح وأسر السلطان سنجر وأسر معه جماعة من الامراء فضربوا أعناقهم وأماسنجر فلما أسروه اجتمع أمراء الغز وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له نحن عبيدك لا نخرج عن طاعتك وبقي منهم كذلك شهرين

أو ثلاثة ودخلوا معه إلى مرو وهي كرسى ملك خراسان فطلبها منه بختيار اقطاعا وهو من أكبر أمراء الغز فقال سنجر هذه دار الملك ولا يجوز أن يكون اقطاعا لاحد فضحكوا منه وحبق له بختيار فمعه فلما رأى سنجر ذلك نزل عن سرير الملك ودخل خانقاه مرو وتاب من الملك واستولى الغز على البلاد فتهبوا نيسابور وقتلوا الكبار والصفار وقتلوا القضاة والعلماء والصلحاء الذين بتلك البلاد فقتل الحسين بن محمد الأرسانيدي والقاضي على بن مسعود والشيخ محي الدين محمد بن يحيى الفقيه الشافعي الذي لم يكن في زمانه مثله وكان رحلة الناس من الشرق والغرب وغيرهم من الأئمة والفضلاء ولم يسلم شيء من خراسان من النهب غير هراة ودهستان لحصانتها ولما كان من هزيمة سنجر وأسره ما كان اجتمع عسكريه على مملوك لسنجر يقال له (أى به) ولقبه المؤيد واستولى المؤيد على نيسابور وطوس ونسا وأبيورد وشهرستان والدامغان وازاح الغز عنها وأحسن السيرة في الناس وكذلك استولى في السنة المذكورة على الري مملوك لسنجر يقال له اينانج وهادى المملوك واستقر قدمه وعظم شأنه

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) قتل العادل بن السلار وزير الظافر العلوي قتله ربيبه عباس بن أبي الفتوح الصنهاجى بإشارة اسامة بن منقذ وكان العادل قد تزوج بأمة عباس المذكور وأحسن تربية عباس فجازاه بأن قتله وولى مكانه وكانت الوزارة في مصر لمن غلب (وفيها) كان بين عبد المؤمن ملك الغرب وبين العرب حرب شديد انتصر فيها عبد المؤمن (وفيها) مات رجار الفرنجى ملك صقلية بالخوانيق وكان عمره قريب ثمانين سنة وملكه نحو عشرين سنة وملك بعده ابنه غيلام (وفيها) في رجب توفي بغزنة بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم السبكتكى صاحب غزنة وقام بالملك بعده ولده نظام الدين خسرو شاه وكانت مدة ملك بهرام شاه نحو ست وثلاثين سنة وذلك من حين قتل أخاه أرسلان شاه بن مسعود في سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وكان ابتداء ولايته من حين انهزم أخوه قبل ذلك في سنة ثمان وخمسمائة حسبما تقدم ذكره في السنة المذكورة وكان بهرام شاه حسن السيرة (وفيها) ملك الفرنج مدينة عسقلان وكانت لحنفاء مصر والوزراء يجهزون إليها المؤن والسلاح فلما كانت هذه السنة قتل العادل بن السلار واختلفت الأهواء في مصر فتمكن الفرنج من عسقلان وحاصروها وملكوها (وفيها) وصلت مراكب من صقلية فتهبوا مدينة تيس بالديار المصرية (وفيها) توفي أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستانى المتكلم على مذهب الأشعرى وكان اماما في علم الكلام والفقه وله عدة مصنفات منها نهاية الاقدام في علم الكلام والملل والنحل والمنهاج وتلخيص الاقسام لمذاهب الانام

ودخل بغداد سنة عشر وخمسمائة وكانت ولادته سنة سبع وستين وأربعمائة بشهرستان وتوفي بها وشهرستان اسم لثلاث مدن الأولى شهرستان خراسان بين نيسابور وخورزم عند أول الرمل المتصل بناحية خوارزم وهي التي منها محمد الشهرستاني المذكور وبناها عبد الله بن طاهر أمير خراسان والثانية شهرستان بأرض فارس والثالثة مدينة جبي بأصفهان يقال لها شهرستان وبينها وبين اليهودية مدينة أصفهان نحو ميل ومعنى هذه الكلمة مدينة الناحية بالمعجمي لان شهر اسم المدينة وأستان الناحية (ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة)

﴿ ذكر قتل الظافر وولاية ابنه الفائز ﴾

(في هذه السنة) في المحرم قتل الظافر بالله أبو منصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوي قتله وزيره عباس الصنهاجي وسببه انه كان لعباس ولد حسن الصورة يقال له نصر فاحبه الظافر وما بقي يفارقه وكان قد قدم من الشام مؤيد الدولة اسامة ابن منقذ الكنتاني في وزارة العادل فحسن لعباس قتل العادل فقتله وتولى مكانه ثم حسن لعباس أيضاً قتل الظافر فانه قال له كيف تصبر على ما أسمع من قبيح القول فقال له عباس ما هو فقال ان الناس يقولون ان الظافر يفعل بابنك نصر فاتفق عباس وأمر ابنه نصرا فدعا الظافر الى بيته وقتلاه وقتل كل من معه وسلم خادم صغير فحضر الى القصر وأعلمهم بقتل الظافر ثم حضر عباس الى القصر وطلب الاجتماع بالظافر وطلبه من أهل القصر فلم يجدوه فقال أتمم قد قتلتموه فاحضر أخوين للظافر يقال لهما يوسف وجبريل وقتلتهما عباس المذكور أيضاً ثم أحضر الفائز بنصر الله أبا القاسم عيسى بن الظافر اسماعيل ثاني يوم قتل أبوه وله من العمر ثلاث سنين فحمله عباس على كتفه وأجلسه على سرير الملك وبايع له الناس وأخذ عباس من القصر من الاموال والجواهر النفيسة شيئاً كثيراً ولما فعل عباس ذلك احتلفت عليه الكلمة ونارت الجند والسودان وكان طلائع بن رزيك في منية ابن خصيب والياً عليها فأرسل اليه أهل القصر من النساء والخدام يستغيثون به وكان فيه شهامة فجمع جمعه وقصد عباساً فهرب عباس الى نحو الشام بما معه من الاموال والتحف التي لا يوجد مثلها ولما كان في أثناء الطريق خرجت الفرنج على عباس المذكور فقتلوه وأخذوا ما كان معه وأسروا ابنه نصرا وكان قد استقر طلائع بن رزيك بعد هرب عباس في الوراثة ولقب الملك الصالح فأرسل الصالح بن رزيك الى الفرنج وبذل لهم مالا وأخذ منهم نصر بن عباس وأحضره الى مصر وأدخل القصر فقتل وصلب على باب زويلة وأما اسامة بن منقذ فانه كان مع عباس فلما قتل عباس هرب اسامة ونجا الى الشام ولما استقر أمر الصالح بن رزيك وقع في الاعيان بالديار المصرية فأبادهم بالقتل والهروب الى البلاد البعيدة

﴿ ذكر حصر تكريت ﴾

(في هذه السنة) سار المقتني لامر الله الخليفة بمساكر بغداد وحصر تكريت وأقام عليها عدة مجانبين ثم رحل عنها ولم يظفر بها .

(ذكر ملك نور الدين محمود بن زنكي دمشق)

وأخذها من صاحبها مجير الدين أبق بن محمد بن توري بن طفتكين . كان الفرنج قد تغلبوا بتلك الناحية بعد ملكهم مدينة عسقلان حتى أنهم استعرضوا كل مملوك وجارية بدمشق من التصاري واطلقوا قهرا كل من أراد منهم الخروج من دمشق واللاحق بوطنه شاء صاحبه أو أبي نخشي نور الدين أن يملكوا دمشق فكتب أهل دمشق واستألم في الباطن ثم سار إليها وحصرها ففتح له باب الشرقي فدخل منه وملك المدينة وحصر مجير الدين في القلعة وبذل له أقطاعا من جهته مدينة حمص فلم يجير الدين القلعة الى نور الدين وسار الى حمص فلم يمطه اياها نور الدين وأعطاه عوضها بالس . فلم يرضها مجير الدين وسار عنها الى العراق وأقام ببغداد وابتنى دارا بقرب النظامية وسكنها حتى مات بها (وفي هذه السنة) والتي بعدها ملك نور الدين قلعة تل باشر وأخذها من الفرنج (ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة) في هذه السنة سار الخليفة المقتني الى دقوقا فحصرها وبلغه حركة عسكر الموصل اليه فرحل عنها ولم يبلغ غرضا (وفيها) هجم الغزنيسابور بالسيف وقيل كان معهم السلطان سنجر منتقلا وله اسم السلطنة ولكن لا يلتفت اليه وكان اذا قدم اليه الطمام بدخر منه ماياً كله وقتا آخر خوفا من انقطاعه عنه لتقصيرهم في حقه (ثم دخلت سنة احدى وخمسين وخمسمائة) في هذه السنة تارت أهل بلاد أفريقية على من بها من الفرنج فقتلوهم وسار عسكر عبد المؤمن فملك بونة وخرجت جميع أفريقية عن حكم الفرنج ماعدا المهديّة وسوسة (وفيها) قبض زين الدين على كوجك نائب قطب الدين مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل على الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي وكان سليمان المذكور قد قدم الى بغداد وخطب له بالسلطنة في هذه السنة وخلع عليه الخليفة المقتني وقلده السلطنة على عادتهم وخرج من بغداد بعسكر الخليفة ليملك به بلاد الجبل فاقتتل هو وابن عمه السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه فانهمز سليمان شاه وسار يريد بغداد على شهر زور نفرج اليه على كوجك بعسكر الموصل فأسره وحبسه بقلعة الموصل مكرما الى ان كان منه ما نذ كره في سنة خمس وخمسين وخمسمائة

(ذكر وفاة خوارزم شاه)

(في هذه السنة) ناسع جمادى الآخرة توفي خوارزم شاه اطسز بن محمد بن أنوش تكين وكان قد أصابه فالج فاستعمل أدوية شديدة الحرارة فاشتد مرضه وتوفي وكانت ولادته في رجب سنة تسمين وأربعمائة وكان حسن السيرة ولما توفي ملك بعده ابنه أرسلان بن اطسز

﴿ ذكر وفاة ملك الروم ﴾

(وفي هذه السنة) توفي الملك مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بن سلجوق صاحب قونية وغيرها من بلاد الروم ولما توفي ملك بعده ابنه قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان المذكور

(ذكر هرب السلطان سنجر من أسر الغز)

(في هذه السنة) في رمضان هرب السلطان سنجر بن ملكشاه من أسر الغز وسار الى قلعة ترمذ ثم سار من ترمذ الى حيحون ووصل الى دارملكه بمرو في رمضان من هذه السنة فكانت مدة أسره من سادس جمادى الاولى سنة ثمان وأربعين الى رمضان سنة احدى وخمسين وخمسمائة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) بايع عبد المؤمن لولده محمد بولاية العهد بعده وكانت ولاية العهد لابن حفص عمر وكان من أصحاب ابن تومرت وهو من أكبر الموحدين فأجاب الى خلع نفسه والبيعة لابن عبد المؤمن (وفيها) استعمل عبد المؤمن أولاده على البلاد فاستعمل ابنه عبدالله على بجاية وأعمالها وابنه عمر على تلمسان وأعمالها وابنه عليا على فاس وأعمالها وابنه أباسعيد على سبته والحزيرة الحضراء ومالقة وكذلك غيرهم (وفي هذه السنة) سار الملك محمد ابن السلطان محمود الساجوقى من همدان بمسار كثيرة الى بغداد وحصرها وجرى بينهم قتال وحسن الخليفة المقتدى دار الخلافة واعتد للحصار واشتد الامر على أهل بغداد وبيننا الملك محمد على ذلك اذ وصل اليه الخبر ان أخاه ملكشاه ابن السلطان محمود والكنز صاحب بلاد اران ومعه الملك أرسلان ابن الملك طغريل بن محمد وكان الكنز مزوجا بأم أرسلان المذكور قد دخلوا الى همدان فرحل الملك محمد عن بغداد وسار نحوهم في الرابع والعشرين من ربيع الاول سنة اثنين وخمسين وخمسمائة (وفيها) احترقت بغداد فاحترق درب فراشا ودرب الذهب ودرب اللبان وخرابة ابن حردة والظفرية والحاتونية ودار الخلافة وباب الازج وسوق

السلطان وغير ذلك (وفيها) توفي أبو الحسن بن الحل شيخ الشافعية في بغداد وهو من أصحاب الشافعي وجمع بين العلم والعمل وتوفي ابن الأمدى الشاعر وهو من أهل النيل في طبقة العزى والأرجاني وكان عمره قد زاد على تسعين سنة (وفيها) قتل مظفر ابن حماد صاحب البطيحة قتل في الحما وتولى بعده ابنه (وفيها) توفي الواو الحلبي الشاعر المشهور (وفيها) توفي الحكيم أبو جعفر بن محمد البخاري بأسفرائن وكان علما بعلوم الفلسفة (ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة)

(ذكر الزلازل بالشام واخبار بني منقذ اصحاب شيزر الى

ان ملك نور الدين شيزر)

(في هذه السنة) في رجب كان بالشام زلازل قوية فخربت بها حماة وشيزر وحصن وحصن الاكراد وطرابلس وانطاكية وغيرها من البلاد المجاورة لها حتى وقعت الاسوار والقلاع فقام نور الدين محمود بن زنكي في ذلك الوقت المقام المرضى من تداركها بالعمارة واغارته على الفرنج ليشغلهم عن قصد البلاد وهلاك تحت الهدم ما لا يحصى ويكفي ان معلم كتاب كان بمدينة حماة فارق المكتب وجاءت الزلزلة فسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يحضر أحد يسأل عن صبي كان له هناك ولما خربت قلعة شيزر بهذه الزلزلة ومات بنو منقذ تحت الردم سار الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي الى شيزر وملكها يوم الثلاثاء ثالث جمادى الاولى من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة واستولى على كل من فيها بنى منقذ وسلمها الى مجد الدين أبي بكر بن الداية وقد ذكر ابن الاثير ان شيزر لم تزل لبني منقذ يتوارثونها من أيام صالح بن مرداس صاحب حاب ولبس الامر كذلك فان صالح المذكور كانت وفاته في سنة عشرين وأربعمائة وملك بنى منقذ لشيزر كان في سنة أربع وسبعين وأربعمائة فيكون ملكهم لشيزر بعد وفاة صالح بن مرداس بأربع وخمسين سنة ونحن نورد أخبار بنى منقذ محققة حسبما نقلناها من تاريخ مؤيد الدولة أمانة بن مرشد وكان المذكور أفضل بنى منقذ قال وفي سنة ثمان وستين وأربعمائة بدأ جدى بسيد الملك أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر ابن منقذ الكنتاني بعمارة حصن الجسر وحصره حصن شيزر (أقول) ويعرف الجسر المذكور في زماننا بجسر ابن منقذ وموضع الحصن اليوم تل خال من العمارة وهو غربى شيزر على مسافة قريبة منها رجعنا الى كلام ابن منقذ قال وكان في شيزر وال للروم اسمه دمترى فلما طالت المضايقة لدمترى المذكور راسل جدى هو ومن عنده من الروم في تسليم حصن شيزر اليه باقتراحات اقترحوها عليه منها مال يدفعه الى دمترى المذكور ومنها ابقاء املاك الاسقف الذي بها عليه فانه اتمر مقيما تحت يد جدى

حتى مات بشيزر ومنها ان القنطارية وهم رجالة الروم يسلفهم ديوانهم لثلاث سنين فلم
اليهم جدى ما القسوه وتسلم حصن شيزر يوم الاحد في رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة
واستمر سيد الملك على بن مقلد المذكور مالكا الى ان توفي فيها في سادس المحرم سنة
تسع وسبعين وأربعمائة وتولى به بده ولده أبو المرهف نصر بن على الى ان توفي سنة
احدى وتسعين وأربعمائة وتولى بده أخوه أبو المماكر سلطان بن على الى ان توفي
فيها وتولى ولده محمد بن سلطان الى ان مات تحت الردم هو وثلاثة أولاده بالزلزلة في
هذه السنة المذكورة أعنى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة في يوم الاثنين ثالث رجب
انتهى ما قلناه من تاريخ ابن منقذ * ولترجع الى كلام ابن الاثير قال فلما انتهى ملك
شيزر الى نصر بن على بن نصر بن منقذ استمر فيها الى ان مات سنة احدى وتسعين
وأربعمائة * فلما حضره الموت استخلف أخاه مرشد بن على على حصن شيزر فقال
مرشد والله لا وليته ولا خرجن من الدنيا كما دخلتها ومرشد هو والد مؤيد الدولة
أسامة بن منقذ فلما امتنع مرشد من الولاية ولاها نصر أخاه الصغير سلطان بن على
واستمر مرشد مع أخيه سلطان على أجل محبة مدة من الزمان وكان لمرشد عدة أولاد
نجباء ولم يكن لسلطان واد ثم جاء لسلطان الاولاد نخشى على أولاده من أولاد أخيه
مرشد وسعى المفسدون بين مرشد وسلطان فتغير كل منهما على صاحبه فكتب سلطان
الى أخيه مرشد أبياتا يماثيه وكان مرشداً بالادب والشعر فأجابه مرشد بقصيدة طويلة منها

شكت هجرنا والذنب في ذاك ذنبا فباعجبا من ظالم جاء شاكيا
وطاوعت الواشين فيّ وطال ما عصيت عنولا في هواها وواشيا
ومال بهاتيه الجمال الى القلي وهيات ان أمسوها الدهر قاليا
(ومنها)

ولما أتات من قريظك جوهر جمعت المعالي فيه لى والمعاني
وكنت همحرت الشعر حين لانه تولى برغضى حين ولى شبانيا
(ومنها)

وقلت أخى يرعى بنى واسرتى ويحفظ عهدي فيهم وذماليا
فالك لما ان حتى الدهر صمدتى وتلم منى صار ما كان ماضيا
تنكرت حتى صار برك قسوة وقربك منهم جفوة وتائيا
على انى ما حلت عما عهدته ولا غيرت هذى السنون وداديا

وكان الامر بين مرشد وأخيه سلطان فيه تماك الى ان توفي مرشد سنة احدى وثلاثين
وخمسمائة فأظهر سلطان التغير على أولاد أخيه مرشد المذكور وجاهرهم بالعداوة

فقارقوا شيزر وقصد أكثرهم نور الدين محمود بن زنكى وتشكوا اليه من عمهم سلطان ففاظه ذلك ولم يمكنه تصده لاشتماله مجاهد الفرنج وبقي سلطان كذلك الى أن توفي وولى بعده أولاده فلما خربت القلعة في هذه السنة بالزلزلة لم ينج من بني منقذ الذين كانوا بها أحد فان صاحبها منهم كان قد خبتن ولده وعمل دعوة للناس وأحضر جميع بني منقذ في داره فجاءت الزلزلة فسقطت الدار والقلعة عليهم فهلكوا عن آخرهم وكان لصاحب شيزر بن منقذ المذكور حصان يحبه ولا يزال على باب داره فلما جاءت الزلزلة وهلك بنو منقذ تحت الهدم سلم منهم واحد وهرب يطلب باب الدار فلما خرج من الباب رفسه الحصان المذكور فقتله وتسلم نور الدين القلعة والمدينة

ذكر وفاة السلطان سنجر

﴿ في هذه السنة ﴾ في ربيع الاول توفي السلطان سنجر بن ملكشاه بن الب ارسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق أصابه قولنج ثم اسهال فمات منه ومولده بسننجر في رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة واستوطن مدينة مرو من خراسان وقدم الى بغداد مع أخيه السلطان محمد واجتمع معه بالخليفة المستظهر فلما مات محمد خوطب سنجر بالسلطان واستقام أمره واطاعته السلاطين وخطب له على أكثر منابر الاسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة وكان قبلها يخاطب بالملك نحو عشرين سنة ولم يزل أمره عاليا الى ان أسره الغزولما خاص من أسرهم وكاد أن يمود اليه ملكه أدركه أجله وكان مهيباً كريماً وكانت البلاد في زمانه آمنة ولما وصل خبر موته الى بغداد قطعت خطبته ولما حضر سنجر الموت استخلف على خراسان الملك محمود بن محمد بن بهراخان وهو ابن أخت سنجر فاقام خائفاً من الغز

ذكر غير ذلك من الحوادث

﴿ في هذه السنة ﴾ استولى أبو سعيد بن عبد المؤمن على غرناطة من الاندلس وأخذها من الملتمين وانقضت دولة الملتمين ولم يبق لهم غير جزيرة ميورقة ثم سار أبو سعيد في جزيرة الاندلس وفتح المرية وكانت بأيدي الفرنج مدة عشر سنين (وفيها) ملك نور الدين بعلبك وأخذها من انسان كان قد استولى عليها من أهل البقاع يقال له ضحاك البقاعي كان قد ولاء صاحب دمشق عليها فلما ملك نور الدين دمشق استولى ضحاك المذكور على بعلبك (وفيها) قلع المقتني الخليفة باب الكعبة وعمل عوضه باباً مصفحاً بالفضة المذهبة وعمل لنفسه من الباب الاول تابوتاً يدفن فيه (وفيها) مات محمد بن عبد اللطيف بن محمد الحنظلي رئيس أصحاب الشافعي باصفهان . كان صدراً مقدماً عند السلاطين (ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة) فيها قصد

ملكشاه ابن السلطان محمود السلجوقي قم وقاشان ونههما وكان أخوه السلطان محمد ابن محمود بعد رحيله عن حصار بغداد قد مرض فطال مرضه فإرسل الى أخيه ملكشاه أن يكف عن النهب ويجعله ولي عهده فلم يقبل ملكشاه ذلك ثم سار ملكشاه الى خورستان واستولى عليها وأخذها من صاحبها شملة التركاني (وفي هذه السنة) توفي يحيى بن سلامة بن الحسن بيمارقين الحصكفي الشاعر وكان يتشيع ومن شعره

وخليع بت أعذله ويرى عذلى من العبت
 قلت ان الحمر مخبئة قال حاشاها من الحبت
 قلت فالارفاث تتبعها قال طيب العيش في الرفث
 قلت منها التقي قال أجل شرفت عن مخرج الحبت
 وأسألوها فقلت متى قال عند الكون في الجذث

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسائة ﴾

ذكر فتح المهديّة

في أواخر هذه السنة نزل عبد المؤمن على مدينة المهديّة وأخذها من الفرنج يوم عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسائة وملك جميع افريقية وكان قد ملك الفرنج المهديّة في سنة ثلاث وأربعين وخمسائة وأخذوها من صاحبها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي وبقيت في أيديهم الى هذه السنة ففتحها عبد المؤمن فكان ملك الفرنج المهديّة اثنتي عشرة سنة تقريبا ولما ملكها عبد المؤمن أصلح أحوالها واستعمل عليها بعض أصحابه وجعل معه الحسن بن علي الصنهاجي الذي كان صاحبها وكان قد سار الى بني حماد ملوك بجاية ثم اتصل بعبد المؤمن حسبما تقدم ذكر ذلك فأقام عنده مكرما الى هذه السنة فاعاده عبد المؤمن الى المهديّة وأعطاه بها دورا نفيسة واقطاعاً ثم رحل عبد المؤمن عنها الى الغرب

ذكر وفاة السلطان محمد

﴿ وفي هذه السنة ﴾ وقيل في سنة خمس وخمسين توفي السلطان محمد بن محمود بن محمد ابن ملكشاه السلجوقي في ذى الحجة وهو الذي حاصر بغداد * ولما عاد عنها لحقه سل وطال به فمات بباب همدان وكان مولده في ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين وخمسائة وكان كريما عاقلا وخلف ولدا صغيرا ولما حضره الموت سلم ولده الى اقسنقر الاحديلي وقال أنا أعلم ان العساكر لا تطيع مثل هذا الطفل فهو وديمة عندك فارحل به الى بلادك فرحل به اقسنقر الى بلدة مراغا ولما مات السلطان محمد اختلفت الامراء فطائفة طلبوا ملكشاه أخاه وطائفة طلبوا سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه

ابن اليب أرسلان الذي كان قد اعتقل في الموصل وهم الاكثر ومنهم من طلب
ارسلان بن طغريل الذي كان مع الذكر وبعد موت محمد سار أخوه ملكشاه الي
اصفهان فملكها

(ذكر مرض نور الدين)

﴿ وفي هذه السنة ﴾ مرض نور الدين بن زنكي مرضاً شديداً أرجم بموته بقلعة
حلب فجمع أخوه أمير ميران ابن زنكي جمعا وحصر قلعة حلب وكان شيركوه بمحصر
وهو من أكبر أمراء نور الدين فسار الى دمشق ليستولى عليها وبها أخوه نجم الدين
أيوب فانكر عليه أيوب ذلك وقال أهلكتنا والمصلحة أن تمود الى حلب فان كان نور
الدين حيا خدمته في هذا الوقت وان كان قد مات فانا في دمشق فعمل ما تريد من
ملكها فعاد شيركوه الى حلب مجدداً وجلس نور الدين في شبك يراه الناس فلما رأوه
حيا تفرقوا عن أخيه أمير ميران واستقامت الاحوال

﴿ ذكر اخبار اليمن من تازيخ اليمن لعمارة ﴾

﴿ وفي هذه السنة ﴾ استقر في ملك اليمن علي بن مهدي وأزال ملك بني نجاح على ما قدمنا
ذكره في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وعلى بن مهدي المذكور من حمير من أهل قرية
يقال لها العنبرة من سواحل زبيد كان أبوه مهدي المذكور رجلاً صالحاً ونشأ ابنه
على طريقة أبيه في العزلة والتمسك بالصالح ثم حج واجتمع بالعراقيين وتصلح من
معارفهم ثم صار على بن مهدي المذكور واعظاً وكان فصيحاً صديحاً حسن الصوت
علماً بالتفسير غزير المحفوظات وكان يتحدث في شيء من أحواله المستقبلات فيصدق
فالت اليه القلوب واستفحل أمره وصار له جموع فقصد الجبال وأقام بها الى سنة
احدى وأربعين وخمسمائة ثم عاد الى أملاكه وكان يقول في وعظه أيها الناس دنا الوقت
أزف الامر كانكم بما أقول لكم وقد رأيتموه عياناً ثم عاد الى الجبال الى حصن يقال
له الشرف وهو لبطن من خولان فاطاعوه وسماهم الانصار وسمى كل من صعد معه من
تهامة المهاجرين وأقام على خولان رجلاً اسمه سبا وعلى المهاجرين رجلاً اسمه التويقي
وسمى كلا من الرجلين شيخ الاسلام وجعلهما نقيبين على الطائفتين فلا يخاطبه
أحد غيرهما وهما يوصلان كلامه الى الطائفتين وكلام الطائفتين وحوادثهما اليه
وأخذ يفادي الغارات ويروحها على التهام حتى أخلى البوادي وقطع الحرث والقوافل
ثم انه حاصر زبيد واستمر مقيماً عليها حتى قتل فاتك بن محمد آخر ملوك بني نجاح قتله
عيده وجرى بين ابن مهدي وعبيد فاتك حروب كثيرة وأخرها ان ابن مهدي انتصر
عليهم وملك زبيد واستقر في دار الملك يوم الجمعة رابع عشر رجب من هذه السنة

أعنى سنة أربع وخمسين وخمسمائة وبقي ابن مهدي في الملك شهرين واحد وعشرين يوماً ثم مات على بن مهدي المذكور في السنة التي ملك فيها في شوال ثم ملك اليمين بعده ولده مهدي بن علي بن مهدي ولم يقع تاريخ وفاته ثم ملك اليمين بعده ولده عبد النبي بن مهدي ثم خرجت المملكة عن عبد النبي المذكور إلى أخيه عبد الله ثم عادت إلى عبد النبي واستقر فيها حتى سار إليه توران شاه بن أيوب من مصر في سنة تسع وستين وخمسمائة وفتح اليمين واستقر في ملكه وأسر عبد النبي المذكور وهو عبد النبي ابن مهدي بن علي بن مهدي الحميري وهو من ملك اليمين من بني حمير وكان مذهب علي بن مهدي التكفير بالمعاصي وقتل من خالف اعتقاده من أهل القبلة واستباحة وطء سباياهم واسترقاق ذراريهم وكان حنفي الفروع وكان أصحابه يعتقدون فيه فوق ما يعتقدونه الناس في الأنبياء صلوات الله عليهم ومن سيرته قتل من شرب ومن سمع الفناء (ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة)

(ذكر مسير سليمان شاه إلى همدان وما كان منه إلى أن قتل)

مات محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان أرسلت الأمراء وطلبوا عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه ليولوه السلطنة وكان قد اعتقل في الموصل مكرماً فجهزه قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل بشيء كثير وجهاز يليق بالسلطنة وسار معه زين الدين علي كجك بمسكن الموصل إلى همدان وأقبلت العساكر اليهم كل يوم تلقاه طائفة وأمير ثم تسلمت العساكر عليه ولم يبق له حكم وكان سليمان فيه تهور وخرق وكان يدمن شرب الخمر حتى أنه شرب في رمضان نهاراً وكان يجمع عنده المساخر ولا يلتفت إلى الأمراء فأهمل المسكر أمره وصاروا لا يحضرون بابه وكان قد رد جميع الأمور إلى شرف الدين كردباز والخادم وهو من مشايخ الخدم السلجوقية يرجع إلى دين وحسن تدبير فاتفق يوماً أن سليمان شرب بظاهر همدان بالكشك فحضر إليه كردباز ولامه فأمر سليمان من عنده من المساخر فمبثوا بكردبازو حتى أن بعضهم كشف له سوءه فاتفق كردبازو مع الأمراء على قبضه وعمل كردبازو دعوة عظيمة فلما حضرها الملك سليمان في داره قبض عليه كردبازو وحبسه وبقي في الحبس مدة ثم أرسل إليه كردبازو من خنقه وقيل سقاه سما فمات في ربيع الآخر سنة ست وخمسين وخمسمائة ولما مات سار الدكز في عساكر تزيد على عشرين ألفاً ومعه أرسلان شاه ابن طغريل بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان ووصل إلى همدان فلقبه كردبازو وأنزله في دار المملكة وخطب لأرسلان شاه بالسلطنة وكان الدكز مزوجاً بأم أرسلان شاه فولدت للدكز أولاداً منهم البهلوان محمد وقتل أرسلان عثمان أبناء الدكز

وبقي الدكز اتابك ارسلان وابنه البهلوان وهو أخو ارسلان لأمه حاجيه وكان هذا الدكز أحد مماليك السلطان مسعود اشتراه في أول أمره ثم أقطعه اران وبعض بلاد اذربيجان فمطم شاه وقوى أمره * ولما خطب لارسلان شاه بالسلطنة في تلك البلاد أرسل الدكز الى بغداد يطالب الخطبة لارسلان شاه بالسلطنة على عادة الملوك السلجوقية فلم يجب الى ذلك ونحن قد قدمنا ذكر موت سليمان وولاية ارسلان ليتصل ذكر الحادثة وهي في الكامل مذكورة في موضعين في سنة خمس وستة وخمسمائة

ذكر وفاة الفائز وولاية العاضد العلويين

﴿ في هذه السنة ﴾ توفي الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى بن اسماعيل الظافر خليفة مصر وكانت خلافته ست سنين ونحو شهرين وكان عمره لما ولي ثلاث سنين وقيل خمس سنين ولما مات دخل الصالح بن رزيق القصر وسأل عمن يصلح فاحضر له منهم اسان كبير السن * فقال بعض أصحاب الصالح له سرا لا يكون عباس أحزم منك حيث اختار الصغير فأعاد الصالح الرجل الى موضعه وأمر باحضار العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله ابن الامير يوسف بن الحافظ ولم يكن أبوه حليفة وكان العاضد ذلك الوقت مراهما فبايع له بالخلافة وزوجه الصالح بابنته ونقل معها من الجهاز ما لا يسمع بمثله

ذكر وفاة المقتفي لامر الله

﴿ في هذه السنة ﴾ تانى ربيع الاول توفي الخليفة المقتفي لامر الله أبو عبد الله محمد ابن المستظهر أبي العباس أحمد بعلة التراقي وكان مولده تانى ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأمه أم ولد وكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوما وكان حسن السيرة وهو أول من استبد بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه وكان يئذ الاموال العظيمة لاصحاب الاخبار في جميع البلاد حتى كان لا يفوته منها شئ

ذكر خلافة المستنجد

وهو تانى ثلاثينهم * ولما توفي المقتفي لامر الله محمد بويغ ابنه يوسف ولقب المستنجد بالله وأم المستنجد أم ولد تدعى طاووس ولما بويغ المستنجد بالخلافة بايحه أهله وأقاربه فمنهم عمه أبو طالب ثم أخوه أبو جعفر بن المقتفي وكان أكبر من المستنجد ثم بايحه الوزير ابن هيرة وقاضى القضاة وغيرهم

(ذكر وفاة صاحب غزنة)

﴿ في هذه السنة ﴾ في رجب توفي السلطان خسروشاه بن بهرامشاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمد بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا حسن السيرة وكانت ولايته في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ولما مات ملك بعده ابنه ملكشاه ابن خسروشاه وقيل والده خسروشاه المذكور توفي في حبس غياث الدين الغورى وانه آخر ملوك بني سبكتكين حسبما تقدم ذكره في سنة سبع وأربعين وخمسمائة والله أعلم بالصواب

ذكر وفاة ملكشاه السلجوقى

(في هذه السنة) توفي السلطان ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن ابى ارسلان باصفهان مسموما

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

﴿ في هذه السنة ﴾ حج أسد الدين شيركوه بن شاذى مقدم جيش نور الدين محمود ابن زنكى (ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة) في هذه السنة في ربيع الآخر توفي الملك علاء الدين الحسين بن الحسين الغورى ملك الغور وكان عادلا حسن السيرة ولما مات ملك بعده ابن أخيه غياث الدين محمد وقد تقدم ذكر ذلك في سنة سبع وأربعين وخمسمائة

ذكر نهب نيسابور وتخریبها وعمارة الشاذباخ

﴿ في هذه السنة ﴾ تقدم المؤيد (أى به) بامسك أعيان نيسابور لانهم كانوا رؤساء الاحرامية والمفسدين وأخذ المؤيد يقتل المفسدين فخربت نيسابور وكان من جملة ما خرب مسجد عقيل وكان مجما لاهل العلم وكان فيه خزائن الكتب الموقوفة وخرب من مدارس الحنفية سبع عشرة مدرسة وأحرق ونهب عدة من خزائن الكتب وأما الشاذباخ فان عبد الله بن طاهر بن الحسين بناها لما كان أميراً على خراسان للمأمون وسكنها هو والجنود ثم خربت بعد ذلك ثم جددت في أيام السلطان ابى ارسلان السلجوقى ثم تشعبت بعد ذلك فلما كان الآن وخربت نيسابور أمر المؤيد (أى به) بإصلاح سور الشاذباخ وسكنها هو والناس فخربت نيسابور كل الحراب ولم يبق بها أحد

ذكر قتل الصالح بن رزيك

﴿ في هذه السنة ﴾ في رمضان قتل الملك الصالح أبو الفارات طلائع بن رزيك الارمنى وزير العاضد العلوى جهزت عليه عمه العاضد من قتله وهو داخل في القصر بالسكاكين

ولم يمت في تلك الساعة بل حمل الى بيته وأرسل يعتب على العاضد فأرسل العاضد الى
 طلائع المذكور يخلف له انه لم يرض ولا علم بذلك وأمسك العاضد عمته وأرسلها الى
 طلائع فقتلها وسأل العاضد أن يولي ابنه رزيق الوزارة ولقب العادل ومات طلائع
 واستقر ابنه العادل رزيق في الوزارة وكان لا صالح طلائع شعر حسن فنه في الفخر
 أي الله إلا أن يدين لنا الدهر ويخدمنا في ملكنا العز والنصر
 علمنا بأن المال تفي الوفاء ويبقى لنا من بعده الاجر والذكر
 خلطنا الندى بالبأس حتى كآتنا سحاب لديه البرق والرعد والقطر

ذكر ملك عيسى مكة حرسها الله تعالى

كان أمير مكة قاسم بن أبي فليته بن قاسم بن أبي هاشم العلوي الحسيني فلما سمع بقرب
 الحاج من مكة صادر المجاورين وأعيان مكة وأخذ أموالهم وهرب الى البرية فلما
 وصل الحاج الى مكة رتب أمير الحاج مكان قاسم عمه عيسى بن قاسم بن أبي هاشم
 فبقي كذلك الى شهر رمضان ثم ان قاسم بن أبي فليته جمع العرب وقصد عمه عيسى
 فلما قارب مكة رحل عنها عيسى فعاد قاسم فملكها ولم يكن معه ما يرضى به العرب
 فكاتبوا عمه عيسى وصاروا معه فقدم عيسى اليهم فهرب قاسم وصعد الى جبل أبي قيس
 فسقط عن فرسه فاخذه أصحاب عمه عيسى وقتلوه ففصله عمه عيسى ودفعه بالمعلى عند
 ابنه أبي فليته واستقرت مكة لعيسى

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) عبر عبدالمؤمن بن علي المجاز الى الاندلس وبنى على جبل طارق من
 الاندلس مدينة حصينة وأقام بها عدة أشهر ثم عاد الى مراکش (وفيها) ملك قرار
 أرسلان صاحب حصن كيفا قلعة شاتان وكانت لطائفة من الاكراد ولما ملكها خربها
 وازاد أعمالها الى حصن طرابلس (ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة) في هذه
 السنة نازل نور الدين محمود بن زنكي قلعة حارم وهي للفرنج مدة ثم رحل عنها ولم
 يملكها (وفيها) سارت الكرج في جمع عظيم ودخلوا بلاد الاسلام وملكوا مدينة دوين
 من أعمال أذربيجان ونهبوها ثم جمع الدكر صاحب أذربيجان جمعا عظيما وغزا الكرج وانتصر
 عليهم (وفيها) حج الناس فوقت فتنة وقتال بين صاحب مكة وأمير الحاج فرحل الحجاج
 ولم يقدر بعضهم على الطواف بعد الوقفة قال ابن الاثير وكان بمن حج ولم يطف جده
 أم أيه فوصلت الى بلادها وهي على احرامها واستفتت الشيخ أبا القاسم بن البرزى فافق
 انها اذا دامت على ما بقى من احرامها الى قابل وطافت كمل حجها الاول ثم تقدي وحل
 ثم تحرم احراما ثانياً وتقف بعرفات وتكمل مناسك الحج فيصير لها حجة ثانية فبقيت

على احرامها الى قابل وفعلت كما قال قم حجها الاول والثاني ﴿ وفيها ﴾ مات الكيا
الصنهاجى صاحب الالموت مقدم الاسماعيلية وقام ابته مقامه فظهر التوبة ﴿ وفيها ﴾
في المحرم توفي الشيخ عدى بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الكمارية من أعمال الموصل
واصل الشيخ عدى من الشام من بلد بعلبك فانتقل الى الموصل وتبعه أهل
السواد والحيال بتلك النواحي وأطاعوه وأحسنوا الظن به ﴿ ثم دخلت سنة ثمان
وخمسين وخمسمائة ﴾

ذكر وزارة شاور ثم الضرغام

﴿ في هذه السنة ﴾ في صفر وزير شاور للعاقد لدين الله العلوى وكان شاور يخدم الصالح
طلائع بن رزيك فولاه الصعيد وكانت ولاية الصعيد أكبر المناصب بعد الوزارة ولما خرج
الصالح أوصى ابنه العادل ان لا يغير على شاور شيئاً لعلمه بقوة شاور فلما تولى العادل
ابن الصالح الوزارة كتب الى شاور بالاعزل فجمع شاور جموعه وسار نحو العادل
الى القاهرة فهرب العادل وطرد وراه شاور وأمسكه وقتله وهو العادل رزيك بن
الصالح طلائع بن رزيك وانقضت بمقتله دولة بنى رزيك وفيهم يقول عمارة التميمي
من أبيات طويلة

وات ليالى بنى رزيك وانصرمت والمدح والشكر فيهم غير منصرم

كان صالحهم يوما وعادلهم في صدرذا الدست لم يقعد ولم يقم

واستقر شاور في الوزارة وتلقب بأمر الحيوش وأخذ أموال بنى رزيك وودائعهم ثم
الضرغام جمع جمعا وتازع شاور في الوزارة في شهر رمضان وقوى على شاور فانهزم
شاور الى الشام مستنجدا بنور الدين ولما تمكن ضرغام في الوزارة قتل كثيرا من
الامراء المصريين لتحلولة البلاد فضعفت الدولة لهذا السبب حتى خرجت البلاد من أيديهم

﴿ ذكر وفاة عبد المؤمن ﴾

في هذه السنة في العشرين من جمادى الآخرة توفي عبد المؤمن بن على صاحب بلاد
المغرب وأفريقية والاندلس وكان قد سار من مراکش الى سلا فرض بها ومات ولما
حضره الموت جمع شيوخ الموحدين وقال لهم قد جرت ابني محمدا فلم أراه يصلح لهذا
الأمر وإنما يصلح له ابني يوسف فقدموه فبايعوه ودعى أمير المؤمنين واستقرت قواعد
ملكه وكانت مدة ولاية عبد المؤمن ثلاثا وثلاثين سنة وشهورا وكان حازما سديدا رأى
حسن السياسة للامور كثير سفك الدم على الذنب الصغير وكان يعظم أمر الدين ويقويه
ويلزم الناس بالصلاة بحيث أنه من رؤى وقت الصلاة غير متصل قتل وجمع الناس في المغرب
على مذهب مالك في الفروع وعلى مذهب أبي الحسن الأشعري في الأصول

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) ملك المؤيد (اى به) قومس ولما ملكها أرسل اليه السلطان أرسلان بن طغريل بن ملكشاه خذمة وألوية وهدية جليلة فلبس المؤيد اى به الخلع وخطب له في بلاده (وفي هذه السنة) كبس الفرنج نور الدين محمود وهو نازل بمسكوه في البقيعة تحت حصن الاكراد فلم يشمر نور الدين وعسكره الا وقد أظلت عليهم صلبان الفرنج وقصدوا خيمة نور الدين فلسرعة ذلك ركب نور الدين فرسه وفي رحله السنجة فنزل انسان كردي فقطعها فنجوا نور الدين وقتل الكردي فأحسن نور الدين الى مخلفيه ووقف عليهم الوقوف وسار نور الدين الى بحيرة حصن فنزل عليها وتلاحق به من سلم من المسلمين (وفيها) أمر الخليفة المستنجد باجلاء بنى أسد وهم أهل الحلة المزيدية فقتل منهم جماعة وهرب الباقون وتشتتوا في البلاد وذلك لفسادهم في البلاد وسلمت بطانهم وبلادهم الى رجل يقال له ابن معروف (وفيها) توفي سيد الدولة محمد بن عبد الكريم بن ابراهيم المعروف بابن الانباري كاتب الانشاء بدار الخلافة وكان فاضلاً أديباً وكان عمره قريب تسعين سنة (ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة) في هذه السنة سير نور الدين محمود بن زنكي عسكراً مقدمهم أسد الدين شيركوه بن شاذى الى الديار المصرية ومعه شاور وكان قد سار من مصر هارباً من ضرغام الوزير فلاحق شاور بنو الدين واستنجدوه وبذل له ثلث أموال مصر بعدد رفق جندها ان أعاده الى الوزارة فأرسل نور الدين شيركوه الى مصر فوصل اليها وهزم عسكر ضرغام وقتل ضرغام عند قبر السيدة نفيسة وأعاد شاور الى وزارة العاضد العلوي وكان مسير أسد الدين في جمادى الاولى من هذه السنة واستقر شاور في الوزارة وخرجت اليه الخلع في مستهل رجب من هذه السنة ثم غدر شاور بنور الدين ولم يف له بشئ مما شرط فسار أسد الدين واستولى على بلييس والشرقية فأرسل شاور واستنجد بالفرنج على اخراج أسد الدين شيركوه من البلاد فسار الفرنج واجتمع معهم شاور بمسكوه مصر وحصروا شيركوه ببلييس ودام الحصار مدة ثلاثة أشهر وبلغ الفرنج حركة نور الدين وأخذ حارم فراسلوا شيركوه في الصلح وفتحوا له نخرج من بلييس بمن معه من العسكر وسار بهم ووصلوا الى الشام سالمين (وفي هذه السنة) في رمضان فتح نور الدين محمود قلعة حارم وأخذها من الفرنج بعد مصاف جرى بين نور الدين والفرنج انتصر فيه نور الدين وقتل وأسر من الفرنج طالما كثيراً وكان في جملة الاسرى البرانس صاحب انطاكية والقومص صاحب طرابلس وغنم منهم المسلمون شيئاً كثيراً (وفي هذه السنة) أيضاً في ذي الحجة سار نور الدين الى بانياس وفتحها وكانت بيد الفرنج من سنة ثلاث واربعين وخمسمائة الى هذه السنة (وفي هذه السنة) توفي جمال الدين ابو جعفر محمد بن علي بن ابي

منصور الاصفهاني وزير قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل في شعبان مقبوضا عليه وكان قد قضى عليه قطب الدين في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكان قد تماهد جمال الدين المذكور واسد الدين شيركوه انهما من مات منهما قبل الآخر ينقله الآخر الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فيدفنه فيها فنقله شيركوه واكثرى له من يقرأ القرآن عند شيله وحطه وكان ينادى في كل بلد ينزلونه بها بالصلاة عليه ولما ارادوا الصلاة عليه بالحلة صعد شاب على موضع مرتفع وانشد

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما سرى جوده فوق الركاب ونائله
يمر على الوادي فتبكي رمله عليه وبالنادى فتشئ ارامله

وطيف به حول الكعبة ودفن في رباط بالمدينة بناه لنفسه وبينه وبين قبر النبي صلى الله عليه وسلم نحو خمسة عشر ذراعا وهذا جمال الدين هو الذي جدد مسجد الحيف بمنى وبنى الحجر بجانب الكعبة وزخرف الكعبة وغرم جملة طائلة لصاحب مكة وللمقتفي حتى مكنته من ذلك وهو الذي بنى المسجد الذي على جبل عرفات وعمل الدرج اليه وعمل بعرفات مصانع الماء وبني سورا على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وبنى على دجلة جسر عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والكلس فقبض قبل ان يفرغ وبنى الربط وغيرها (وفي هذه السنة) توفي نصر بن خلف ملك سجستان وعمره اكثر من مائة سنة ومدة ملكه ثمانون سنة وملك بعده ابنه ابو الفتح احمد بن نصر (وفيها) توفي الامام عمر الخوارزمي خطيب بلخ ومفتيها والقاضي ابو بكر المحمودي صاحب التصانيف والاشعار وله مقامات بالفارسية على نمط مقامات الحريري (ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة) في هذه السنة في ربيع الاول توفي شاه مازندران رستم بن علي بن شهر يار بن قارن وملك بعده ابنه علاء الدين الحسن (وفيها) ملك المؤيد اى به مدينة هراة (وفيها) كان بين قليج ارسلان صاحب قونية وماجاورها من بلاد الروم وبين باغى ارسلان ابن الدانשמند صاحب ملطية وماجاورها من بلاد الروم حروب شديدة انهزم فيها قليج ارسلان واتفق موت باغى ارسلان صاحب ملطية في تلك المدة وملك بعده ملطية ابن اخيه ابراهيم بن محمد بن الدانשמند واستولى ذوالنون ابن محمد بن الدانשמند على قيسارية وملك شاهان شاه بن مسعود اخو قليج ارسلان مدينة انكورية واسطلاح المذكورون على ذلك واستقرت بينهم القواعد واتفقوا (وفيها) توفي عون الدين الوزير ابن هبيرة واسمه يحيى بن محمد بن المظفر وكان موته في جمادى الاولى ومولده سنة سبعين واربعمائة ودفن بالمدرسة التي بناها لاحتبالة بباب البصرة وكان حنبلي المذهب واتفق على المقتفي انفا قاعظيما حتى ان المقتفي كان يقول لم يتوزر لى العباس مثله ولما مات قبض على اولاده واهله (وفيها) توفي الشيخ الامام ابو القاسم عمر بن عكرمة بن البرزى

الفيق الشافعي تفقه على الكيالهراسي وكان أوحد زمانه في الفقه وهو من جزيرة ابن عمر (وفيها) توفي أبو الحسن هبة الله بن ساعد بن هبة الله المعروف بأمين الدولة ابن التلميذ وقد ناهز المائة من عمره وكان طيب دار الخلافة ببغداد ومحظيا عند المقتدى وكان حاذقا فاضلا ظريف العنصر عالي الهمة مصيب الفكر شيخ النصارى وقسيسهم وكان له في الادب يد طولى وكان متفنا في العلوم وكان فضلاء عصره يتعجبون كيف حرم الاسلام مع كمال فهمه وغزارة علمه والله يهدى من يشاء بفضلته ويضل من يريد بحكمته وكان أوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن ملكان الحكيم المشهور صاحب كتاب المعتبر في الحكمة معاصرا لابن التلميذ المذكور وكان بينهما تنافس كما يقع كثيرا بين اهل كل فضيلة وصنعة وكان أبو البركات المذكور يهوديا ثم اسلم في آخر عمره وواصله الجذام وتداوى وبرى منه وذهب بصره وبقي أعمى وكان متكبرا وكان ابن التلميذ متواضعا فعمل ابن التلميذ في أبي البركات المذكور

لنا صديق يهودى حماقته اذا تكلم تبدو فيه من فيه

يته والكلب أعلى منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه

ولابن التلميذ ايضا

يامن رمانى عن قوس فرقة بسهم هجر على تلافيه

ارض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيه

وله التصانيف الحسنة منها كتاب اقربا بآذين وله على كليات القانون حواشى وكتاب اقربا بآذين ابن التلميذ المذكور هو المعتمد عليه عند الاطباء وكان شيخه في الطب ابا الحسن هبة الله ابن سعيد صاحب المغنى في الطب ولا ابن سعيد المذكور ايضا الاقناع في الطب وهو كتاب جيد في اربعة اجزاء (ثم دخلت سنة احدى وستين وخمسمائة) في هذه السنة فتح نور الدين محمود حص المنيطرة من الشام وكان بيد الفرنج (وفيها) في ربيع الآخر توفي الشيخ عبد القادر بن ابي صالح الحلبى وكنيته ابو محمد وكان مقيما ببغداد ومولده سنة سبعين واربعمائة قال ابن الاثير كان من الصلاح على حال عظيم وهو حنبلى المذهب ومدرسته ورباطه مشهوران ببغداد (ثم دخلت سنة اثنتين وستين وخمسمائة) في هذه السنة عاد أسد الدين شيركوه الى الديار المصرية وجهزه نور الدين بمسكر جيد عدتهم ألفا فارس فوصل الى ديار مصر واستولى على الحيزة وارسل شاور الى الفرنج واستنجدهم وجمعهم وساروا في اثر شيركوه الى جهة الصعيد والتقوا على بلديقال له ايوان فانهمز الفرنج والمصريون واستولى شيركوه على بلاد الحيزة واستغلها ثم سار الى الاسكندرية وملكها وجعل فيها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب وعاد شيركوه الى جهة الصعيد فاجتمع عسكر مصر والفرنج وحصروا صلاح الدين بالاسكندرية مدة ثلاثة اشهر فسار شيركوه اليهم فاتفقوا

على الصلح على مال يحملونه الى شيركوه ويسلم اليهم الاسكندرية ويعود الى الشام قسماً المصريين
الاسكندرية في منتصف شوال من هذه السنة وسار شيركوه الى الشام فوصل الى دمشق في
ثامن عشر ذي القعدة واستقر الصلح بين الفرنج والمسلمين على ان يكون للفرنج بالقاهرة
شحنة ويكون ابوابها بيد فرسانهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة الف دينار (وفي
هذه السنة) فتح نور الدين سافيتا والعريية (وفيها) عصا غازي بن حسان صاحب منبج
على نور الدين بمنبج فسير اليه نور الدين عسكرا اخذوا منه منبج ثم اقطع نور الدين منبج
قطب الدين ينال بن حسان اخا غازي المذكور فبقى فيها الى ان اخذها منه صلاح الدين يوسف
ابن ايوب سنة اثنتين وسبعين وخسمائة (وفيها) توفي فخر الدين قرا ارسلان بن داود
ابن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا وملك بعده ولده نور الدين محمود بن قرا ارسلان
ابن داود (وفيها) توفي عبدالكريم ابوسعيد بن محمد بن منصور بن أبي بكر المظفر السمعاني
المروزي الفقيه الشافعي وكان مكثراً من سماع الحديث سافر في طلبه الى ماوراء النهر وسمع
منه ما لم يسمعه غيره وله التصانيف المشهورة الحسنة منها ذيل تاريخ بغداد وتاريخ مدينة مرو
وكتاب الانساب في ثمان مجلدات وقد اختصر كتاب الانساب المذكور الشيخ عز الدين على
ابن الاثير في ثلاثة مجلدات والمختصر المذكور هو الموجود في ايدي الناس والاصل قليل الوجود
وله غير ذلك وقد جمع مشيخته فزادت عدتهم على اربعة آلاف شيخ وقد ذكره ابو الفرج
ابن الجوزي فوقع فيه فمن جملة قوله فيه انه كان يأخذ الشيخ ببغداد ويعبر به الى فوق نهر
عيسى ويقول حدثني فلان بماوراء النهر وهذا بارد جدالان السمعاني المذكور سافر الى
ماوراء النهر حقا فإى حاجة به الى هذا التدليس وانما ذنبه عند ابن الجوزي انه شافعي وله
اسوة بغيره فان ابن الجوزي لم يبق على احد غير الحنابلة وكانت ولادة ابي سعيد السمعاني
المذكور في شعبان سنة ست وخسمائة وكان ابوه وجده فاضلين والسمعاني منسوب الى
سمعان وهو بطن من تميم (ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخسمائة) في هذه السنة فارق زين
الدين على كجك بن بكتكين نائب قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل خدمه
قطب الدين واستقر باربل وكانت في اقطاع زين الدين على المذكور وكانت له اربل مع
غيرها فاقصر على اربل وسكنها وسلم ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وكان
زين الدين على المذكور قد عمى وطرش (ثم دخلت سنة اربع وستين وخسمائة)

ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر

(في هذه السنة) ملك نور الدين محمود قلعة جعبر وأخذها من صاحبها شهاب الدين مالك بن
علي بن مالك بن سالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلي وكانت بأيديهم
من أيام السلطان ملكشاه ولم يقدر نور الدين على أخذها الا بعد ان أسر صاحبها مالك

المذكور بنو كلاب وأحضروه الى نور الدين محمود واجتهد به على تسليمها فلم يفعل فأرسل
عسكرا مقدمهم نجر الدين مسمود بن أبي علي الزعفراني وردفه بعسكر آخر مع مجد
الدين أبي بكر المعروف بابن الداية وكان رضيع نور الدين وحصروا قلعة جسر فلم
يظفروا منها بشئ وما زالوا على صاحبها مالك حتى سلمها وأخذ عنها عوضا مدينة سروج
بأعمالها والملوحة من بلد حلب وعشرين ألف دينار معجلة وباب بزاعة

(ذكر ملك أسد الدين شيركوه مصر وقتل شاور)

ثم ملك صلاح الدين وهو ابتداء الدولة الايوبية (في هذه السنة) أعق سنة أربع وستين
وخمسمائة في ربيع الاول سار أسد الدين شيركوه بن شاذي الى ديار مصر ومعه العساكر
النورية وسبب ذلك تمكن الفرنج من البلاد المصرية ونحكهم على المسلمين بها حتى ملكوا
بليس قهرا في مستهل صفر من هذه السنة ونهبوها وقتلوا أهلها وأسروهم ثم ساروا من
بليس ونزلوا على القاهرة عاشر صفر وحاصروها فاحرق شاور مدينة مصر خوفا من
أن يملكها الفرنج وأمر أهلها بالانتقال الى القاهرة فقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوما
فأرسل العاضد الخليفة الى نور الدين يستغيث به وأرسل في الكتب شعور النساء وصانع
شاور الفرنج على ألف دينار يحملها اليهم فحمل اليهم مائة ألف دينار وسألهم أن يرحلوا على
القاهرة ليقدر على جمع المال وحمله فرحلوا تجهز نور الدين العسكر مع شيركوه وأتفق فيهم المال
وأعطى شيركوه مائتي ألف دينار سوى الثياب والدواب والاسلحة وغير ذلك وأرسل معه عدة
أمراء منهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب على كره منه أحب نور الدين مسير
صلاح الدين وفيه ذهب الملك من بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعاده وملكه
(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) ولما قارب
شيركوه مصر رحل الفرنج من ديار مصر على اعقابهم الى بلادهم فكان هذا لمصر فتحا
جديدا ووصل أسد الدين شيركوه الى القاهرة في رابع ربيع الآخر واجتمع بالعاضد
وخلع عليه وعاد الى خيامه بالخلعة العاضدية وأجرى عليه وعلى عسكره الاقامات الوافرة
وشرع شاور يماطل شيركوه فيما بذله لنور الدين من تقرير المال وافراد ثلث البلاد له
ومع ذلك فكان شاور يركب كل يوم الى أسد الدين شيركوه ويعده ويمنيه (وما بعدهم
الشیطان الاغرورا) ثم ان شاور عزم على أن يعمل دعوة لشيركوه وأمراة ويقبض
عليهم فنمه ابنه الكامل بن شاور من ذلك ولما رأى عسكر نور الدين من شاور ذلك
عزموا على الفتك بشاور واتفق على ذلك صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديك
وغيرهما وعرفوا شيركوه بذلك فنهاهم عنه واتفق ان شاور قصد شيركوه على عادته فلم
يجده في الحميم وكان قد مضى لزيارة قبر الشافعي رضي الله عنه فلتى صلاح الدين وجرديك

شاور واعلماء برواح شيركوه الى زيارة الشافعي فساروا جميعا الى شيركوه فوثب صلاح الدين وجرديك ومن معهما على شاور وأقوه الى الأرض عن فرسه وأمسكوه في سابع ربيع الآخر من هذه السنة أعنى سنة أربع وستين وخمسمائة فهرب أصحابه عنه وأرسلوا اعلموا شيركوه بما فعلوه فحضر ولم يمكنه الا اتمام ذلك وسمع العاضد الخبر فأرسل الى شيركوه يطلب منه انفاذ رأس شاور فقتله وأرسل رأسه الى العاضد ودخل بمد ذلك شيركوه الى القصر عند العاضد فخلع عليه العاضد خلع الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الحيوش وسار بالجامع الى دار الوزارة وهي التي كان فيها شاور واستقر في الامر وكتب له منشور بالانشاء الفاضلى أوله بمد البسملة من عبد الله ووليه أبي محمد الامام العاضد لدين الله أمير المؤمنين الى السيد الاجل الملك المنصور سلطان الحيوش ولى الائمة مجير الامة أسد الدين أبي الحارث شيركوه العاضدى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وألهمي كلمته سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ونسأله أن يصلى على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين والائمة المهديين وسلم تسليماتم ذكر تفويض أمور الخلافة اليه ووصايا أضر بنا عنها للاختصار وكتب العاضد بخطه على طرة المنشور هذا عهد لم يعهد لوزير بمثله فقلد أمانة رآك أمير المؤمنين أهلا لحملها فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة واسحب ذيل الفخار بان اعترت خدمتك الى بنوة البنوة ومدحت الشراء أسد الدين ووصل اليه من الشام مدح لعقاد الكاتب قصيدة أولها

بالحمد أدركت ما أدركت لا اللعب	كم راحة جنيت من دوحة التعب
يا شيركوه بن شاذى الملك دعوة من	نادى فمرف خير ابن خير أب
جرى الملوك وما حازوا بر كضهم	من المدى في العلى ما حزت بالحبيب
تمل من ملك مصر رتبة قصرت	عنها الملوك فطالت سائر الرتب
قد أمكنت أسد الدين الفريسة من	فتح البلاد فبادر نحوها وثب

وفي شيركوه وقتل شاور يقول عرقلة الدمشقي

لقد فاز بالملك العقيم حليفة	له شيركوه العاضدى وزير
هو الاسد الضارى الذى جل خطبه	وشاور كلب للرجال عقور
بغى وطغى حتى لقد قال محبه	على مثلها كان اللعين يدور
فلا رحم الرحمن تربة قبره	ولا زال فيها منكر ونكير

وأما الكامل بن شاور فلما قتل أبوه دخل القصر فكان آخر العهد به ولما لم يبق لاسد الدين شيركوه منازع أنه أجهله (حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) وتوفي يوم

السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة فكانت ولايته شهرين وخمسة أيام وكان شيركوه وأيوب ابني شاذي من بلد دوين قال ابن الاثير وأصلهما من الاكراد الروادية فقصدوا العراق وخرجا بهروز شحنة السلجوقية ببغداد وكان أيوب أكبر من شيركوه فجعله بهروز مستحفظا لقلعة تكريت ولما انكسر عماد الدين زنكي من عسكر الخليفة ومر على تكريت خدمه أيوب وشيركوه ثم ان شيركوه قتل انسانا بتكريت فأخرجهما بهروز من تكريت فلهما بمخمة عماد الدين زنكي فأحسن اليهما وأعطاهما اقطاعات جليلة ولما ملك عماد الدين زنكي قلعة بملك جعل أيوب مستحفظا لها ولما حاصره عسكر دمشق بعد موت زنكي سلمها أيوب اليهم على اقطاع كبير شرطوه له وبقي أيوب من أكبر أمراء عسكر دمشق وبقي شيركوه مع نور الدين محمود بعد قتل أبيه زنكي وأقطعه نور الدين حمص والرحبة لما رأى من شعاعته وزاده عليهما وجهه مقدم عسكره فلما أراد نور الدين ملك دمشق أمر شيركوه فكتاب أخاه أيوب فساعد أيوب نور الدين على ملك دمشق وبقيا مع نور الدين الى أن أرسل شيركوه الى مصر مرة بعد أخرى حتى ملكها وتوفي فيها في هذه السنة على ما ذكرناه ولما توفي شيركوه كان معه صلاح الدين يوسف ابن أخيه أيوب بن شاذي وكان قد سار معه على كره قال صلاح الدين أمرني نور الدين بالمسير مع عمي شيركوه وكان قد قال شيركوه بمحضرة لي تجهز يا يوسف فقلت والله لو أعطيت ملك مصر ماسرت اليها فلقد قاسيت بالاسكندرية ما لأنساء أبدا فقال لنور الدين لا بد من مسيره معي فأمرني نور الدين وأنا أستقيل فقال نور الدين لا بد من مسيرك مع عمك فشكوت الضائقة فأعطاني ما تجهزت به فكأنما انساق الى الموت فلما مات شيركوه طلب جماعة من الامراء النورية التقدم على العسكر وولاية الوزارة العاضدية منهم عين الدولة الياورقي وقطب الدين ينال المنبجي وسيف الدين علي بن أحمد المشطوب. الهكاري وشهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صلاح الدين فأرسل العاضد أحضر صلاح الدين وولاه الوزارة ولقبه بالملك الناصر فلم تطمه الامراء المذكورون وكان مع صلاح الدين الفقيه عيسى الهكاري فسعى مع المشطوب حتى أماله الى صلاح الدين ثم قصد الحارمي وقال هذا ابن أختك وعزه وملكه لك فقال اليه أيضاً ثم فعل بالباقيين كذلك فكلمهم أطاع غير عين الدولة الياورقي فانه قال أنا لا أخدم يوسف وعاد الى نور الدين بالشام وثبت قدم صلاح الدين على انه نائب لنور الدين وكان نور الدين يكتب صلاح الدين بالامير الاسفهلار ويكتب علامته على رأس الكتا - تعظيما عن أن يكتب اسمه وكان لا يفرد به بكتاب بل الى الامير صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا ثم أرسل صلاح الدين يطلب من نور

الدين أباه أيوب وأهله فأرسلهم اليه نور الدين فأعطاهم صلاح الدين الاقطاعيات بمصر وتمكن من البلاد وضمف أمر العاضد ولما فوض الامر الى صلاح الدين تاب عن شرب الخمر واعرض عن أسباب الهم وتقمص لباس الجند ودام على ذلك الى ان توفاه الله تعالى قال ابن الاثير مؤلف الكامل رأيت كثيرا من ابتدئ بالملك ينتقل الى غير عقبه فان معاوية تغلب وملك فانتقل الملك الى بني مروان بعده ثم ملك السفاح من بني العباس فانتقل الملك الى أخيه المنصور وعقبه ثم السامانية أول من ابتدئ بالملك منهم نصر بن أحمد فانتقل الملك الى أخيه اسمعيل وعقبه ثم عماد الدولة بن بويه ملك فانتقل الملك الى عقب أخيه ركن الدولة ثم ملك طغريل بن الساجوقى فانتقل الملك الى عقب أخيه داود ثم شريكه ملك فانتقل الملك الى ابن أخيه ولما قام صلاح الدين بالملك لم يبق الملك في عقبه بل انتقل الى أخيه العادل وعقبه ولم يبق لاولاد صلاح الدين غير حلب وكان سبب ذلك كثرة قتل من يتولى ذلك أولا وأخذ الملك وغيور أهله وقلوبهم متعلقة به فيحرم عقبه ذلك ولما اسقر قدم صلاح الدين في الوزارة قتل مؤتمن الخلافة وكان مقدم السودان فاجتمعت السودان وهم حفاظ القصر في عدد كثير وحرى بينهم وبين صلاح الدين وعسكره وقعة عظيمة بين القصرين انهزم فيها السودان وقتل منهم خلق كثير وتبعهم صلاح الدين فاجلاهم قتلوا وتمحيجا وحكم صلاح الدين على القصر وأقام فيه بهاء الدين قراقوش الاسدي وكان خصيا أبيض وبقى لاجرى في القصر صغيرة ولا كبيرة الاباء صلاح الدين

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة كان بين اينانج صاحب الري وبين الدكر حرب انتصر فيها الدكر وملك الري وهرب اينانج وانحصر في بعض القلاع فارسل الدكر ورغب غلمان اينانج في الاقطاعيات ان قتلوا اينانج استاذهم فقتلوه ولحقوا بالدكر فلم يفلحهم وقال مثل هؤلاء لا ينبغي الابقاء عليهم فهربوا الى البلاد ولحق بعضهم وهو الذي قتل استاذه بخوارزم شاه فصلبه لحياته استاذه (وفيها) توفي الشيخ ابو محمد الفارقي وكان أحد الزهاد وله كرامات كثيرة كان يتكلم على الحائط وكلامه مجموع مشهور (وفيها) توفي ياروق ارسلان التركماني وكان مقدما كبيرا واليه تنسب الطائفة الياروقية من التركمان وكان عظيم الخلق يسكن بظاهر حلب وبني على شاطئ قويق هو واتباعه عمائر كثيرة وتعرف الآن بالياروقية وهي مشهورة هناك (ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة) فيها سارت الفرنج الى دمياط وحاصروها وشحنها صلاح الدين بالرجال والسلاح والذخائر واخرج على ذلك اموالا عظيمة فحاصروها خمسين يوما وخرج نور الدين فأغار على بلادهم بالشام فرحلوا عائددين على اعقابهم ولم يظفروا

بشيء منها قال صلاح الدين ماريت أكبر من العاضد ارسل الى مدة مقام الفرنج على دمياط
الف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها (وفيها) سار نور الدين وحاصر الكرك مدة
ثم رحل عنه (وفيها) كانت زلزلة عظيمة خربت الشام فقام نور الدين في عمارة الاسوار
وحفظ البلاد اتم قيام وكذلك خربت بلاد الفرنج فخافوا من نور الدين واشتغل كل منهم
عن قصد الآخر بعمارة ما خرب من بلاده (وفيها) في ذى الحجة مات قطب الدين مودود
ابن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل وكان مرضه حمي حادة ولم مات صرف ارباب الدولة
الملك عن ابنه الاكبر عماد الدين زنكي بن مودود الى أخيه الذي هو اصغر منه وهو سيف
الدين غازي بن مودود فسار عماد الدين زنكي الى عمه نور الدين مستنصر اياه وتوفي قطب
الدين وعمره اربعون سنة تقريبا وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر
ونصفا وكان من احسن الملوك سيرة (وفي هذه السنة) توفي الملك طغريل بك بن قاوورت
بك صاحب كرمان واختلف اولاده بهرام شاد وارسلان شاه وهو الاكبر واستنجد كل
منهما وطلب الملك فاتفق في تلك المدة ان ارسلان شاه الاكبر مات فاستقر بهرام شاه في ملك
كرمان (وفيها) توفي مجد الدين أبوبكر ابن الداية رضيع نور الدين وكانت حلب وحارم
وقلمة جمبر اعطاه فأقر نور الدين أخاه عليا ابن الداية على اقطاعه (وفيها) توفي محمد بن
محمد بن ظفر صاحب كتاب سلوان المطاع صنفه لبعض القواد بصقلية سنة اربع وخمسين
وخمسمائة وله ايضا كتاب نجباء الابناء وشرح مقامات الحريري ومولده بصقلية وتنقل
بالبلاد وأقام بمكة شرفها الله تعالى وسكن آخر وقت مدينة حماة وتوفي بها ولم يزل يكابد
الفقر حتى مات رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة)

(ذكر وفاة المستنجد وخلافة المستضيء وهو ثالث ثلاثينهم)

في هذه السنة تاسع ربيع الآخر توفي المستنجد بالله ابو المظفر يوسف بن المقتفي لامر
الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله ومولده مستهل ربيع الآخر سنة عشر وخمسمائة
وكان اسمر تام القامة طويل اللحية وكان سبب موته انه مرض واشتد مرضه وكان قد
خاف منه استاذ داره عضد الدين ابو الفرج ابن رئيس الرؤساء وقطب الدين قيماز المقتفوي
وهو حينئذ أكبر امراء بغداد فاتفقا ووضعوا الطيب على ان يصف له ما يهلكه فوصف له دخول
الحمام فامتنع منه لضعفه ثم انه دخلها وغاق عليه الباب فمات ولما مات المستنجد احضر عضد
الدين وقطب الدين المستضيء بأمر الله ابن المستنجد واشترطا عليه شروطا أن يكون عضد
الدين وزيرا وابنه كمال الدين استاذ داره وقطب الدين أمير العسكر فأجابهم الى ذلك
واسم المستضيء الحسن وكنيته ابو محمد ولم يزل الخلافة من اسمه حسن غير الحسن بن علي
المستضيء فبايعوه بالخلافة يوم مات ابو بهيمة خاصة وفي غده بيعة عامة وكان المستنجد حسن

السيرة أطلق كثير من المكوس وكان شديد اعلى اهل الميث والفساد
(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة سار نور الدين محمود بن زنكي الى الموصل وهي بيد ابن أخيه غازي بن مودود
ابن عماد الدين زنكي بن اقستقر فاستولى عليها نور الدين وملكها ولما ملك نور الدين الموصل
قرر امرها وأطلق المكوس منها ثم وهبها لابن أخيه سيف الدين غازي المذكور واعطى
سجار لعماد الدين زنكي بن مودود وهو اكبر من أخيه سيف الدين غازي فقال كمال
الدين الشهرزوري في هذا طريق الى اذى يحصل للبيت الاتا بكى لان عماد الدين كبيراً
لا يرى طاعة أخيه سيف الدين وسيف الدين هو الملك لا يرى الاغضاء لعماد الدين
فيحصل الخلف وتطمع الاعداء (وفي هذه السنة) سار صلاح الدين عن مصر فغزا بلاد
الفرنج قرب عسقلان والرملة وعاد الى مصر ثم خرج الى ايلة وحصرها وهي للفرنج على
ساحل البحر الشرقي ونقل اليها المراكب وحصرها برا وبحرا وفتحها في العشر الاول من
ربيع الآخر واستباح اهلها وما فيها وعاد الى مصر ولما استقر صلاح الدين بمصر كان
بمصر دار للشحنة تسمى دار المعونة يجلس فيها فهدمها صلاح الدين وبنها مدرسة للشافعية
وكذلك بنى دار الغزل مدرسة للشافعية وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة ورتب قضاة
شافعية وذلك في العشرين من جمادى الآخرة وكذلك اشترى تقي الدين عمرا بن أخيه
صلاح الدين منازل الغزو وبنها مدرسة للشافعية (وفي هذه السنة) توفي القاضي ابن الخلال
من اعيان الكتاب المصريين وفضلاتهم وكان صاحب ديوان الانشاء بها (ثم دخلت سنة
سبع وستين وخمسمائة)

(ذكر اقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض الدولة العلوية)

في هذه السنة ثاني جمعة من المحرم قطعت خطبة العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله ابن الامير
يوسف ابن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد ابن أبي القاسم محمد ولم يل الخلافة ابن
المستنصر بالله أبي تميم معمد ابن الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن علي ابن الحاكم بأمر الله
أبي علي المنصور ابن العزيز بالله أبي منصور ابن المعز لدين الله أبي تميم معمد ابن المنصور بالله أبي
الظاهر اسمعيل ابن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد ابن المهدي بالله أبي محمد عبيد الله أول
الخلفاء العلويين من هذا البيت وقدم ذكر نسبه في ابتداء دولتهم وكان سبب الخطبة العباسية
بمصر انهما تمكن صلاح الدين من مصر وحكم على القصر واقام فيه قراقوش الاسدي وكان
خصياً أبيض وبلغ نور الدين ذلك ارسل الى صلاح الدين يأمره حتما جزماً بقطع الخطبة
الملوية واقامة الخطبة العباسية فراجع صلاح الدين في ذلك خوف الفتنة فلم يانفت نور الدين
الى ذلك وأصر عليه وكان العاضد قد مرض فأمر صلاح الدين الخطباء أن يخطبوا للمستضى

ويقطعوا

ويقطعوا خطبة العاضد فامتلوا ذلك ولم ينتطح فيها عنزان وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أحد من أهله بقطع خطبته فتوفي العاضد يوم عاشوراء ولم يعلم بقطع خطبته ولما توفي العاضد جلس صلاح الدين للمزاء واستولى على قصر الخلافة وعلى جميع ما فيه وكان كثرة تخرج عن الاحصاء وكان فيه أشياء نفيسة من الاعلاق الثمينة والكتب والتحف فن ذلك الجبل الياقوت وكان وزنه سبعة عشر درهما او سبعة عشر مثقالا * قال ابن الاثير مؤلف الكامل أنا رأيت ووزنته ومحاكى انه كان بالقصر طبل للقولنج اذا ضرب الانسان به ضرب فكسر ولم يعلموا به الا بعد ذلك ونقل صلاح الدين أهل العاضد الى موضع من القصر و وكل بهم من يحفظهم وأخرج جميع من فيه من عبدوامة فباع البعض وعتق البعض ووهب البعض وخلا القصر من سكانه كان لم يبقن بالامس ولما اشتد مرض العاضد ارسل الى صلاح الدين يستدعيه فظن ذلك خديعة فلم يبعث اليه فلما توفي علم صدقه فقدم لتخلفه عنه وجميع من خطب له منهم بالخلافة اربع عشرة خليفة المهدي والقائم والمنصور والمعز والعزير والحاكم والطاهر والمستنصر والمستعلي والآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد وجميع مدة خلافتهم من حين ظهر المهدي بسجل مائة في ذى الحجة سنة ست وتسعين ومائتين الى ان توفي العاضد في هذه السنة اعنى سنة سبع وستين وخمسمائة مائتان واثنان وسبعون سنة تقريبا وهذا دأب الدنيا لم تعط الا واستردت ولم تحل الا وتمرت ولم تصف الا وتكدرت بل صفوها لا يخلو من الكدر ولما وصل خبر الخطبة العباسية بمصر الى بغداد ضربت لها البشائر عدة ايام وسيرت الخلع مع عماد الدين صندل وهو من خواص الخدم المقتفوية الى نور الدين وصلاح الدين والخطباء وسيرت الاعلام السود وكان العاضد المذكور قد رأى في منامه ان عقربا خرجت من مسجد بمصر معروف ذلك المسجد للعاضد ولدغته فاستيقظ العاضد مرعوبا واستدعى من يعبر الرؤيا وقص ما رآه عليه فعبه له بوصول أذى اليه من شخص بذلك المسجد فتقدم العاضد الى والي مصر باحضار من بذلك المسجد فاحضر اليه شخصا صوفيا يقال له نجم الدين الخويشاني فاستخبره العاضد عن مقدمه وسبب مقامه بالمسجد المذكور فاخبره بالصحيح في ذلك فرآه العاضد اضعف من ان يناله بمكروه فوصله بمال وقال له ادع لنا يا شيخ وأمره بالانصراف فلما اراد السلطان صلاح الدين ازالة الدولة العلوية والقبض عليهم استفق في ذلك فاقتاه بذلك جماعة من الفقهاء وكان نجم الدين الخويشاني المذكور من جملة من فبالغ في الفتيا وصرح في خطه بتعديدهم وسلب عنهم الايمان واطال الكلام في ذلك فصح بذلك رؤيا العاضد

(ذكر غير ذلك)

وفي هذه السنة جرى بين نور الدين وصلاح الدين الوحشة في الباطن فان صلاح الدين

سارونازل الشوبك وهي للفرنج ثم رحل عنه خوفاً ان يأخذه فلم يبق ما يموق نور الدين عن قصد مصر فتركه ولم يفتحه لذلك وبلغ نور الدين ذلك فكتمه وتوحش باطنه لصالح الدين ولما استقر صلاح الدين بمصر جمع اقاربه وكبراء دولته وقال بلغني ان نور الدين يقصدنا فما الرأي فقال تقى الدين عمر ابن أخيه تقاتله ونصده وكان ذلك بمحضرة أبيهم نجم الدين أيوب فانكر على تقى الدين ذلك وقال أنا والدكم لو رأيت نور الدين نزلت وقبلت الارض بين يديه بل اكتب وقل لنور الدين انه لو جاءني من عندك انسان واحد وربط المنديل في عنقي وجرني اليك سارعت الى ذلك وانفضوا على ذلك ثم اجتمع ايوب بابنه صلاح الدين خلوة وقال له لو قصدنا نور الدين أنا كنت أول من يمنعه ويقاتله ولكن اذا أظهرنا ذلك يترك نور الدين جميع ما هو فيه ويقصدنا ولا ندري ما يكون من ذلك واذا أظهرنا له الطاعة تمادى الوقت بما يحصل به الكفاية من عند الله فكان كما قال (وفي هذه السنة) توفي الامير محمد بن مرنيش صاحب شرقى بلاد الاندلس وهي مرسية وبلنسية وغيرهما فقصد اولاده أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ملك القرب وسلموا اليه بلادهم فسر يوسف بذلك وتسلمها منهم وتزوج باحتهم واكرمهم ووصلهم بالاموال الجزيلة وكان قد قصدهم يوسف المذكور في مائة الف مقاتل فأجابوا بدون قتال كما ذكرنا (وفي هذه السنة) عبر الخطا نهر حيحون فجمع خوارزم شاه ارسلان بن اطرز بن محمد بن أنوش تكين عساكره وسار الى لقائهم فمرض خوارزم شاه ورجع مريضا وارسل عسكرا مع بعض المتقدمين فاقتتلوا مع الخطا وانهمزم عسكر خوارزم شاه واسر مقدمهم ورجع الخطا الى بلادهم بعد ذلك (وفي هذه السنة) اتخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادى وتسمى المناسيب لنقل البطايق والابخار (وفيها) عزل المستضيء وزيره عضد الدين بن رئيس الرؤساء مكرها لان قطب الدين قيمانز ألزمه بعزله فلم يمكنه مخالفته (وفيها) مات يحيى بن سعدون بن تمام الازدى الاندلسى القرطبي وكان اماما في القراءة والنحو وغيره من العلوم توفي بالموصل (وفيها) توفي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادي العالم المشهور في الادب والنحو والتفسير والحديث وكان متضلعا من العلوم وكان قليل الاكترات بلأكل والملبس (وفيها) توفي نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد التور ابن قلاقس الشاعر المشهور الاسكندري مدح القاضي الفاضل وكان كثير الاسفار سار الى صقلية في سنة ثلاث وخمسين ثم عاد وسار الى اليمن في سنة خمس وستين وخمسمائة وفي كثرة أسفاره يقول

الناس كثر ولكن لا يقدرى الامرافقة الملاح والحادى

(ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة) في هذه السنة توفي خوارزم شاه ارسلان بن

الطغر بن محمد بن أنوش تكين وكان قد عاد من قتال الخطا مريضا ولما مات ملك بعده
 ابنه الصغير سلطان شاه محمود ودبرت والدته المملكة وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكين
 مقيما في حند قد أقطعه أبوه اياها فلما بلغه موت أبيه وولاية أخيه الصغير أتف من ذلك
 واستنجد بالخطا وسار الى أخيه سلطان شاه وطرده ثم ان سلطان شاه قصد ملوك
 الاطراف واستنجدهم على أخيه تكش وطرده وكانت الحرب بينهم سجلا حتى مات
 سلطان شاه في سنة تسع وثمانين وخمسمائة واستقر في ملك خوارزم أخوه تكش بن
 أرسلان وفي تلك الحروب بين الاخوين قتل المؤيد (أى به) قتله تكش صبوا وملك بعده
 ابنه طغان شاه ابن المؤيد اى به (وفي هذه السنة) سار شمس الدولة توران شاه ابن
 أيوب أخو صلاح الدين الاكبر من مصر الى النوبة لتغلب عليها فلم تعجبه تلك البلاد
 فغم وعاد الى مصر (وفي هذه السنة) توفي شمس الدين الدكز بهمدان وملك بعده
 ابنه محمد البهلوان ولم يختلف عليه أحد وكان الدكز هذا مملوكا للكمال السميرى وزير
 السلطان محمود ثم صار للسلطان محمود فلما ولي السلطان مسعود ولاء وكبره حتى صار
 ملك أذربيجان وغيرها من بلاد الحيل وأصفهان والرى وكان عسكره خمسين ألف فارس
 وكان يخطب في بلاده بالسلطنة للسلطان أرسلان بن طغريل ولم يكن لأرسلان معه حكم
 وكان الدكز حسن السيرة (وفي هذه السنة) سار طائفة من الترك من ديار مصر مع مملوك
 لتقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب اسمه قراقوش الى أفريقية ونزلوا على طرابلس
 الغرب فحاصرها مدة ثم فتحها واستولى عليها قراقوش المذكور وملك كثيرا من بلاد
 أفريقية (وفيها) غزا أبو يعقوب بن عبد المؤمن بلاد الفرنج بالاندلس (وفيها) سار
 نور الدين محمود بن زنكى الى بلاد قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان واستولى
 على مرعش وبهنسا ومرزبان وسيواس فأرسل اليه قليج أرسلان يستعطفه ويطلب الصلح
 فقال نور الدين لا أرضى الا بان ترد ملطية على ذى النون ابن الدانشمند وكان قليج
 أرسلان قد أخذها منه فذل له سيواس واصطلح معه نور الدين فلما مات نور الدين
 عاد قليج أرسلان واستولى على سيواس وطرد ابن الدانشمند (وفيها) سار صلاح
 الدين من مصر الى الكرك وحصرها وكان قد واعد نور الدين أن يجتمعما على الكرك
 وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم وهو بالقرب من الكرك فخاف صلاح
 الدين من الاجتماع بنور الدين فرحل صلاح الدين عن الكرك عائدا الى مصر وأرسل
 محفا الى نور الدين واعتذر ان أباه أيوب مريض ويخشى أن يموت فتذهب مصر فقبل نور
 الدين عذره في الظاهر وعلم المقصود ولما وصل صلاح الدين الى مصر وجد أباه أيوب
 قد مات وكان سبب موت نجم الدين أيوب بن شاذى المذكور انه ركب بمصر فنفرت

به فرسه فوق وحمل الى قصره وبني أياما ومات في السابع والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة وكان أيوب خيرا عاقلا حسن السيرة كريما كثير الاحسان (وفيها) توفي أبو نزار حسن بن أبي الحسن صافي بن عبد الله بن نزار النحوي وقد ناهز الثمانين وهو المعروف بملك النحاة وبرع في النحو حتى فاق فيه أهل طبقة وكان ممجبا بنفسه ولقب نفسه بملك النحاة وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك وقرأ الفقه على مذهب الشافعي وكذلك قرأ الاصولين والخلاف وسافر الى خراسان وكرمان وغزنة ثم رحل الى الشام واستوطن دمشق (ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسائة)

(ذكر ملك شمس الدولة توران شاه بن أيوب اليمن)

كان صلاح الدين وأهله خائفين من نور الدين فاتفق رأيهم على تحصيل مملكة غير مصر بحيث ان قصدهم نور الدين قاتلوه فان هزمهم التجؤا الى تلك المملكة فجهز صلاح الدين أخاه توران شاه الى النوبة فلم تعجبهم بلادها ثم سيره في هذه السنة بمسكرا الى اليمن وكان صاحب اليمن حينئذ انسانا يسمى عبد النبي المقدم الذكر في سنة أربع وخمسين وخمسائة فتجهز توران شاه ووصل الى اليمن وجرى بينه وبين عبد النبي قتال فانتصر توران شاه وهزم عبد النبي وهجم زبيد وملكها وأسر عبد النبي ثم قصد عدن وكان صاحبها انسانا اسمه ياسر فخرج له تال توران شاه فهزمه توران شاه وهجم عدن وملكها وأسر ياسر أيضا واستولى توران شاه على بلاد اليمن واستقرت في ملك صلاح الدين واستولى على أموال عظيمة لعبد النبي وكذلك من عدن

(ذكر قتل جماعة من المصريين وعمارة اليمنى)

(في هذه السنة) في رمضان صلب صلاح الدين جماعة من أعيان المصريين فانهم قصدوا التوب عليه واعادة الدولة العلوية فعلم بهم وصلبهم عن آخرهم فنهى عبيد الصمد الكاتب والقاضي العويرس وداعي الدعاة وعمارة بك على اليمنى الشاعر الفقيه وله أشعار حسنة فمنها ما يتعلق بأحوال العلويين وانقراض دولتهم قوله قصيدة منها

رمى يادهر كف المجد بالشلل	وجيده بمد حسن الحللى بالطل
جدعت مارنك الاقنى فانقك لا	ينفك ما بين أمر الشين والحجل
لهفى ولهف بنى الآمال قاطبة	على فجيعتها في أكرم الدول
يا عاذلى في هوى أبناء فاطمة	لك الملامة ان أقصرت في عدل
بالله زرساحة القصرين وابك معى	عليهما لاعلى صافين والجمل
وقل لاهلها والله لا انتحمت	فيكم جروحي ولا قرحي بمندمل
ماذا ترى كانت الافرنج قاعلة	في نسل آل أمير المؤمنين على

ومنها وقد حصلتم عليها واسم جدكم
مررت بالقصر والاركان خالية
والله لا فاذ يوم الحشر مبغضكم
أثمتى وهداتى والذخيرة لى
والله لاحت عن حى لهم أبدا
وأيا له فيهم

غصبت أمية ارث آل محمد
وغدت تخالف في الخلافة أهلها
لم تفتح حكاهم ركوهم
وقمودهم في رتبة نبوية
حتى أضافوا بعد ذلك أنهم
فأتى زياد في القبيح زيادة
سفها وشدت غارة الشنان
وتقابل البرهان بالبهتان
ظهر النفاق وغارب العدوان
لم يبينها لهم أبو سفيان
أخذوا بنار الكفر في الايمان
تركت يزيد يزيد في نقصان

(ذكر وفاة نور الدين محمود)

(في هذه السنة) توفي الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة وغير ذلك يوم الاربعاء حادى عشر شوان بعلة الخوانيق بقلعة دمشق المحروسة وكان نور الدين قد شرع يتجهز للدخول الى مصر لاختها من صلاح الدين وكان يريد أن يخلى ابن أخيه سيف الدين غازى بن مودود في الشام قبالة الفرنج ويسير هو بنفسه الى مصر فأناه أمر الله الذى لا مرد له وكان نور الدين أسمر طويل القامة ليس له لحية الا في حنكه حسن الصورة وكان قد انسع ملكه جدا وخطب له بالحرمين واليمن لما ملكها توران شاه بن أيوب وكذلك كان يخاطب له بمصر وكان مولد نور الدين سنة احدى عشرة وخمسة و طابق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله وكان من الزهد والعبادة على قدم عظيم وكان يصلى كثيرا من الليل فكان كما قيل
جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أحسن المحراب في المحراب

وكان عارفا بالفقهاء على مذهب أبى حنيفة وليس عنده فيه تعصب وهو الذى بنى أسوار مدن الشام مثل دمشق وحمص وحملة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها لما تهدمت بالزلازل وبنى المدارس الكثيرة الحنفية والشافعية ولا يحتمل هذا المختصر ذكر فضائله ولما توفي نور الدين قام ابنه الملك الصالح اسماعيل ابن نور الدين محمود بالملك بعده وعمره احدى عشرة سنة وحلب له المسكر بدمشق وأقام بها وأطاعه صلاح الدين بمصر وخطب له بها وضربت السكة باسمه وكان المتولى لتدبير الملك الصالح وتدبير دولته الامير شمس

الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم ولما مات نور الدين وتملك ابنه الملك الصالح سار من الموصل سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي وملك جميع البلاد الجزرية (ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة)

(ذكر خلاف الكنز بصعيد مصر)

في أول هذه السنة اجتمع على رجل من أهل الصعيد يقال له الكنز جمع كثير وظهر الخلاف على صلاح الدين فأرسل صلاح الدين اليه عسكرا فاقتتلوا وقتل الكنز وجماعة معه وانهمز الباقون

(ذكر ملك صلاح الدين دمشق وغيرها)

(في هذه السنة) سلخ ربيع الاول ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب مدينة دمشق وحصص وحماة وسببه ان شمس الدين ابن الداية المقيم بحلب أرسل سعد الدين كمشتكين يستدعي الملك الصالح بن نور الدين من دمشق الى حلب ليكون مقامه بها فسار الملك الصالح الى حلب مع سعد الدين كمشتكين ولما استقر بحلب وتمكن كمشتكين قبض على شمس الدين ابن الداية واخوته وقبض على الرئيس ابن الخشاب واخوته وهو رئيس حلب واستبد سعد الدين بتدبير الملك الصالح تخافه ابن المقدم وغيره من الامراء الذين بدمشق وكتبوا صلاح الدين بن أيوب صاحب مصر واستدعوه ليملكوه عليهم فسار صلاح الدين جريدة في سبعمائة فارس ولم يلبث ووصل الى دمشق فخرج كل من كان بها من المسكر والتقوه وخدموه ونزل بدار والده أيوب المعروفة بدار العقيق وعصت عليه القلعة وكان فيها من جهة الملك الصالح خادم اسمه ربحان فراسله صلاح الدين واستماله فسلم القلعة اليه فصعد اليها صلاح الدين وأخذ ما فيها من الاموال ولما ثبت قدمه وقرر أمر دمشق استخلف بها أخاه سيف الاسلام طفتكين بن أيوب وسار الى حصص مستهل جمادى الاولى وكانت حصص وحماة وقلعة بارين وسلمية وتل خالد والرها من بلد الجزيرة في اقطاع فخر الدين مسعود بن الزعفراني فلما مات نور الدين لم يمكن فخر الدين مسعود المقام بحمص وحماة لسوء سيرته مع الناس وكانت هذه البلاد له بغير قلاعها فان قلاعها كان فيها ولا قلعة نور الدين وليس لفخر الدين معهم في القلاع حكم الا بارين فان قلعتها كانت له أيضاً ونزل صلاح الدين على حصص في حادى عشر جمادى الاولى وملك المدينة وعصت عليه القلعة فترك عليها من يضيق عليها ورحل الى حماة فملك مدينتها مستهل جمادى الآخرة من هذه السنة وكان بقلعتها الامير عز الدين جرديك أحد المماليك التورية فامتنع في القلعة فذكر له صلاح الدين انه ليس له غرض سوى حفظ البلاد له الملك الصالح اسمعيل وانما هو نائبه وقصده من جرديك المسير الى حلب في رسالة فاستحلفه جرديك على ذلك

وسار جرديك الى حلب برسالة صلاح الدين واستخلف في قلعة حماة أخاه فلما وصل جرديك الى حلب قبض عليه كمشتكين وسجنه فلما علم أخوه بذلك سلم قلعة حماة الى صلاح الدين فملكها ثم سار صلاح الدين الى حلب وحصرها وبها الملك الصالح اسمعيل ابن نور الدين فجمع أهل حلب وقاتلوا صلاح الدين وصدوه عن حلب وأرسل سعد الدين كمشتكين الى سنان مقدم الاسماعيلية أموالا عظيمة ليقتلوا صلاح الدين فأرسل سنان جماعة فوثبوا على صلاح الدين فقتلوا دونه واستمر صلاح الدين محاصرا للحلب الى مستهل رجب ورحل عنها بسبب نزول الفرنج على حمص ووصل صلاح الدين الى حماة ثامن رجب وسار الى حمص فرحل الفرنج عنها ووصل صلاح الدين الى حمص وحصر قلعتها وملكها في الحادى والعشرين من شعبان من هذه السنة ثم سار الى بعلبك فملكها ولما استقر ملك صلاح الدين لهذه البلاد أرسل الملك الصالح الى ابن عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل يستنجده على صلاح الدين فجهز جيشه بحجة أخيه عز الدين مسعود ابن مودود ابن زنكى وجعل مقدم الجيش أكبر أمراءه وهو عز الدين محمود ولقبه سلقندار وطلب أخاه الأكبر عماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار ليسير في الوحدة أيضاً فامتنع مصانعة لصلاح الدين فسار سيف الدين غازى وحصره بسنجار ووصل عسكر الموصل بحجة مسعود بن مودود وعلقندار الى حلب وانضم اليهم عسكر حلب وساروا الى صلاح الدين فأرسل صلاح الدين يبذل حمص وحماة وان تقر بيده دمشق وأن يكون فيها نائباً للملك الصالح فلم يجيبوا الى ذلك وساروا الى قتاله وافتلوا عندقرون حماة فانهزم عسكر الموصل وحلب وغنم صلاح الدين وعسكره أموالهم وتبعهم صلاح الدين حتى حصرهم في حلب وقطع صلاح الدين حينئذ خطبة الملك الصالح ابن نور الدين وازال اسمه عن السكة واستمد بالسلطنة فراسلوا صلاح الدين في الصلح على أن يكون له ما بيده من الشام وللملك الصالح ما بقى بيده منه فصالحهم على ذلك ورحل عن حلب في العشر الاول من شوال من هذه السنة أعنى سنة سبعين وخسمائة (وفي العشر الاخير) من شوال من هذه السنة ملك السلطان صلاح الدين قلعة بارين وأخذها من صاحبها فخر الدين مسعود بن الزعفرانى وكان فخر الدين المذكور من أكابر الامراء التورية

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) ملك البهلوان بن الدكز مدينة تبريز وأخذها من ابن اقسنقر الاحديلى (وفيها) مات شملة التركمانى صاحب خورستان وملك ابنه بعده (وفيها) وقع بين الخليفة وبين قطب الدين قيمانز مقدم عسكر بغداد فتنة فنهبت دار قيمانز وهرب الى الحلة ثم الى

الموصل فلحق قيماز في الطريق عطش شديد فهلك أكثر أصحابه ومات قطب الدين قيماز قبل أن يصل إلى الموصل فحمل ودفن بظاهر باب العمادي ولما هرب قيماز خلع الخليفة على عضد الدولة الوزير وأعادته إلى الوزارة (ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة)

ذكر انهزام سيف الدين غازي صاحب الموصل من

السلطان صلاح الدين

(في هذه السنة) عاشر شوال كان المصاف بين السلطان صلاح الدين وبين سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي بتل السلطان فهرب سيف الدين غازي والمساكر التي كانت معه فانه كان قد استنجد بصاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وغيرها وتمت على سيف الدين غازي الهزيمة حتى وصل الموصل مرعوبا وقصد الهروب منها إلى بعض القلاع فثبته وزيره واقام بالموصل واستولى السلطان صلاح الدين على ائقال عسكر الموصل وغيرهم وغنم ما فيها ثم سار السلطان صلاح الدين إلى نزاعة فحصرها وتسلمها ثم سار إلى منبج فحصرها في آخر شوال وصاحبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجي وكان شديد البغض لصلاح الدين وقتلها عنوة وأسرى ينال وأخذ جميع موجوده ثم أطلقه فسار ينال إلى الموصل فأقطعه سيف الدين غازي مدينة الرقة ثم سار السلطان صلاح الدين إلى اعزاز ونازلها ثالث ذي القعدة وتسلمها حادي عشر ذي الحجة فوثب اسماعيلي على صلاح الدين في حصاره اعزاز فضربه بسكين في رأسه فجرحه فأمسك صلاح الدين يدي الاسماعيلي وبقي يضرب بالسكين فلا يؤثر حتى قتل الاسماعيلي على تلك الحال ووثب آخر عليه فقتل أيضاً وجاء السلطان إلى خيمته مذعورا واعرض جنده وابعد من أنكره منهم ولما ملك السلطان اعزاز رحل عنها ونازل حلب في منتصف ذي الحجة وحصرها وبها الملك الصالح بن نور الدين وانقضت هذه السنة وهو محاصر لحلب فسألوا صلاح الدين في الصلح فأجابهم إليه وأخرجوا إليه بنتا صغيرة لنور الدين محمود فأكرمها السلطان صلاح الدين وأعطاهما شيئاً كثيراً وقال لها ما تريدين فقالت أريد قلعة اعزاز وكانوا قد علموها ذلك فسلمها إليهم واستقر الصلح ورحل السلطان صلاح الدين عن حلب في العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) سار أمير الحاج العراقي طاشتكين وأمره الخليفة بمنزل صاحب مكة مكث بن عيسى فجرى بين الحجاج وبينه قتال فانهزم مكث في البرية وأقام أخاه داود

مكانه بمكة (وفيها) في رمضان قدم شمس الدولة توران شاه بن أيوب من اليمن
الى الشام وأرسل الى أخيه صلاح الدين يعلمه بوصوله وكتب اليه أبياتا من شعر
ابن المنجم المصرى

والى صلاح الدين أشكو انى	من بعده مضى الجوانح مولع
جزعا لبعث الدار عنه ولم أكن	لولا هواه لبعث دار أجزع
ولأركبن اليه متن عزائمي	ويحب بي ركب الغرام ويوسع
ولأسرين الليل لا يسرى به	طيب الخيال ولا البروق اللمع
وأقدمن اليه قلبى مخبرا	انى بجسمى عن قريب اتبع
حق أشاهد منه أسعد طلعة	من أفقها صبح السعادة يطلع

(وفيها) توفي الحافظ أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي
الملقب نور الدين كان اماما في الحديث ومن أعيان الفقهاء الشافعية صنف تاريخ دمشق
في ثمانين مجلدة على وضع تاريخ بغداد أتى فيه بالغرائب ومولد المذكور في أول سنة تسع
وتسعين وأربعمائة (ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة) فيها قصد السلطان صلاح
الدين بلد الاسماعيلية في المحرم فنهب بلدهم وخزبه واحرقه وحصر قلعة مصياف
فأرسل سنان مقدم الاسماعيلية الى خال صلاح الدين وهو شهاب الدين الحارمى صاحب
حماة يسأله أن يسعى في الصلح فسأل الحارمى الصلح عنهم فأجابهم صلاح الدين الى ذلك
وصالحهم ورحل عنهم وأتم السلطان صلاح الدين مسيره ووصل الى مصر فانه كان قد
بمد عهده بها بمد ان استقر له ملك الشام ولما وصل الى مصر في هذه السنة أمر ببناء
السور الدائر على مصر والقاهرة والقلعة التي على جبل المقطم ودور ذلك تسعة
وعشرون ألف ذراع وثلثمائة ذراع بالذراع الهاشمى ولم يزل العمل فيه الى ان مات
صلاح الدين (وفي هذه السنة) أمر صلاح الدين ببناء المدرسة التي على الشافعي
بالقراية بمصر وعمل بالقاهرة مائة وستين (وفيها) تولى القاضي جمال الدين
محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى قاضى دمشق وجميع الشام (ثم دخلت سنة
ثلاث وسبعين وخمسمائة) في هذه السنة في جمادى الاولى سار السلطان صلاح الدين
من مصر الى ساحل الشام لغزو الفرنج فوصل الى عسقلان في الرابع والعشرين من
الشهر فنهب وتفرق عسكره في الاضار والبقى السلطان في بعض العسكر فلم يشمر الا بالفرنج
قد طلعت عليه فقاتلهم أشد قتال وكان لتقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولد
اسمه أحمد وهو من أحسن الشباب أول ما فدى تكاملت لحيته قامره أبوه تقى الدين بالحلة
على الفرنج فحمل عليهم وقاتلهم فأثر فيهم أثرا كثيرا وعاد سالما قامره أبوه بالعود

اليهم ثانية فحمل عليهم فقتل شهيدا وتمت الهزيمة على المسلمين وقاربت حملات الفرنج
السلطان فمضى منهزما الى مصر على البرية ومعه من سلم فاقوا في طريقهم مشقة وعطشا
شديدا وهلك كثير من الدواب وأخذت الفرنج العسكر الذين كانوا يتفرقون في الاغارات
اسرى وأسر الفقيه عيسى وكان من أكبر أصحاب السلطان صلاح الدين فاقده
السلطان من الاسر بعد سنتين بستين ألف دينار ووصل السلطان الى القاهرة نصف
جمادى الآخرة * قال الشيخ عز الدين على بن الاثير مؤلف الكامل ورأيت كتاباً
يخط يد صلاح الدين الى أخيه توران شاه نائبه بدمشق يذكر له الوقعة وفي أوله
ذكركم والخطى تخطر بيننا وقد نهلت منا المثقفة السمر
ويقول فيه لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة وما نجانا الله منه الا لامر يريد به سبحانه وتعالى
* وما ثبتت الا وفي نفسها أمر *

* وفي هذه السنة * سار الفرنج وحصروا مدينة حماة في جمادى الاولى وطمع
الفرنج بسبب بعد السلطان بمصر وهزيمته من الفرنج ولم يكن غير توران شاه بدمشق
ينوب عن أخيه صلاح الدين وليس عنده كثير من العسكر وكان توران شاه أيضا كثير
الانهماك في اللذات مائلا الى الراحة ولم يحصروا حماة كان بها صاحبها شهاب الدين
الحارمي خال صلاح الدين وهو مريض واشتد حصار الفرنج لحماة وطال زحفهم
عليها حتى انهم هجموا بعض أطراف المدينة وكادوا يملكون البلد قهرا ثم جد المسلمون
في القتال وأخرجوا الفرنج الى ظاهر السور وأقام الفرنج كذلك على حماة أربعة أيام
ثم رحلوا عنها الى حارم وعقيب رحيلهم عنها مات صاحبها شهاب الدين الحارمي وكان
له ابن من أسن الناس شبابا مات قبله بثلاثة أيام (وفي هذه السنة) قبض الملك الصالح
اسماعيل بن نور الدين صاحب حلب على سعد الدين كمشتكين وكان قد تغلب على
الامر وكانت حارم لكهشتكين فارس الملك الصالح اليهم فلم يسلموها اليه فأمر كمشتكين
أن يسلمها فأمرهم بذلك فلم يقبلوا منه فأمر بتعذيب كمشتكين ليسلموا القلعة فعذب
وأصحابه يرونه ولا يرحمونه فمات في العذاب وأصر أصحابه على الامتناع ووصل الفرنج
الى حارم بعد رحيلهم عن حماة وحصروا حارم مدة أربعة أشهر فأرسل الملك الصالح
ملا للفرنج وصالحهم فرحلوا عن حارم وقد بلغ بأهلها الجهد وبعد ان رحل الفرنج
عنها أرسل اليها الملك الصالح عسكرا وحصروها فلم يبق بأهلها ممانعة فسلموها الى
الملك الصالح فاستتاب بقلعة حارم مملوكا كان لابيها اسمه سرخك (وفي هذه السنة)
في المحرم خطب للسلطان طغريل بن ارسلان بن طغرايل ابن السلطان محمد ابن
السلطان ملكشاه المقيم ببلاد الكز وكان أبوه ارسلان الذي تقدم خبره قد توفي ولم

يذكر ابن الاثير وفاة ارسلان ابن طغريل الا في هذا الموضع وكان ينبغي أن يذكره قبل هذه السنة (وفيها) في ذى الحجة قتل عضد الدين محمد بن عبد الله بن هبة الله وزير الخليفة وكان قد عبر دجلة عازماً على الحج فقتله الاسماعيلية وحمل مجروحاً الى منزله فمات به وكان مولده في جمادى الاولى سنة أربع عشرة وخمسمائة (وفيها) توفي صدقة بن الحسين الحداد الذي ذيل تاريخ ابن الزعفراني ببغداد (ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة) في هذه السنة طلب توران شاه من أخيه السلطان صلاح الدين بملك وكان السلطان أعطاه شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم لما سلم دمشق الى صلاح الدين فلم يمكن صلاح الدين منع أخيه عن ذلك فأرسل الى ابن المقدم ليسلم بملك فمضى بها ولم يسلمها فأرسل السلطان وحصره بملك وطال حصارها فأجاب ابن المقدم الى تسليمها على عوض فعوض عنها وتسلمها السلطان وأقطعها أخاه توران شاه (وفيها) كان بالبلاد غلاء عام وتبعه وباء شديد (وفيها) سير السلطان صلاح الدين ابن أخيه تقي الدين عمر الى حماة وابن عمه محمد بن شيركوه الى حمص وأمرهما بحفظ بلادهما فاستقر كل منهما ببلده (وفيها) توفي الحصيص الشاعر واسمه سعد بن محمد بن سعد وشعره مشهور فنه

لا تلمني في شقائي بالعلمي رعد العيش لربات الحجال
سيف عززانه رونقه فهو بالطبع غني عن صقال

(وفيها) ماتت شهدة بنت أحمد بن عمر الابري سمعت الحديث من السراج وطراد وغيرهما وعمرت حتى قاربت مائة سنة وسمع عليها خلق كثير لملو اسنادها (ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة) فيها سار السلطان صلاح الدين وفتح حصناً كان بناء الفرنج عند مخاضة الاحران بالقرب من بانياس عند بيت يعقوب وفي ذلك يقول علي بن محمد الساعاتي الدمشقي

أتسكن أوطان التبيين عصبه تمن لدى ايمانها وهي تحلف
نصحتكم والنصح للدين واجب ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوف

وفيها كان حرب بين عسكر السلطان صلاح الدين ومقدمهم ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وبين عسكر قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم وسببها ان حصن رعبان كان بيد شمس الدين ابن المقدم فطمع فيه قليج ارسلان وأرسل اليه عسكراً كثيراً ليحصره وكانوا قريباً عشرين ألفاً فسار اليهم تقي الدين في ألف فارس فهزمهم وكان تقي الدين يفتخر ويقول هزمت بالف عشرين ألفاً

ذكر وفاة المستضيء وخلافة الامام الناصر وهو رابع ثلاثينهم

﴿ في هذه السنة ﴾ تاني القعدة توفي المستضيء بأمر الله أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد وأمه أم ولد أرمنية وكانت حلاقته نحو تسع سنين وسبعة أشهر وكان مولده سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكان عادلا حسن السيرة وكان قد حكم في دولة ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر المعروف بابن العطار بمد قتل عضد الدين الوزير فلما مات المستضيء قام ظهير الدين بن العطار وأخذ البيعة لولده الامام الناصر لدين الله ولما استقرت البيعة للامام الناصر حكم أستاذ الدار محمد الدين أبو الفضل فقبض في سابع القعدة على ظهير الدين ابن العطار ونقل الى التاج وأخرج ظهير الدين المذكور ميتا على رأس حال ليلة الاربعاء تاني عشر ذى القعدة فثارت به العامة والقوه عن رأس الحمال وشدوا في ذكره حبلا وسحبوه في البلد وكانوا يضعون في يده مغرفة يعني انها قلم وقد غمس تلك المغرفة في العذرة ويقولون وقع لنا ياه ولانا هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم وكفه عن أموالهم ثم خلع منهم ودفن (وفي هذه السنة) في ذى القعدة نزل توران شاه أخو السلطان عن بعلبك وطلب عوضها الاسكندرية فأجابه السلطان صلاح الدين الى ذلك واقطع بعلبك لعز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أبوب فصار اليها فرخشاه وسار شمس الدولة توران شاه الى الاسكندرية وأقام بها الى ان مات بها (ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة)

﴿ ذكر وفاة سيف الدين صاحب الموصل ﴾

(في هذه السنة) ثالث صفر توفي سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي بن اقتنقر صاحب الموصل والديار الجزرية وكان مرضه السل وطال وكان عمره نحو ثلاثين سنة وكانت ولايته عشر سنين ونحو ثلاثة أشهر وكان حسن الصورة مليح الشباب تام القامة أبيض اللون عاقلا عادلا عفيفا شديدا الغيرة لا يدخل بيته غير الخدم اذا كانوا صفارا فاذا كبر أحدهم منعه وكان عفيفا عن أموال الرعية مع شح كان فيه وحين حضره الموت أوصى بالملكة بعهده الى أخيه عز الدين مسعود بن مودود وأعطى حزيمة ابن عمر وقلاعها لولده سنحر شاه بن غازي فاستقر ذلك بعد موته حسبما قرر. وكان مدير الدولة والحاكم فيها مجاهد الدين قيماز (وفي هذه السنة) سار السلطان صلاح الدين الى جهة قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم ووصل الى رعيان ثم اصطالحوا فقص صلاح الدين بلاد ابن ليون الارمني وشن فيها الغارات فصالحه ابن ليون على مال حمله وأسرى أطلقهم (وفيها) توفي شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو

صلاح الدين الاكبر بالاسكندرية وكان له معها أكثر بلاد اليمن ونوابه هناك يحملون اليه الاموال من زبيد وعدن وغيرهما وكان أجود الناس واسخاهم كفا يخرج كل ما يحمل اليه من أموال اليمن ودخل الاسكندرية ومع هذا فلما مات كان عليه نحو مائتي ألف دينار مصرية ديناعليه فوفاهما أخوه صلاح الدين عنه لما وصل الى مصر ووصل السلطان صلاح الدين الى مصر في هذه السنة في شعبان واستخلف بالشام ابن أخيه عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك (ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة) في هذه السنة عزم البرنس صاحب الكرك على المسير الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم للاستيلاء على تلك النواحي الشريفة وسمع ذلك عز الدين فرخشاه نائب عمه السلطان صلاح الدين بدمشق فجمع وقصد بلاد الكرك وأغار عليها وأقام في مقابلة البرنس ففرق البرنس جموعه وانقطع عزمه عن الحركة ، وفيها) وقع بين نواب توران شاه باليمن بعد موته اختلاف فغشى السلطان صلاح الدين على اليمن فجهز اليه عسكريا مع جماعة من أمراءه فوصلوا الى اليمن واستولوا عليه وكان نواب توران شاه على عدن عز الدين عثمان ابن الزنجيلي وعلى زبيد حطان بن كامل بن منقذ الكنتاني من بيت صاحب شيزر

﴿ ذكر وفاة الملك الصالح صاحب حلب ﴾

(في هذه السنة) في رجب توفي الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود بن زنكي بن اقسنقر صاحب حلب وعمره نحو تسع عشرة سنة ولما اشتد به مرض القولنج وصف له الاطبا الحرفمات ولم يستعمله وكان حليما عفيف اليد والفرج واللسان ملازما لامور الدين لا يعرف له شيء مما يتعاطاه الشباب وأوصى بملك حلب الى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل فلما مات سار مسعود ومجاهد الدين قيمان من الموصل الى حلب واستقر في ملكها ولما استقر مسعود بن مودود في ملك حلب كاتبه أخوه عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار في أن يعطيه حلب ويأخذ منه سنجار فأشار قيمان بذلك فلم يمكن مسعود الا موافقته فأجاب الى ذلك فسار عماد الدين الى حلب وتسلمها وسلم سنجار الى أخيه مسعود وعماد مسعود الى الموصل (وفي هذه السنة) في شعبان توفي أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد النحوي المعروف بابن الانباري ببغداد وله تصانيف حسنة في النحو وكان فقيها (ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة)

(ذكر مسير السلطان صلاح الدين الى الشام)

(في هذه السنة) خامس المحرم سار السلطان صلاح الدين عن مصر الى الشام ومن عجيب الاتفاق انه لما برز من القاهرة وخرجت أعيان الناس لوداعه أخذ كل منهم يقول شيئا

في الوداع وفراقه وفي الحاضرين معلم لبعض أولاد السلطان فأخرج رأسه من بين الحاضرين وأنشد

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

قطير صلاح الدين وانقبض بعد انبساطه وتنكد المجلس على الحاضرين فلم يعد صلاح الدين بعدها الى مصر مع طول المدة وسار السلطان صلاح الدين وأغار في طريقه على بلاد الفرنج وغنم ووصل الى دمشق في حادي عشر صفر من السنة ولما سار السلطان الى الشام اجتمعت الفرنج قرب الكرك ليكونوا على طريقه فاتهز فرخشاه ابن أخي السلطان صلاح الدين ونائبه بدمشق الفرصة وسار الى الشقيف بمساكر الشام وفتحها واغار على ما يجاوره من بلاد الفرنج وأرسل الى السلطان وبشره بذلك

(ذكر ارسال سيف الاسلام الى اليمن)

(في هذه السنة) سير السلطان أخاه سيف الاسلام طمكتكين الى بلاد اليمن ليملكها ويقطع الفتن منها وكان بها حطان بن منقذ الكناني وعز الدين عثمان الزنجيلي وقد عادا الى ولايتهما فان الامير الذي كان سيره السلطان نائبا الى اليمن تولى وعزلهما ثم توفي فماد بين حطان وعثمان الفتن قائمة فوصل سيف الاسلام الى زبيد فتحصن حطان في بعض القلاع فلم يزل سيف الاسلام يتلطف به حتى نزل اليه فأحسن صحبته ثم ان حطان طلب دستوراً ليسير الى الشام فلم يجبه الا بعد جهد فجهز حطان اقاله قدامه ودخل حطان ليودع سيف الاسلام فقبض عليه وأرسل استرجع اقاله وأخذ جميع أمواله وكان في جملة ما أخذه سيف الاسلام من حطان سبعين غلاف زردية مملوءة ذهباً عيناً ثم سجن حطان في بعض قلاع اليمن فكان آخر العهد به وأما عثمان الزنجيلي فانه لما جرى لحطان ذلك خاف وسار نحو الشام وسير أمواله في البحر فصادفهم سراكب فيها أصحاب سيف الاسلام فأخذوا كل مالعثمان الزنجيلي وصفت بلاد اليمن لسيف الاسلام

(ذكر غارات السلطان الملك صلاح الدين وما استولى عليه من البلاد)

(في هذه السنة) سار السلطان صلاح الدين من دمشق في ربيع الاول ونزل قرب طبرية وشن الاغارة على بلاد الفرنج مثل بانياس وجنين والقور فغنم وقتل وعاد الى دمشق ثم سار عنها الى بيروت وحصرها وأغار على بلادها ثم عاد الى دمشق ثم سار من دمشق الى البلاد الجزرية وعبر الفرات من البيرة فصار معه مظفر الدين كوكبوري ابن زين الدين علي بن بكتكين وكان حينئذ صاحب حران وكاتب السلطان صلاح الدين ملوك تلك الاطراف واستمالهم فاجابه نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا وصار معه ونازل السلطان الرها وحاصرها وملكها وسلمها الى مظفر الدين

كوكبوري صاحب حران ثم سار السلطان الى الرقة وأخذها من صاحبها قطب الدين ينال ابن حسان المنبجى فسار ينال الى عز الدين مسعود صاحب الموصل ثم سار صلاح الدين الى الخابور وملك قرقيسيا وما كسين وعربان والخابور واستولى على الخابور جميعه ثم سار الى نصيبين وحاصرها وملك المدينة ثم ملك القلعة ثم أقطع نصيبين أميراً كان معه يقال له أبو الهيجا السمين ثم سار عن نصيبين وقصد الموصل وقد استعد صاحبها عز الدين مسعود ومجاهد الدين قيمانز للحصار وشحنوها بالرجال والسلاح فحصر الموصل وأقام عليها منجنيقاً فأقاموا عليه من داخل المدينة تسمية مناخنيق وضايق الموصل فنزل السلطان صلاح الدين محاذة باب كندة ونزل صاحب حصن كيفا على باب الجسر ونزل تاج الملوك بوري أخو صلاح الدين على باب العمادى وجرى القتال بينهم وكان ذلك في شهر رجب من هذه السنة فلما رأى ان حصارها يطول رحل عن الموصل الى سنجار وحاصرها وملكها واستتاب بها سعد الدين بن معين الدين انز وكان من أكابر الامراء وأحسنهم صورة ومعنى ثم سار السلطان صلاح الدين الى حران وعزل في طريقه عن نصيبين أبو الهيجا السمين

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) عمل البرنس صاحب الكرك أسطولا في بحر ايلة وساروا في البحر فرقتين فرقة أقامت على حصن ايلة يحصرونه وفرقة سارت نحو عيذاب يفسدون في السواحل وبغتوا المسلمين في تلك النواحي فانهم لم يمهّدوا بهذا البحر فرنجاً قط وكان بمصر الملك العادل أبو بكر نائباً عن أخيه السلطان صلاح الدين فعمر أسطولا في بحر عيذاب وأرسله مع حسام الدين الحاجب لولو وهو متولى الاسطول بديار مصر وكان مظفراً فيه شجاعاً فسار لولو مجداً في طلبهم وأوقع بالذين يحاصرون ايلة فقتلهم وأسره ثم سار في طلب الفرقة الثانية وكانوا قد عزموا على الدخول الى الحجاز ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وسار لولو يقفو أثرهم فبلغ رابع فأدر بهم بساحل الحورا وتقاتلوا أشد قتال فظفر الله تعالى بهم وقتل لولو أكثرهم وأخذ الباقين أسرى وأرسل بعضهم الى منى لينحروا بها وعاد بالباقيين الى مصر فقتلوا عن آخرهم (وفي هذه السنة) توفي عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك وكان ينوب عن صلاح الدين بدمشق وهو ثقة من بين أهله وكان فرخشاه شجاعاً كريماً فاضلاً وله شعر جيد ووصل خبر موته الى صلاح الدين وهو في البلاد الجزرية فأرسل الى دمشق شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم ليكون بها واقراً بعلبك على بهرام شاه بن فرخشاه المذكور (وفيها) توفي أبو العباس أحمد بن علي بن الرفاعي من سواد واسط وكان صالحاً ذا قبول عظيم عند الناس وله من

التلامذة مالا يحصى (وفيها) توفي بقرطبة خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال
الخزرجي الانصاري وكان من علماء الاندلس وله التصانيف المفيدة ومولده في سنة أربع
وتسعين وأربعمائة (وفيها) توفي بدمشق مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري الفقيه
الشافعي ولد سنة خمس وخمسمائة وهو الملقب قطب الدين وكان اماما فاضلا في العلوم الدينية
قدم الى دمشق وصنف عقيدة للسلطان صلاح الدين وكان السلطان يقرئها أولاده الصغار
(ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة)

(ذكر مملكة السلطان صلاح الدين من البلاد)

(في هذه السنة) ملك السلطان صلاح الدين حصن آمد بعد حصار وقتال في العشر
الاول من المحرم وسلمها الى نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن
ارتق صاحب حصن كيفا ثم سار الى الشام وقصد تل خالد من أعمال حلب ومملكها
ثم سار الى عينتاب وحصرها وبها ناصر الدين محمد أخو الشيخ اسمعيل الذي كان خازن
نور الدين محمود بن زنكي وكان قد سلم نور الدين عينتاب الى اسمعيل المذكور فبقيت
معه الى الآن فحصرها السلطان ومملكها بتسليم صاحبها اليه فأقره السلطان عليها وبقي في خدمة
السلطان ومن جملة أمراءه ثم سار السلطان الى حلب وحصرها وبها صاحبها عماد الدين زنكي
ابن مودود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر وطال الحصار عليه وكان قد كثرت اقتراحات أمراء حلب
وعسكرها عليه وقد ضجر من ذلك وكره حلب لذلك فأجاب السلطان صلاح الدين الى تسليم
حلب على أن يعوض عنها بسنجار ونصيبين والخابور والرقعة وسروج واتفقوا على ذلك وسلم
حلب الى السلطان في صفر من هذه السنة فكان ينادون أهل حلب على عماد الدين المذكور
يا حمار يمت حلب بسنجار وشرط السلطان على عماد الدين المذكور الحضور الى خدمته
بنفسه وعسكره اذا استدعاه ولا يحتج بحجة عن ذلك ومن الاتفاقات العجيبة ان عبي
الدين بن الزكي قاضي دمشق مدح السلطان بقصيدة منها

وقتحكم حلبا بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

فوافق فتح القدس في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكان في جملة من قتل
على حلب تاج الملوك توري بن أيوب أخو السلطان الاصفر وكان كريما شجاعا طعن
في ركبته فانفكت فمات منها ولما استقر الصلح عمل عماد الدين زنكي المذكور دعوة للسلطان واحتفل
لها فيناهم في سرورهم اذ جاء انسان فاسر الى السلطان بموت أخيه توري فوجد عليه في قلبه
وجدا عظيما وأمر بتحيزه سرا ولم يعلم السلطان في ذلك الوقت أحدا ممن كان في الدعوة
بذلك لثلاث يتكده عليهم ما هم فيه وكان يقول السلطان ما وقعت حلب علينا رخيصة بموت
توري وكان هذا من السلطان من الصبر العظيم ولما ملك السلطان حلب ارسل الى حارم وبها

سرخك الذي ولاء الملك الصالح ابن نور الدين في تسليم حارم وجرت بينهما مراسلات فلم
ينتظم بينهما حال وكاتب سرخك القرشي فوثب عليه أهل القلعة وقبضوا عليه وسلموا حارم
الى السلطان فقتلها وقرر امر حلب وبلادها واقطع اعزاز أمير يقال له سليمان بن جندر
(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة قبض عز الدين مسعود صاحب الموصل على نائبه مجاهد الدين فياز (وفيها)
لما فرغ السلطان من تقرير امر حلب جعل فيها ولده الملك الظاهر غازي وسار الى دمشق
وتجهز منها للغزو فعبهر الاردن تاسع جمادى الآخرة من هذه السنة فاغار على بيسان وحرقتها
وشن الغارات على تلك النواحي ثم تجهز السلطان الى الكرك وأرسل الى نائبه بمصر وهو أخوه الملك
العادل ان يلاقه الى الكرك فسارا واجتمعا عليها وحصر الكرك وضيق عليها ثم رحل عنها في
منتصف شبان وسار معه أخوه العادل وأرسل السلطان ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين
عمر الى مصر نائبا عنه موضع الملك العادل ووصل السلطان الى دمشق واعطى أخاه أبابكر
العادل مدينة حلب وقامتها وأعمالها وسيره اليها في شهر رمضان من هذه السنة وأحضر ولده
الظاهر منها الى دمشق (وفي هذه السنة) في جمادى الآخرة توفي محمد بن بختيار بن عبدالله
الشاعر المعروف بالابله (وفي هذه السنة) أعني سنة تسع وسبعين وخمسمائة في أواخرها
توفي شاهر من سكران بن ظهير الدين ابراهيم بن سكران القطبي صاحب خلاط وقد تدم
ذكر ملك شاهر من المذكور في سنة احدى وعشرين وخمسمائة وكان عمر سكران لما توفي
اربعا وستين سنة ولما مات سكران كان بكتمر مملوكه بميا فارقين فلما سمع بكتمر بموته سار
من ميا فارقين ووصل الى خلاط وكان أكثر أهلها يريدونه وكان ممالك شاهر من متفقين
معه فأول وصوله استولى على خلاط وتملكها وجلس على كرسي شاهر من واستقر في مملكة
خلاط حتى قتل في سنة تسع وثمانين وخمسمائة حسبما ذكره ان شاء الله تعالى (ثم دخلت
سنة ثمانين وخمسمائة)

(ذكر وفاة يوسف بن عبد المؤمن)

في هذه السنة سار أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ملك الغرب الى بلاد الاندلس وعبر
البحر في جمع عظيم من عساكره وقصد بلاد الفرنج فحصر شنترين من غرب الاندلس وأصابه
مرض فمات منه في ربيع الاول وحمل في تابوت الى مدينة اشيلية وكانت مدة مملكته اثنتين
وعشرين سنة وشهورا وكان حسن السيرة واستقامت له المملكة لحسن تدبيره ولما مات بايع
الناس ولده يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وكنيته أبو يوسف وملكوه عليهم في الوقت الذي مات
فيه أبوه لئلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقر بهم من العدو فقام يعقوب بالملك أحسن قيام
وأقام راية الجهاد وأحسن السيرة

(ذكر غزو السلطان الكرك)

في هذه السنة في ربيع الآخر سار السلطان صلاح الدين من دمشق للغزوة وكتب الى مصر فسارت عساكرها اليه ونازل الكرك وحصره وضيق على من به وملك ربح الكرك وبقيت القلعة وليس بينها وبين الربيض غير خندق خشب وقصد السلطان صلاح الدين طمه فلم يقدر لكثرة المقاومة فجمعت الفرنج فارسها وراجلها وقصدوه فلم يمكن السلطان الا الرحيل فرحل عن الكرك وسار اليهم فاقاموا في اماكن وعرة واقام السلطان قبلتهم وسار من الفرنج جماعة ودخلوا الكرك فلم بامتناعه عليه فسار الى نابلس واحرقها ونهب ما بتلك النواحي وقتل وأسروسي فاكثر ثم سار الى صبسطية وبها مشهد ذكر يفاستنقذ ما بها من اسرى المسلمين ثم سار الى جنين ثم عاد الى دمشق

(ذكر وفاة صاحب ماردين)

في هذه السنة مات قطب الدين ايلغازي بن نجم الدين ابي بن تمر تاش بن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين اقول انه قد تقدم في سنة سبع وأربعين وخمسائة ذكر ملك ابي ولد ايلغازي المذكور وبقى ابي في ملك ماردين حتى مات وملك بعده ابنه ايلغازي المذكور ولم يقع لي وفاة ابي وملك ايلغازي المذكور بن متى كان لائمه وللمات ايلغازي المذكور كان له اولاد اطفال فاقم في الملك بعده ولده حسام الدين بولق ارسلان وقام بتدبير المملكة وترتيبها مملوك والده نظام الدين البقش حتى كبر بولق ارسلان وكان به هوج وخبط فمات بولق ارسلان واقام البقش بعده اخاه الاصغر ناصر الدين ارتق ارسلان بن قطب الدين ايلغازي ولم يكن له حكم بل الحكم الى البقش والى مملوك لالبقش اسمه لولو كان قد تغلب على أستاذه البقش بحيث كان لا يخرج البقش عن رأى لولو المذكور ولم يكن لناصر الدين ارتق ارسلان صاحب ماردين من الحكم شيء وبقى الامر كذلك الى سنة احدى وستمائة فمرض النظام البقش واتاه ناصر الدين صاحب ماردين يعوده فلما خرج من عنده خرج معه لولو فضربه ناصر الدين بسكين فقتله ثم عاد الى البقش فقتله وهو مريض واستقل ارتق ارسلان بملك ماردين من غير منازع (وفي هذه السنة) توفي شيخ الشيوخ صدر الدين عبدالرحيم بن اسماعيل بن ابي سعيد أحمد وكان قد سار من عند الخليفة الى السلطان صلاح الدين في رسالة ومعه شهاب الدين بشير الخادم ليصلح بين السلطان صلاح الدين وبين عز الدين مسعود صاحب الموصل فلم ينتظم حال واتفق انهما مرضا بدمشق وطلبوا المسير الى العراق وسارا في الحر فمات بشير بالسحنة ومات صدر الدين شيخ الشيوخ بالرحبة ودفن بمشهد البوق وكان أوحد زمانه قد جمع بين رئاسة الدين والدنيا (وفيها) في المحرم اطلق عز الدين مسعود صاحب الموصل مجاهد الدين قياما من الحبس وأحسن اليه (ثم دخلت

سنة احدى وثمانين وخمسمائة)

﴿ ذكر حصار السلطان صلاح الدين الموصل ﴾

(في هذه السنة) حصر السلطان صلاح الدين الموصل وهو حصاره الثاني فأرسل اليه عز الدين مسعود صاحب الموصل والدته وابنة عمه نور الدين محمود بن زنكي وغيرهما من النساء وجماعة يطلبون منه ترك الموصل وما بأيديهم فردهم واستقبح الناس ذلك من صلاح الدين لاسيما وفيهن بنت نور الدين محمود وحاصر الموصل وضايقها وبلغه وفاة شاهر من صاحب اخلاط في ربيع الآخر من هذه السنة فسار عن الموصل الى جهة اخلاط فاستدعى أهلها لملكها

﴿ ذكر وفاة صاحب حصن كيفا ﴾

(في هذه السنة) توفي نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود صاحب الحصن وآمد وملك بعده ولده سقمان ولقبه قطب الدين وكان صفيها فقام بتدبيره القوام بن سماقا الاشعردى وحضر سقمان الى السلطان صلاح الدين وهو نازل على ميا فارقين فأقره على ما كان يريد والده نور الدين محمد وأقام معه أميرا من أصحاب أبي سقمان المذكور

﴿ ذكر ملك السلطان صلاح الدين ميا فارقين ﴾

لما سار السلطان عن الموصل الى اخلاط جعل طريقه على ميا فارقين وكانت لصاحب ماردين الذي توفي وفيها من حفظها من جهة شاهر من صاحب اخلاط المتوفي فحاصرها السلطان وملكها في سلخ جمادى الاولى ثم ان السلطان رجع عن قصد اخلاط الى الموصل فجاءته رسل عز الدين مسعود يسألونه الصلح واتفق حينئذ ان السلطان صلاح الدين مرض وسار من كفر زمار عائدا الى حران فلحقته رسل صاحب الموصل بالاجابة الى ما طلب وهو أن يسلم صاحب الموصل الى السلطان صلاح الدين شهر زور وأعمالها وولاية القرابلي وجميع ما وراء الزاب وأن يخطب للسلطان صلاح الدين على جميع منابر الموصل وما بيده وأن يضرب اسمه على الدراهم والدنانير وتسلم السلطان ذلك واستقر الصلح وأمنت البلاد ووصل السلطان الى حران وأقام بها مريضا واشتد به المرض حتى أيسوا منه ثم انه عوفي وعاد الى دمشق في المحرم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ولما اشتد مرض السلطان سار ابن عمه محمد بن شيركوه بن شاذى صاحب حمص الى حمص وكاتب بعض أكاير دمشق في أن يسلموا اليه دمشق اذا مات السلطان

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) ليلة عيد الاضحى شرب بحمص صاحبها ناصر الدين محمد بن شيركوه

ابن شاذى فأصبح ميثاقيل ان السلطان صلاح الدين دس عليه من سقاء سما لما بلغه مكاتبته أهل دمشق في مرضه ولما مات أقر السلطان حمص وما كان بيد محمد علي ولده شيركوه بن محمد وعمره اثنتا عشرة سنة وخلف صاحب حمص شيئاً كثيراً من الدواب والآلات وغيرها فاستعرضها السلطان عند نزوله بحمص في عودته من حران وأخذ أكثرها ولم يترك الا ما لا خير فيه (وفيها) توفي الحافظ محمد بن عمر ابن أحمد الاصفهاني المديني المشهور وكان امام عصره في الحفظ والمعرفة وله في الحديث وعلومه تأليف مفيدة وله كتاب الغيث في مجلد كمل به كتاب الغريين للهروي واستدرك فيه عليه مواضع وهو كتاب نافع وكان مولده سنة احدى وخمسمائة (ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة)

﴿ ذكر تقل الملك العادل أخى السلطان من حلب واخراج الملك

الافضل ابن السلطان من مصر الى دمشق ﴾

(في هذه السنة) أحضر السلطان ولده الملك الافضل من مصر واقطعه دمشق وسببه ان الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخى السلطان كان نائب عمه بمصر وكان معه الملك الافضل فأرسل تقي الدين يشتكى من الافضل انى لا أتمكن من استخراج الخراج فانى اذا حضرت من عليه الخراج وأردت عقوبته يطلقه الملك الافضل فأرسل السلطان أخرج ابنه الملك الافضل من مصر وأقطعه دمشق وتغير السلطان على تقي الدين عمر في الباطن فانه ظن انه انما أخرج ولده من مصر ليتملك مصر اذا مات السلطان ثم أحضر أخاه العادل من حلب وجعل معه ولده العزيز عثمان ابن السلطان نائبا عنه بمصر واستدعى تقي الدين عمر من مصر فقبل انه توقف عن الحضور وقصد اللحاق بمملوكه قراقوش المستولي على بعض بلاد أفريقية وبرقة من المغرب وبلغ السلطان ذلك فساءه وأرسل يستدعى تقي الدين عمر ويلاطفه فحضر اليه ولما حضر تقي الدين عند السلطان زاده على حماة منبج والمعرة وكفر طاب وميا فارقين وجبل جور بجميع أعمالها واستقر العادل والعزير عثمان في مصر ولما أخذ السلطان حلب من أخيه العادل أقطعه عوضها حران والرها

ذكر وفاة البهلوان وملك أخيه قزل

(في هذه السنة) في أولها توفي البهلوان محمد بن الدكر صاحب بلد الجليل همدان والرى وأصفهان وأذربيجان وأرانية وغيرها من البلاد وكان عادلا حسن السيرة وملك البلاد بعده أخوه قزل أرسلان واسمه عثمان وكان السلطان طغريل بن أرسلان بن طغريل

ابن محمد بن ملكشاه السلجوقي مع البهلوان وله الخطبة في بلاده وليس له من الامر شيء فلما مات
البهلوان خرج طغريل عن حكم قزل وكثر جمعه واستولى على بعض البلاد وجرت
بينه وبين قزل حروب

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) غدر البرنس صاحب الكرك وأخذ قافلة عظيمة من المسلمين وأسره
فأرسل السلطان يطلب منه اطلاقهم بحكم الهدنة التي كانت بينهم على ذلك فلم يفعل فنذر
السلطان انه ان ظفره الله به قتله بيده (وفيها) توفي أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش
برى بن عبد الجبار بن برى المصرى الامام في علم النحو واللغة اشتغل عليه جماعة
واتفقوا به ومن جملتهم أبو موسى الجزولى صاحب المقدمة الجزولية في النحو
وكانت وفاته بمصر وولد بها في سنة تسع وتسعين وأربعمائة (ثم دخلت سنة ثلاث
وثمانين وخمسمائة)

ذكر غزوات السلطان الملك الناصر صلاح الدين وفتوحاته

(في هذه السنة) جمع السلطان العساكر وسار بفرقة من المسكر وضايق الكرك خوفا
على الحجاج من صاحب الكرك وأرسل فرقة أخرى مع ولده الملك الافضل فأغاروا
على بلد عكا وتلك الناحية وغنموا شيئا كثيرا ثم سار السلطان ونزل على طبرية وحصر
مدينتها وفتحها عنوة بالسيف وتأخرت القلعة وكانت طبرية للقومص صاحب
طرابلس وكان قد هادن السلطان ودخل في طاعته فأرسلت الفرنج الى القومص
المذكور القسوس والبطرك يهونه عن موافقة السلطان ويوبخونه فصار معهم واجتمع
الفرنج للقتل السلطان

ذكر وقعة حطين وهي الوقعة العظيمة التي فتح الله

بها الساحل وبيت المقدس

لما فتح السلطان مدينة طبرية اجتمعت الفرنج في ملوكهم بفارسهم وراجلهم وساروا الى
السلطان فركب السلطان من عند طبرية وسار اليهم يوم السبت خمس بقين من ربيع
الآخر والتي الجمعان واشتد بينهم القتال ولما رأى القومص شدة الامر حمل على من قدماه
من المسلمين وكان هناك تقى الدين صاحب حماة فافرج له وعطف عليهم فنجوا القومص
ووصل الى طرابلس وبقي مدة يسيرة ومات غنبا ونصر الله المسلمين واحدقوا بالفرنج
من كل ناحية وأبدوهم قتلا وأسرا وكان في جملة من أسر ملك الفرنج الكبير والبرنس

أرسل صاحب الكرك وصاحب جبيل وابن المنفري ومقدم الدواية وجماعة من
الاسبتارية وما أصيبت الفرنج من حين خرجوا إلى الشام وهي سنة إحدى وتسعين
وأربعمائة إلى الآن بمصيبة مثل هذه الواقعة ولما انقضى المصاف جلس السلطان في خيمته
وأحضر ملك الفرنج وأجلسه إلى جانبه وكان الحر والمطش به شديدا فسقاه السلطان
ماء مثلوجا وسقى ملك الفرنج منه البرنس أرسل صاحب الكرك فقال له السلطان إن هذا
الملمون لم يشرب الماء باذني فيكون أمانا له ثم كلم السلطان البرنس ووبخه وفزعه على صدره
وقصده الحرمين الشريفين وقام السلطان بنفسه فضرب عنقه فارتعدت فرائص ملك الفرنج
فسكن جاشه ثم عاد السلطان إلى طبرية وفتح قلعتها بالامان ثم سار إلى عكا وحاصرها
وفتحها بالامان ثم أرسل أخاه الملك العادل فآزل مجداليا وفتحه عنوة بالسيف ثم فرق
السلطان عسكره ففتحوا الناصرة وقيسارية وهيفا وصفورية ومعلتا والقولة وغيرها من
البلاد المجاورة لعكا بالسيف وغنموا وقتلوا وأسروا أهل هذه الأماكن وأرسل فرقة إلى
نابلس فلكوا قلعتها بالامان ثم سار الملك العادل بعد فتح مجداليا إلى يافا وفتحها عنوة
بالسيف ثم سار السلطان إلى تبين ففتحها بالامان ثم سار إلى صيدا فأخلاها صاحبها
وتسلمها السلطان ساعة وصوله لتسع بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ثم سار إلى
بيروت فحاصرها وتسلمها في التاسع والعشرين من جمادى الأولى بالامان وكان حاصرها
مدة ثمانية أيام وكان صاحب جبيل من جملة الأسرى فبذل جبيل في أن يسلمها ويطلق
سراحه فأجيب إلى ذلك وكان صاحب جبيل من أعظم الفرنج وأشدهم عداوة للمسلمين
ولم تك عاقبة اطلاقه حميدة وأرسل السلطان فتسلم جبيل وأطلقه (وفيها) حضر
المركيس في سفينة إلى عكا وهي للمسلمين ولم يعلم المركيس بذلك وانفق هجوم الهواء
فراسل المركيس الملك الأفضل وهو بعكا يقترح أمرا بعد آخر والملك الأفضل يجيب
المركيس إلى ذلك إلى أن هب الهواء فاقلع المركيس إلى صور واجتمع عليه الفرنج الذين
بها وملك صوراً وكان وصول المركيس إلى صور واطلاق الفرنج الذين يأخذ السلطان
بلادهم بالامان ويحملهم إلى صور من أعظم أسباب الضرر التي حصلت حتى راحت عكا
وقوى الفرنج بذلك ثم سار السلطان إلى عسقلان وحاصرها أربعة عشر يوما وتسلمها
بالامان سلخ جمادى الآخرة ثم بث السلطان عسكره ففتحوا الرملة والداروم وغزة وبيت
لحم وبيت جبريل والنطرون وغير ذلك ثم سار السلطان ونازل القدس وبه من النصارى
عدد يفوت الحصر وضائق السلطان السور بالنقابين واشتد القتال وغلقوا السور فطلب
الفرنج الامان فلم يجبهم السلطان إلى ذلك وقال لا آخذها الا بالسيف مثل ما أخذها
الفرنج من المسلمين فماودوه في الامان وعرفوه ما هم عليه من الكثرة وانهم ان أسوا

منه من الامان قاتلوا خلاف ذلك فأجابهم السلطان اليه بشرط أن يؤدي كل من بها عشرة الدنانير عشرة الدنانير من الرجال ويؤدي النساء خمسة خمسة ويؤدوا عن كل طفل دينارين وأى من عجز عن الاداء كان أسيرا فأجيب الى ذلك وسلمت اليه المدينة يوم الجمعة في السابع والعشرين من رجب وكان يوما مشهودا ورفقت الاعلام الاسلامية على أسوار المدينة ورتب السلطان على أبواب البلد من يقبض منهم المالك المذكور نخان المرتبون في ذلك ولم يحملوا منه الا القليل وكان على رأس قبة الصخرة صليب كبير مذهب وتسلق المسلمون وقلموه فسمع لذلك ضجة لم يمهّد مثلها من المسلمين للفرح والسرور ومن الكفار بالتفجع والتوجع وكان الفرنج قد عملوا في غربى الجامع الاقصى هربا ومستراحا فأمر السلطان بإزالة ذلك واعادة الجامع الى ما كان عليه وكان نور الدين محمود بن زنكى قد عمل منبرا بحباب قد تعب عليه مدة وقال هذا لاجل القدس فأرسل السلطان صلاح الدين أحضر المنبر من حباب وجعله في الجامع الاقصى وأقام السلطان بعد فتوح القدس بظاهره الى الخامس والعشرين من شعبان يرتب أمور البلد وأحوالها وأمر بممل الربط والمدارس الشفعية ثم رحل السلطان الى عكا ورحل منها الى صور وصاحبها المركيس وقد حصنها بالرجال وحفر خندقها ونزل السلطان على صور تاسع شهر رمضان وحاصرها وضايقها وطلب الاسطول فوصل اليه في عشرة شوان فاتفق ان الفرنج كبسوهم في الشوانى وأخذوا خمسة شوان ولم يسلم من المسلمين الا من سبج ونجا وأخذ الباقون وطال الحصار عليها فرحل السلطان عنها في آخر شوال وكان أول كانون الاول وأقام بمكا وأعطى المساكر الدستور فسار كل واحد الى بلده وبقي السلطان بمكا في حلقتة وأرسل الى هوبين ففتحها بالامان

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) سار شمس الدين محمد بن عبد الملك عرف بابن المقدم بعد فتح القدس حاجا وكان هو أمير الحاج الشامى ليجمع بين الغزوة وزيارة القدس والحليل عليه السلام والحج في عام واحد فسار ووقف بمرفات ولما أفاض أرسل اليه طاشتكين أمير الحاج المراقى يمنعه من الافاضة قبله فلم يلتفت اليه فسار المراقيون واتقوا مع الشاميين فقتل بينهم جماعة وابن المقدم يمنع أصحابه من القتال ولو أمكنهم لا تتصفوا من المراقيين فخرج ابن المقدم ومات شهيدا ودفن بمقبرة المملى (وفيها) قوى أمر السلطان طغريل ابن أرسلان شاه بن طغريل بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه بن الب أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق وملك كثيرا من البلاد وأرسل قزل بن الدكزالى الخليفة يستجده ويخوفه عاقبة أمر طغريل (وفيها) سار شهاب الدين الغورى وغزا

بلاد الهند (وفيها) قتل الخليفة الناصر أستاذ داره مجد الدين أبا الفضل بن صاحب ولم يكن للخليفة معه حكم وظهر له أموال عظيمة فأخذت جميعها (وفيها) استوزر الخليفة الناصر لدين الله أبا المظفر عبيد الله بن يونس ولقبه جلال الدين ومشى أرباب الدولة في ركابه حتى قاضي النضاة وكان ابن يونس من خلة الناس فكان يمشى ويقول لمن الله طول العمر (وفيها) توفي قاضي القضاة الدامغاني وكان قد ولي القضاء للمقتفي (ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسة)

﴿ ذكر فتوحات السلطان صلاح الدين وغزواته ﴾

شق السلطان هذه السنة في عكا ثم سار بمن معه وقصد كوكب وجعل على حصارها أميراً يقال له قيماز النجمي وسار منها في ربيع الأول ودخل دمشق ففرح الناس بقدمه وكتب إلى الأطراف باجتماع العساكر وأقام في دمشق تقدير خمسة أيام وسار من دمشق في منتصف ربيع الأول من هذه السنة ونزل على بحيرة مقدس غربي حصن وأتته العساكر بها فأولهم عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب سنجار ونصيبيين ولما تكاملت عساكره رحل ونزل تحت حصن الأكراد وشن الغارات على بلاد الفرنج وسار من حصن الأكراد فنزل على الطرطوس سادس جمادى الأولى فوجد الفرنج قد أدخلوا انطرطوس فسار إلى مرقية فوجدهم قد أدخلوها أيضاً فسار إلى تحت المرقب وهو للاستبصار فوجده لايرام ولا لاحد فيه مطمع فسار إلى جبله ووصل إليها ثامن جمادى الأولى وتسلمها حالة وصوله فجعل فيها لحفظها الأمير سابق الدين عثمان ابن الداية صاحب شيزر ثم سار السلطان إلى اللاذقية ووصل إليها في الرابع والعشرين من جمادى الأولى ولها قلعتان فحصر القلعتين وزحف إليهما فطلب أهلها الأمان فأمنهم وتسلم القلعتين ولما ملك السلطان اللاذقية سلمها إلى ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر ابن شاهنشاه بن أيوب فعمرها وحصن قلعتها وكان تقي الدين عظيم الهمة في تحصين القلاع والفرامة عليها كما فعل بقلعة حماة ثم رحل السلطان عن اللاذقية في السابع والعشرين من جمادى الأولى إلى صهيون وحاصرها وضايقها فطلب أهلها الأمان فلم يجيبهم إلا على أمان أهل القدس فيما يؤدونه فاجابوه إلى ذلك وتسلم السلطان قلعة صهيون وسلمها إلى أمير من أصحابه يقال له ناصر الدين مذكورس صاحب قلعة أبي قبيس ثم فرق عسكره في تلك الجبال فلكوا حصن بلادنوس وكان الفرنج الذين به قد هربوا منه وأخلوه وملكوا حصن العبد وحصن الجماهدين ثم سار السلطان من صهيون ثالث جمادى الآخرة ووصل إلى قلعة بكاس فأخلاها أهلها وتحصنوا بقلعة الشفر فحصرها ووجدتها منيعة وضايقها فارمى الله في قلوب أهلها الرعب وطلبوا الأمان وتسلمها يوم

الجمعة سادس جمادى الآخرة بالامان وأرسل السلطان ولده الملك الظاهر غازى صاحب حلب فحصر سرمينية وضايقها وملكها واستنزل أهلها على قطعة قررها عليهم وهدم الحصن وعفى أثره وكان في هذا الحصن وفي الحصون المذكورة من أسرى المسلمين الجم الغفير فأطلقوا وأعطوا الكسوة والتففة ثم سار السلطان من الشحر الى برزية ورتب عسكره ثلاثة أقسام وداومها بالزحف وملكها بالسيف في السابع والعشرين من جمادى الآخرة وسبي وأسر وقتل أهلها قال مؤلف الكامل ابن الاثير كنت مع السلطان في مسيره وفتح هذه البلاد طلبا للغزوة فتحكى ذلك عن مشاهدة ثم سار السلطان فنزل على جسر الحديد وهو على العاصى بالقرب من انطاكية فاقام عايه أياما حتى تلاحق به من تأخر من العسكر ثم سار الى دريساك ونزل عليها نامن رجب من هذه السنة وحاصرها وضايقها وتسلمها بالامان على شرط أن لا يخرج أحد منها الا بشيابه فقط وتسلمها تاسع عشر رجب ثم سار من دريساك الى بغراس وحاصرها وتسلمها بالامان على حكم أمان دريساك وأرسل بيمند صاحب انطاكية الى السلطان يطلب منه الهدنة والصلح وبذل اطلاق كل أسير عنده فأجابه السلطان الى ذلك واصطلحوا ثمانية أشهر وكان صاحب انطاكية حينئذ أعظم ملوك الفرنج في هذه البلاد فان أهل طرابلس سلموا اليه طرابلس بعد موت القومص صاحبها على ما ذكرناه فجعل بيمند صاحب انطاكية ابنه في طرابلس ولما فرغ السلطان من أمر هذه البلاد والهدنة سار الى حلب فدخلها ثالث شعبان وسار منها الى دمشق وأعطى عماد الدين زنكى بن مودود دستورا وكذلك أعطى غيره من العساكر الشرقية وجعل طريقه لما رحل من حلب على قبر عمر رضى الله عنه ابن عبد العزيز فزاره وزار الشيخ الصالح أبا زكريا المغربي وكان مقيما هناك وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ظاهرة وكان مع السلطان أبو فايته الامير قاسم بن مهنا الحسينى صاحب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وشهد معه مشاهدته وفتوحاته وكان السلطان يتبرك برويته ويتمن بصحبته ويرجع الى قوله ودخل السلطان دمشق في شهر رمضان المعظم فأشير عليه بتفريق العساكر ليريحوا ويستريحوا فقال السلطان ان العمر قصير والاجل غير مأمون وكان السلطان لما سار الى البلاد الشمالية قد جعل على الكرك وغيرها من يحصرها وخلا أخاه الملك العادل في تلك الجهات بباشر ذلك فأرسل أهل الكرك يطلبون الامان فأمر الملك العادل المباشرين لحصارها بتسلمها فتسلموا الكرك والشوبك وما بتلك الجهات من البلاد ثم سار السلطان من دمشق في منتصف رمضان وسار الى صمد فحصرها وضايقها وتسلمها بالامان ثم سار الى كوكب وعليها فيماز النحوى يحاصرها فضايقها السلطان وتسلمها بالامان في منتصف ذى القعدة وسير أهلها الى صور وكان اجتماع أهل

هذه القلاع في صور من أعظم أسباب الضرر على المسلمين ظهر ذلك فيما بعد ثم سار
السلطان الى القدس فميد فيه عيد الاضحى ثم سار الى عكا فاقام بها حتى انسلخت السنة
ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) أرسل قزل بن الدكز يستنجد بالخليفة الامام الناصر على طغريل ابن
أرسلان بن طغريل السلجوقي ويحذره عاقبة أمره فأرسل الخليفة عسكرا الى طغريل
والتقوا ثامن ربيع الاول من هذه السنة قرب همدان فانهزم عسكر الخليفة وغنم طغريل
أموالهم وأسرمقدم العسكر جلال الدين عبيد الله وزير الخليفة (وفيها) توفي محمد بن عبد
الله الكاتب المعروف بان التماويذى الشاعر المشهور وقصائده في الغزل والنسيب مشهورة
وله في غير ذلك أشياء حسنة أيضاً فنها وقد صور ببغداد جماعة من الدواوين من جملة قصيدته

يا قاصدا بغداد حز عن بلدة	للجور فيها زجرة وعتاب
ان كنت طالب حارة فارح فقد	سدت على الراجي بها الابواب
والناس قد قامت قيامتهم فلا	أنساب بينهم ولا أسباب
والمرء يسلمه أبوه وعرسه	ويخونه القرباء والاحباب
لا شافع تغنى شفاعة ولا	جان له مما جناه متاب
شهدوا معادهم فماد مصدقا	من كان قبل بيعته يرتاب
جسر وميزان وعرض جراثد	وصحائف منشورة وحساب
ماقاتهم من يوم ما وعدوا به	في الحشر الاراحم وهاب

ومولد ابن التماويذى المذكور في سنة تسع عشرة وخسمائة (ثم دخلت سنة خمس وثمانين
وخسمائة) في هذه السنة سار السلطان صلاح الدين ونزل بمرج عيون وحضر اليه صاحب
شقيف أرنون وبذل اليه تسليم الشقيف بمد مدة ظهر بها خديعة منه فلما تقي للمدة ثلاثة
أيام استحضره السلطان وكان اسم صاحب الشقيف أرنط فقال له السلطان في التسليم فقال
لا يوافقني عليه أهلى وأهل الحصن فأمسكه السلطان وبثه الى دمشق فحبس

﴿ ذكر حصار الفرنج عكا ﴾

كان قد اجتمع بصور أهل البلاد التي أخذها السلطان بالامان فكثرت جمعهم حتى صاروا
في عالم لا يحصى كثرتهم وأرسلوا الى البحر يكون ويستجدون وصوروا صورة المسيح
وصورة عربي يضرب المسيح وقد أدماه وقالوا هذا نبي العرب يضرب المسيح فخرجت
النساء من بيوتهن ووصل من الفرنج في البحر عالم لا يحصون كثرة وساروا الى عكا من
صور ونازلوها في منتصف رجب من هذه السنة وضائقوا عكا وأحاطوا بسورها من

البحر الى البحر ولم يبق للمسلمين اليها طريق فسار اليهم السلطان ونزل قريب الفرنج
وقاتلهم في مستهل شعبان وباتوا على ذلك وأصبحوا فحمل تقي الدين عمر صاحب حماة
من ميمنة السلطان على الفرنج فازالهم عن موقفهم والتزق بالصور وانفتح الطريق الى
المدينة يدخل المسلمون ويخرجون وأدخل السلطان الى عكا عسكريا نجدة فكان من
جملتهم أبو الهيجاء السمين وبقى المسلمون يفادون القتال ويراوحونه الى العشرين من
شعبان ثم كان بين المسلمين وبينهم وقعة عظيمة فان الفرنج اجتمعوا وضربوا مع السلطان
مصافا وحلوا على القلب فازالوه وأخذوا يقتلون في المسلمين الى ان بلغوا الى خيمة
السلطان فأنحاز السلطان الى جانب وانضاف اليه جماعة وانقطع مدد الفرنج واشتغلوا
بقتال الميمنة فحمل السلطان على الفرنج الذين خرقوا القلب وانعطاف عليهم المسكر
فانفوه قتلوا فكانت قتل الفرنج نحو عشرة آلاف نفس ووصل المنهزمون من المسلمين
بعضهم الى طبرية وبعضهم وصل الى دمشق وجافت الارض بمد هذه الوقعة ولحق
السلطان مرض وحدث له قولنج فاشار عليه الامراء بالانتقال من ذلك الموضع فوافقهم
ورحل عن عكا رابع عشر رمضان من هذه السنة الى الحروبة فلما رحل تمكن الفرنج
من حصار عكا وانسطوا في تلك الارض وفي تلك الحال وصل أسطول المسلمين في البحر
مع حسام الدين لولو وكان شهما فظفر ببطشة للفرنج فأخذها ودخل بها الى عكا فقوى
قلوب المسلمين وكذلك وصل الملك العادل بمسكر مصر وبالسلاح الى أخيه السلطان
فقويت قلوب المسلمين بوصوله

ذكر غير ذلك

فيها توفي بالحروبة الفقيه عيسى وكان مع السلطان وهو من أعيان عسكريه كان جنديا
فقيها شجاعا وكان من أصحاب الشيخ أبي القاسم البرزى (وفيها) توفي محمد بن يوسف
ابن محمد بن قائد الملقب موفق الدين الاربلي الشاعر المشهور وكان اماما مقديما في علم
العريسة وكان أعلم الناس بالمروض واحذقهم بتقد الشعر واعرفهم بجيده من رديته
واشتغل بعلوم الاوائل وحل كتاب أفليدس وهو شيخ أبي البركات ابن المستوفي صاحب
تاريخ أربل ورحل ابن القائد المذكور الى شهرزور وقام بها مدة ثم رحل الى دمشق
ومدح السلطان صلاح الدين يوسف ومن شعره قصيدة مدح بها زين الدين يوسف
ساحب أربل منها

رب دار بالحى طال بلاها	عكف الركب عليها فبكاها
كان لى فيها زمان وانقضى	فسقى الله زمانى وسقاها
قل لجيران موثيقهم	كلما أحكمتها رثت قواها

كنت مشغوقا بكم اذ كنتم شجرا لا يبلغ الطير ذراها
واذما طمع اغري بكم عرض اليأس لنفسى فتناها
فصجبات الهوى اولها طمع النفس وهذا منهاها
لا تظنوا لى اليكم رجمة كشف التجريب عن عيني عماها
ان زين الدين اولانى يدا لم تدع لى رغبة فيما سواها

وهي طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر وكان أبوه محمدا جريا يتردد الى البحرين لتحصيل اللآلى من المغاصات (وفيها) توفي محمود بن على بن أبي طالب بن عبد الله الاصهباني المعروف بالقاضي صاحب الطريقة في الخلاف وصنف فيه التعليقة وهي عمدة المدرسين في القاء الدروس ومن لم يذكرها فانما هو لقصور فهمه عن ادراك دقائقها وكان متفتنا في العلوم وله في الوعظ اليد الطولى (ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة) في هذه السنة بعد دخول صفر رحل السلطان صلاح الدين عن الحروبة وعاد الى قتال الفرنج على عكا وكان الفرنج قد عملوا قرب سور عكا ثلاثة أبرجة طول البرج ستون ذراعا جاؤا بمخشبها من جزائر البحر وعملوها طبقات وشحنوها بالسلاح والمقاتلة ولبسوها جلود البقر والطين بالحل لثلا تعمل فيها النار فتحيل المسلمون وأحرقوا البرج الاول فاحترق بمن فيه من الرجال والسلاح ثم أحرقوا الثاني والثالث وانبسطت نفوس المسلمين لذلك بعد الكتابة ووصل الى السلطان المسافر من البلاد وبلغ المسلمون وصول ملك الالمان وكان قد سار من بلاد وراء القسطنطينية بمائة ألف مقاتل واهتم المسلمون لذلك وأيسوا من الشام بالكلية فسلط الله تعالى على الالمان الغلاء والوباء فهلك أكثرهم في الطريق ولما وصل ملكهم الى بلاد الارمن نزل في نهر هناك اغتسل ففرق وأقاموا ابنه مقامه فرجع من عسكره طائفة الى بلادهم وطائفة خاسرت ابن الملك المذكور فرجعوا أيضاً ولم يصل مع ابن ملك الالمان الى الفرنج الذين على عكا غير تقدير ألف مقاتل وكفى الله المسلمين شرهم وبقي السلطان والفرنج على عكا يتناوشون القتال الى العشرين من جمادى الآخرة فخرجت الفرنج من خنادقهم بالفارس والراجل وازالوا الملك العادل عن موضعه وكان معه عسكر مضر فمطقت عليهم المسلمون وقتلوا من الفرنج خلقا كثيرا فعادوا الى خنادقهم وحصل لالسلطان مقص فانتقطع في خيمة صغيرة ولولا ذلك لكانت الفيصلة ولكن اذا أراد الله أمرا فلا مرد له

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) لما قوى الشتاء واشتدت الرياح أرسل الفرنج المحاصرون عكا مراكبهم الى صور خوفا عليها ان تنكسر فانفتحت الطريق الى عكا في البحر وأرسل البديل اليها

فكان العسكر الذين خرجوا منها اضعاف الواصلين اليها فحصل التفريط بذلك لضعف
البدل (وفيها) في من شوال توفي زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك صاحب
أربل وكان مع السلطان في عسكره ولما توفي أقطع السلطان صلاح الدين أربل أخاه مظفر
الدين كوكبوري بن زين الدين علي كوجك واضاف اليه شهر زور وأعمالها وارتجع ما كان
يد مظفر الدين وهو حران والرها وسار مظفر الدين الى أربل وملكها (وفيها)
استولى الخليفة الناصر لدين الله على حديثة عانة بعد حصرها مدة (وفيها) أقطع
السلطان ما كان يد مظفر الدين وهو حران والرها وسمساط والموزر الملك المظفر آق
الدين عمر زيادة على ما يده وهو مياقارقين ومن الشام حماة والمعة وسلمية
ومنج وقلعة نجم وجبله واللاذقية وبلاطنس ومكرايك (ثم دخلت سنة سبع
وثمانين وخمسمائة)

(ذكر استيلاء الفرنج على عكا)

واستمر حصار الفرنج لعكا الى هذه السنة وكانوا قد أحاطوا بها من البحر الى البحر
وحفروا عليهم خندقاً فلم يتمكن السلطان من الوصول اليهم وكانوا محاصرين لعكا وهم
كالحصورين من خارجهم من السلطان واشتد حصارهم لعكا وطال وضعف من بهاعن
حفظ البلد وعجز السلطان صلاح الدين عن دفع العدو عنهم فخرج الامير سيف الدين
علي بن أحمد المشطوب من عكا وطلب الامان من الفرنج على مال وأسرى يقومون به
للفرنج فأجابوهم الى ذلك وصعدت أعلام الفرنج على عكا ظهر يوم الجمعة سابع عشر
جمادى الآخرة من هذه السنة واستولوا على البلد بما فيه وحبسوا المسلمين في أما كن
من البلد وقالوا انما نجسهم ليقوموا بالمال والأسرى وصليب الصليوت وكتبوا الى السلطان
صلاح الدين بذلك فحصل ما أمكن تحصيله من ذلك وطلب منهم اطلاق المسلمين فلم
يجيبوا الى ذلك فعلم منهم القدر واستمر اسرى المسلمين بها ثم قتل الفرنج
الفرنج من المسلمين جماعة كثيرة واستمروا بالباقيين في الاسر وبعد استيلاء
الفرنج على عكا وتقرير أمرها رحلوا عنها مستهل شعبان نحو قيسارية والمسلمون
يسارونهم ويتحفظون منهم ثم ساروا من قيسارية الى أرسوف ووقع بينهم وبين المسلمين
مصاف ازالوا المسلمين عن موقفهم ووصلوا الى سوق المسلمين فقتلوا من السوقية
وغيرهم خلقاً كثيراً ثم سار الفرنج الى ياقا وقد أخلاها المسلمون فلما كوها ثم رأى
السلطان تخريب عسقلان مصلحة لئلا يحصل لها ما حصل لكافسار اليها وأخلاها وخرها
ورتب الحجارين في تفليق أسوارها وتخريبها فدكها الى الارض فلما فرغ السلطان من
تخريب عسقلان رحل عنها ثاني شهر رمضان الى الرملة فحرب حصنها وخرب كنيسة لاد

ثم سار الى القدس وقرر أموره ووعاد الى مخيمه بالنظرون ثامن شهر رمضان ثم ترأس
الفرنج والسلطان في الصلح على أن يتزوج الملك العادل أخو السلطان بأخت ملك الانكثار
ويكون للملك العادل القدس ولامرأته عكا فحضر القيسون وأنكروا عليها ذلك الا ان
يتنصر الملك العادل فلم يتفق بينهم حال ثم رحل الفرنج من يافا الى الرملة ثالث ذى القعدة
وبقى في كل يوم يقع بين المسلمين وبينهم مناوشات فلقوا من ذلك شدة شديدة واقبل
الشتاء وحالت الاحوال يذهم ولما رأى السلطان ذلك وقد ضجرت المساكر أعطاهم الدستور
وسار الى القدس لسبع بقين من ذى القعدة ونزل داخل البلد واستراحوا مما كانوا فيه
وأخذ السلطان في تميم القدس وتحصينه وأمر المسكر بنقل الحجارة وكان السلطان
ينقل الحجارة بنفسه على فرسه ليقتهدى به المسكر فكان يجتمع عند العمالين في اليوم
الواحد ما يكفيهم لعدة أيام

(ذكر وفاة الملك المظفر تقي الدين عمر)

كان الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب قد سار الى البلاد المرتجمة من
كوبورى التي زاده اياها عمه السلطان من وراء الفرات وهي حران وغيرها فامتدت
عين الملك المظفر الى بلاد مجاوريه واستولى على السويدا وحانى واتق مع بكتمر صاحب
خلاط فكسره وحصره في خلاط وتملك على معظم البلاد ثم رحل عنها ونازل ملاز كرد
وهي ابكتمر وضايقتها وكان في صحبته ولده الملك المنصور محمد بن الملك المظفر عمر
المذكور فعرض للملك المظفر مرض شديد وتزايد به حتى توفي يوم الجمعة لاجدى عشرة
ليلة بقيت من رمضان من هذه السنة أعنى سنة سبع وثمانين وخمسائة فاخفى ولده الملك
المنصور وفاته ورحل عن ملاز كرد ووصل به الى حماة ودفنه بظاهرها وبني الى جانب
التربة مدرسة وذلك مشهور هناك وكان الملك المظفر شجاعا شديد البأس ركنا عظيما
من أركان البيت الايوبى وكان عنده فضل وأدب وله شعر حسن واتفق ان في ليلة الجمعة
التي توفي فيها الملك المظفر توفي فيها حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين وأمه ست الشام
بنت أيوب أخت السلطان فأصيب السلطان في تاريخ واحد بابن أخيه وابن أخته ولمامات
الملك المظفر راسل ابنه الملك المنصور السلطان صلاح الدين واشترط شروطا نسبة
السلطان فيها الى العصيان وكاد أمره يضطرب بالكلية فراسل الملك المنصور عمه الملك
العادل في استعطاف خاطر السلطان فما برح الملك العادل بأخيه السلطان يراجه ويشفع
في الملك المنصور حتى أجابه السلطان وقرر الملك المنصور حماة وسلمية والمعرة ومنبج
وقلعة نجم وارتجع السلطان البلاد الشرقية وما معها وأقطعها أخاه الملك العادل بعد ان
شرط السلطان ان الملك العادل ينزل عن كل ماله من الاقطاع بالشام خلا الكرك والشوبك

والصلت والبلقاء ونصف خاصه بمصر وأن يكون عليه في كل سنة ستة آلاف غرارة تحمل من الصلت والبلقاء الى القدس ولما استقر ذلك سار الملك العادل الى البلاد الشرقية لتقرير أمورها فقررها وعاد الى خدمة السلطان في آخر جمادى الآخرة من السنة القابلة أعني سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ولما قدم الملك العادل على السلطان كان الملك المنصور صاحب حماة محبته فلما رأى السلطان الملك المنصور بن تقي الدين نهض واعتقه وغشيه البكاء واكرمه وأنزله في مقدمة عسكره

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) في شعبان قتل قزل أرسلان واسمه عثمان بن الكرز وهو الذي ملك أذربيجان وهمدان وأصفهان والرى بعد أخيه محمد البهلوان وكان قد قوى عليه السلطان طغريل السلجوقي وهزم عسكر بغداد كما تقدم ذكره ثم ان قزل أرسلان تغلب واعتقل السلطان طغريل بن أرسلان بن طغريل في بعض البلاد وسار قزل أرسلان بعد ذلك الى أصفهان وتعصب على الشافعية وأخذ جماعة من أعيانهم فصلبهم وعاد الى همدان وخطب لنفسه بالسلطنة ودخل لينام على فراشه وتفرق عنه أصحابه فدخل عليه من قتله على فراشه ولم يعرف قاتله (وفيها) قدم معز الدين قيصر شاه بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم الى السلطان صلاح الدين وسببه ان والده فرق مملكته على أولاده وأعطى ولده هذا ملطية ثم تغلب بعض اخوته على والده والزمه بأخذ ملطية من أخيه المذكور تخاف من ذلك فسار الى السلطان ملتجأ اليه فأكرمه السلطان وزوجه بابنة أخيه الملك العادل وعاد معز الدين الى ملطية في ذى القعدة وقد انقطعت اطماع أخيه منه قال ابن الاثير لما ركب السلطان صلاح الدين ليودع معز الدين قيصر شاه المذكور ترحل معز الدين له فترحل السلطان صلاح الدين ولما ركب السلطان صلاح الدين عضده قيصر شاه وركبه وكان علاء الدين بن عز الدين مسعود صاحب الموصل مع السلطان اذ ذاك فسوى ثياب السلطان أيضاً فقال بعض الحاضرين في نفسه ما بقيت تبالى يا ابن أيوب بأى موتة تموت يركبك ملك سلجوق ويسوى قماشك ابن اتابك زنديكى (وفيها) قتل أبو الفتح يحيى بن حنش بن أميرك الملقب شهاب الدين السهروردي الحكيم الفيلسوف بقلمة حلب محبوساً أمر بنخقه الملك الظاهر غازي بأمر والده السلطان صلاح الدين قرأ المذكور الاصولين والحكمة بمراغة على مجد الدين الجيلي شيخ الامام فخر الدين ثم سافر لسهروردي المذكور الى حلب وكان علمه أكثر من عقله فنسب لي انحلال العقيدة وانه يعتقد مذهب الفلاسفة فافتى الفقهاء باباحة دمه لما ظهر من سوء مذهبه واشهر عنه وكان أشدهم عليه في ذلك زين الدين ومجد الدين ابنا جهيل حكى الشيخ

سيف الدين الآمدى قال اجتمعت بالسهروردي في حلب فقال لى لا بد أن أملك الارض
فقلت له من أين لك هذا قال رأيت في المنام كأنى شربت ماء البحر فقلت لعل يكون أشتها
علمك وما يناسب هذا فرأيت لا يرجع عما وقع في نفسه ووجدته كثير العلم قليل العقل
وكان عمره لما قتل ثمانيا وثلاثين سنة وله عدة مصنفات في الحكمة منها التلويحات والتنقيحات
والمشارع والمطارحات وكتاب الهياكل وحكمة الاشراف وكان ينتسب الى انه يعرف السيميا
وله نظم حسن فنه

أبدا تحن اليكم الارواح	ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشاقكم	والى لذيد لقائمكم تراح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا	ستر المحبة والهوى فضاخ
واذا هم كتموا يحدث عنهم	عند الوشاة المدمع السحاح
لا ذنب للعشاق ان غلب الهوى	كتمانهم فتمى الغرام وباحوا

وهى قصيدة طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر (ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة)
فيها سار الفرنج الى عسقلان وشرعوا في عمارتها في المحرم والسلطان بالقدس (وفيها)
قتل المريكس صاحب صور لعنه الله تعالى قتله بعض الباطنية وكانوا قد دخلوا في زى
الرهبان الى صور

(ذكر عقد الهدنة مع الفرنج وعود السلطان الى دمشق)

وسبب ذلك ان ملك الانكتار مرض وطال عليه اليكار فكاتب الملك العادل يسأله
الدخول على السلطان في الصلح فلم يجبهم السلطان الى ذلك ثم اتفق رأى الامراء على ذلك
لطول اليكار وضجر العسكر ونفدت نفقاتهم فأجاب السلطان الى ذلك واستقر أمر الهدنة
في يوم السبت ثامن عشر شعبان وتحالفوا على ذلك في يوم الاربعاء الثاني والعشرين من
شعبان ولم يحلف ملك الانكتار بل أخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان الملوك لا يحلفون
وقنع السلطان بذلك وحلف الكندهرى ابن أخيه وبخايفته في الساحل وكذلك حلف
غيره من عظماء الفرنج ووصل ابن الهنفرى وبالين الى خدمة السلطان ومعهما جماعة
من المقدمين وأخذوا يد السلطان على الصلح واستحلفوا الملك العادل أخا السلطان
والملك الافضل والظاهر ابني السلطان والملك المنصور صاحب حماة محمد ابن تقي الدين
عمر والملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والملك الامجد بهرام شاه
ابن فرخشاه صاحب بعلبك والامير بدر الدين ايلدرم الياوقى صاحب تل ياشر والامير
سابق الدين عثمان ابن الداية صاحب شيرز والامير سيف الدين على بن أحمد المشطوب
وغيرهم من المقدمين الكبار وعقدت هدنة عامة في البحر والبر وجعلت مدتها ثلاث

سنين وثلاثة أشهر أولها أيلول الموافق لحادي وعشرين من شعبان وكانت الهدنة على أن
 يستقر بيد الفرنج يافا و عملها و قيسارية و عملها و أرسوف و عملها و حيفا و عملها و عكا و عملها
 وأن تكون عسقلان خرابا و اشترط السلطان دخول بلاد الاسماعيلية في عقد هدنته
 و اشترط الفرنج دخول صاحب انطاكية و طرابلس في عقد هدنتهم وأن يكون لد و الرملة
 مناصفة بينهم وبين المسلمين فاستقرت القاعدة على ذلك ثم رحل السلطان الى القدس في
 رابع شهر رمضان و تفقد أحواله و أمر بتشييد أسوار و زاد في وقف المدرسة التي عملها
 بالقدس و هذه المدرسة كانت قبل الاسلام تعرف بصندحنة يذكرون ان فيها قبر حنة أم
 مريم ثم صارت في الاسلام دار علم قبل أن يملك الفرنج بالقدس ثم لما ملك الفرنج القدس
 في سنة اثنين و تسعين و أربع مائة أعادوها كنيسة كما كانت قبل الاسلام فلما فتح السلطان
 القدس أعادها مدرسة و فوض تدريسها و وقفها الى القاضي بهاء الدين بن شداد و لما استقر
 أمر الهدنة أرسل السلطان مائة حجار لتخريب عسقلان و أن يخرج من بها من الفرنج
 و عزم على الحج و الاحرام من القدس و كتب الى أخيه سيف الاسلام صاحب اليمن
 بذلك ثم فنده الامراء و قالوا لا نعلم على هدنة الفرنج خوفا من غدرهم فانتقض عزمه
 عن ذلك ثم رحل السلطان عن القدس لخمس ماضين من شوال الى نابلس ثم سار الى
 ييسان ثم الى كوكب فبات بقلعتها ثم رحل الى طبرية و لقيه بها الامير بهاء الدين قراقوش
 الاسدي و قد خلاص من الاسر و كان قد أسر بمكالم أخذها الفرنج مع من أسر فسار
 قراقوش مع السلطان الى دمشق ثم سار منها قراقوش الى مصر ثم سار السلطان الى
 بيروت و وصل الى خدمته يميند صاحب انطاكية يوم السبت حادي و عشرين شوال
 فأكرمه السلطان و فارقه غد ذلك اليوم و سار السلطان الى دمشق و دخلها يوم الاربعاء
 لخمس بقين من شوال و فرح الناس به لان غيبته كانت عنهم مدة أربع سنين و أقام العدل
 و الاحسان بدمشق و أعطى السلطان العساكر الدستور فودعه ولده الملك الظاهر و دعا
 لالقاء بعده و سار الى حلب و بقى عند السلطان بدمشق ولده الملك الافضل و القاضي
 الفاضل و كان الملك العادل قد استأذن السلطان و سار من القدس الى الكرك لينظر في
 مصالحه ثم عاد الملك العادل الى دمشق طالبا البلاد الشرقية التي صارت له بعد تقي
 الدين فوصل الى دمشق في الحادي و العشرين من ذي القعدة و خرج السلطان الى
 لقائه (وفي يوم الخميس) السادس و العشرين من شوال من هذه السنة توفي الامير
 سيف الدين علي بن أحمد المشطوب بنابلس و كانت اقطاعه فوقف السلطان ثلث بنابلس
 على مصالح القدس و أقطع الباقي للامير عماد الدين أحمد بن سيف الدين علي بن
 المشطوب و أميرين معه

ذكر وفاة السلطان عز الدين قليج أرسلان صاحب بلاد الروم

وأخبار الذين تولوا بعده

(في هذه السنة) أعني سنة ثمان وثمانين وخمسمائة في منتصف شعبان توفي السلطان عز الدين قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بنغو بن سلجوق وكان ملكه في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة وكان له عشرة بنين قد ولي كل واحد منهم قطرا من بلاد الروم وأكبرهم قطب الدين ملكشاه بن قليج أرسلان المذكور وكان قد أعطاه أبوه سيواس فسولت له نفسه القبض على أبيه واخوته والانتقار بالسلطنة وساعده على ذلك صاحب ارزنكان فسار قطب الدين ملكشاه وهجم على والده قليج أرسلان بمدينة قونية وقبض عليه وقال لوالده وهو في قبضته أنا بين يديك انفذ أوامرك ثم انه أشهد على والده بانه قد جعله ولي عهده ثم مضى ملكشاه المذكور الى حرب أخيه نور الدين سلطان شاه صاحب قيسارية ووالده في القبضة معه وهو يظهر ان مايفعله انما هو بأمر والده فخرج عسكر قيسارية لحربه فوحد أبوه عز الدين قليج أرسلان عند اشتغال العسكر بالقتال فرصة فهرب الى ولده سلطان شاه صاحب قيسارية فآكرمه وعظمه كما يجب عليه فرجع قطب الدين ملكشاه الى قونية وخطب لنفسه بالسلطنة وبقي أبوه قليج أرسلان يتردد في بلاده بين أولاده كلما ضجر منه واحد منهم ينتقل الى الآخر حتى حصل عند ولده غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان صاحب برغلو فقوى أباه قليج أرسلان وأعطاه وجمع له وحشد وسار معه الى قونية فملكها وأخذها من ابنه ملكشاه ثم سار الى أقصرا فاتفق ان عز الدين قليج أرسلان مرض ومات في التاريخ المذكور فأخذه ولده كيخسرو وعاد به الى قونية فدفعها واتفق موت ملكشاه بدموت أبيه قليج أرسلان بقليل فاستقر كيخسرو في ملك قونية واثبت انه ولي عهد أبيه قليج أرسلان ثم ان ركن الدين سليمان أخا غياث الدين كيخسرو قوى على أخيه كيخسرو وأخذ منه قونية فهرب كيخسرو الى الشام مستنجرا بالملك الظاهر صاحب حلب ثم مات ركن الدين سليمان سنة ستماية وملك بعده ولده قليج أرسلان بن سليمان فرجع غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان الى بلاد الروم وازال ملك قليج أرسلان بن سليمان وملك بلاد الروم جميعها واستقرت له السلطنة ببلاد الروم وبقي كذلك الى ان قتل وملك بعده ابنه عز الدين كيكوس بن كيخسرو ثم توفي كيكوس وملك بعده أخوه السلطان علاء الدين كيقباز بن كيخسرو وتوفي علاء الدين كيقباز سنة أربع وتلاثين وستماية

وملك بعده ولده غياث الدين كيخسرو بن كيخسرو وكسره التتر سنة احدى وأربعين وستمائة وتضعف حينئذ ملك السلاطين السلجوقية بلاد الروم ثم مات غياث الدين كيخسرو بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان ابن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بن سلجوق وانقضى بموت كيخسرو المذكور سلاطين بلاد الروم في الحقيقة لان من صار بعده لم يكن له من السلطنة غير مجرد الاسم وخلف كيخسرو المذكور صيين هماركن الدين وعز الدين فلما معا مدة مديدة ثم انفرد ركن الدين بالسلطنة وهرب أخوه عز الدين الى قسطنطينية وتغلب على ركن الدين معين الدين البرواناه والبلاد في الحقيقة للتتر ثم ان البرواناه قتل ركن الدين وأقام ابنا لركن الدين بخط له بالسلطنة والحكم للبرواناه وهو نائب التتر على ما سذكروه ان شاء الله تعالى

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) غزا شهاب الدين الغوري الهند فغنم وقتل مالا يحصى (وفيها) خرج السلطان طغريل بن أرسلان بن طغريل من الحبس بعد قتل قزل أرسلان بن الدكز وكان قزل قد اعتقله حسبما تقدم ذكره في سنة سبع وثمانين وخمسائة (وفيها) توفي راشد الدين سنان بن سليمان بن محمد وكنيته أبو الحسن صاحب دعوة الاسماعيلية بقلع الشام وأسله من البصرة (ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسائة)

ذكر وفاة السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف

ابن أيوب بن شادي وشي من أخباره

دخلت هذه السنة والسلطان بدمشق على أكمل ما يكون من المسرة وخرج الى شرف دمشق متصيدا وغاب خمسة عشر يوما وصحبه أخوه الملك العادل ثم عاد الى دمشق وودعه أخوه الملك العادل وداعا لالقاء بعده فمضى الى الكرك وأقام فيه حتى بلغه وفاة السلطان وأقام السلطان بدمشق وركب في يوم الجمعة خامس عشر صفر وتلقى الحجاج وكان عاداته أن لا يركب الا وهو لابس كزاغند فركب ذلك اليوم وقد اجتمع بسبب ملقى الحجاج وركوبه عالم عظيم ولم يلبس الكزاغند ثم ذكره وهو راكب فطلب الكزاغند فلم يجده وقد حملوه معه ولما التقى الحجاج استعبرت عيناه كيف فانه الحج ووصل اليه مع الحجاج ولد أخيه سيف الاسلام صاحب اليمن ثم عاد السلطان بين البساتين الى جهة المنبيع ودخل الى القلعة على الجسر اليها وكانت هذه آخر ركبانته فلحقه ليلة السبت سادس عشر صفر كسل عظيم وغشيه نصف الليل حتى صفاوية وأخذ المرض في التزايد وقصده

الاطباء في الرابع فاشتد مرضه وحدث به في التاسع رعشة وغاب ذهنه وامتنع من تناول المشروب واشتد الارجاف في البلد وغشى الناس من الحزن والبكاء عليه ما لا يمكن حكايته وحقن في العاشر حقتين فحصل له راحة وتناول من ماء الشعير مقداراً صالحاً ثم لحقه عرق كثير حتى نفذ من الفراش واشتد المرض ليلة الثاني عشر من مرضه وهي ليلة السابع والعشرين من صفر وحضر عنده الشيخ أبو جعفر امام الكلاسة ليبيت عنده في القلعة بحيث ان احتضر بالليل ذكره الشهادة وتوفي السلطان في الليلة المذكورة أعنى في الليلة المستقرة عن نهار الاربعاء السابع والعشرين من صفر بعد صلاة السبح من هذه السنة أعنى سنة تسع وثمانين وخمسمائة وبادر القاضي الفاضل بعد صلاة الصبح فحضر وفاته ووصل القاضي بهاء الدين بن شداد بعد موته وانتقله الى رحمة الله وكرامته وغسله الفقيه الدولي خطيب دمشق واخرج بعد صلاة الظهر من نهار الاربعاء المذكور في تابوت مسجى بثوب وجميع ما احتاجوا من الثياب في تكفينه أحضره القاضي الفاضل من جهة حل عرفه وصلى عليه الناس ودفن في قلعة دمشق في الدار التي كان مريضاً فيها وكان نزوله الى جدته وقت صلاة العصر من النهار المذكور وكان الملك الافضل ابنه قد حلف الناس له قبل وفاة والده عند ما اشتد مرضه وجلس للعزاء في القلعة وأرسل الملك الافضل على الكتب بوفاة والده الى أخيه العزيز عثمان بمصر وإلى أخيه الظاهر غازي بحلب وإلى عمه الملك العادل أبي بكر بالكرك ثم ان الملك الافضل عمل لوالده تربة قرب الجامع وكانت داراً لرجل صالح ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء سنة اثنتين وخمسمائة ومضى الملك الافضل بين يدي تابوته واخرج من باب القلعة على دار الحديث الى باب البريد وادخل الجامع ووضع قدام الستروصلى عليه القاضي محي الدين ابن القاضي زكي الدين ثم دفن وجلس ابنه الملك الافضل في الجامع ثلاثة أيام للعزاء وانفقت ست الشام بنت أيوب أخت السلطان في هذه البوابة أموالاً عظيمة وكان مولد السلطان سلاح الدين بتكريت في شهر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة فكان عمره قريباً من سبع وخمسين سنة وكانت مدة ملكه للديار المصرية نحو أربع وعشرين سنة وملكه الشام قريباً من تسع عشرة سنة وخلف سبعة عشر ولداً ذكراً وبنتاً واحدة وكان أكبر أولاده الملك الافضل نور الدين علي بن يوسف ولد بمصر سنة خمس وستين وخمسمائة وكان العزيز عثمان أصغر منه بنحو سنتين وكان الظاهر صاحب حلب أصغر منهما وبقيت البنت حتى تزوجها ابن عمها الملك الكامل صاحب مصر ولم يخلف السلطان سلاح الدين في خزائنه غير سبعة وأربعين درهماً وحرم واحد صوري وهذا من رجل له الديار المصرية والشام وبلاد الشرق واليمن دليل قاطع على فرط كرمه ولم يخلف داراً ولا عقاراً قال العماد

الكاتب حسب ما أطلقه السلطان في مبدأ مقامه بمرج عكا من خيل عراب وأكاديش فكان اثني عشر ألف رأس وذلك غير ما أطلقه من أثمان الخيل المصابة في القتال ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب أو موعود به ولم يؤخر صلاة عن وقتها ولا صلى الا في جماعة وكان اذا عزم على أمر توكل على الله ولا يفضل يوماً على يوم وكان كثير سماع الحديث النبوي قرأ مختصراً في الفقه تصنيف سلم الداري وكان حسن الخلق صبوراً على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب أصحابه يسمع من أحدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه وكان يوماً جالساً فرمى بعض المماليك بمضا سرموزة فاخطأته ووصلت الى السلطان فاخطأته ووقعت بالقرب منه فالتفت الى الجهة الاخرى ليتغافل عنها وكان طاهر المجلس فلا يذكر أحد في مجلسه أحداً الا بالخير وطاهر اللسان فما يولع بشتم قط قال العماد الكاتب مات بموت السلطان الرجال وفات بوقاته الافضال وغاضت الايادي وقاضت الاعادي وانقطعت الارزاق وادلهمت الآفاق وفجع الزمان بواحدته وسلطانه ورزى الاسلام بمشيد أركانه

ذكر ما استقر عليه الحال بعد وفاة السلطان

لماتوفي السلطان الملك الناصر صلاح الدين استقر في الملك (بدمشق) وبلادها المدسوبة اليها ولده الملك الافضل نورالدين علي (وبالديار المصرية) الملك العزيز عماد الدين عثمان (وبحلب) الملك الظاهر غياث الدين غازي (وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية) الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب (وبحماة وسلمية والمصرة ومنبج وقلعة نجم) الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر (وببعلبك) الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب (وبحمص والرحبة وتدمر) شيركوه ابن محمد بن شيركوه بن شادي وبيد الملك الظافر خضر بن السلطان صلاح الدين بصري وهو في خدمة أخيه الملك الافضل وبيد جماعة من أمراء الدولة بلاد وحصون منهم سابق الدين عثمان بن الداية بيده (شيزر) وأبوقبيس وناصر الدين بن كورس بن خماردكين بيده (صهيون وحصن برزية) وبدر الدين دلدرم ابن بهاء الدين ياروق بيده (تل بشر) وعز الدين اسامة بيده (كوكب وعجلون) وعز الدين ابراهيم بن شمس الدين ابن المقدم بيده (بعين وكفر طاب وقامية) والملك الافضل هو الاكبر من أولاد الساطان والمعهود اليه بالسلطنة واستوزر الملك الافضل ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الاثير مصنف المثل السائر وهو أخو عز الدين ابن الاثير مؤلف التاريخ المسمى بالكامل فحسن للملك الافضل طرد أمراء أبيه فقارقه الى أخويه العزيز والظاهر قال العماد الكاتب وتفرد الوزير في توزره ومد الجزري في جزره ولما اجتمعت أكابر الامراء بمصر حسنوا

للملك العزيز الافراد بالسلطنة ووقعوا في أخيه الافضل فمال الى ذلك وحصلت
الوحشة بين الاخوين الافضل والعزيز (وفي هذه السنة) بعد موت السلطان قدم الملك العادل
من الكرك الى دمشق وأقام فيها وظيفة النزاه على أخيه ثم توجه الى بلاده التي وراء الفرات
ذكر حركة عز الدين مسعود صاحب الموصل الى البلاد الشرقية

التي بيد الملك العادل وعوده وموته

(في هذه السنة) لما مات السلطان صلاح الدين كاتب عز الدين مسعود بن مودود بن
عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل ملوك البلاد المجاورين للموصل يستنجدهم
ولذلك اتفق مع أخيه عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجان وسار الى
جهة حران وغيرها فلحق عز الدين مسعود اسهال قوى وضمف فترك المسكر مع أخيه
عماد الدين وعاد الى الموصل ومحبته مجاهد الدين قيمان فحلف المسكر عز الدين لابنه
أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر وقوى بعز الدين مسعود المرض
وتوفي في السابع والعشرين من شعبان في هذه السنة فكانت مدة ما بين وقاه و وفاة
السلطان صلاح الدين نصف سنة وكانت مدة ملك عز الدين مسعود للموصل ثلاث عشرة
سنة وستة أشهر وكان ديناً خيراً كثيراً الاحسان وكان أسمر مليح الوجه خفيف العارضين
يشبه جده عماد الدين زنكي واستقر في ملك الموصل بعده ولده أرسلان شاه وكان القيم
بأمره مجاهد الدين قيمان

(ذكر قتل بكتمر صاحب اخلاط)

(في هذه السنة) في أول جمادى الاولى قتل سيف الدين بكتمر صاحب اخلاط وكان
بين قتله وبين موت السلطان صلاح الدين شهران ولما بلغ بكتمر موت السلطان صلاح
الدين أسرف في اظهار الشماتة بموت السلطان وضرب البشائر ببلاده وفرح فرحاً كثيراً
وعمل تحتاً يجلس عليه ولقب نفسه السلطان المعظم صلاح الدين وكان اسمه بكتمر فسمى
نفسه الملك العزيز فلم يممه الله تعالى وكان هذا بكتمر من مماليك ظهير الدين شاهر من
وكان له خشداش اسمه هزار دیناری وكان قد قوى وتزوج ابنة بكتمر وطمع في الملك
فوضع على بكتمر من قتله ولما قتل ملك بعده هزار دیناری خلاط وأعمالها واسم
هزار دیناری المذكور اقسنقر ولقبه بدر الدين جليه تاجر جرجاني اسمه على الى خلاط
فاشتراه منه شاهر من سكرمان بن ابراهيم واعجب به شاهر من فجهله ساقباليه ولقبه
هزار دیناری وبقي على ذلك برهة من الزمان فلما تولى بكتمر على مملكة خلاط بقي المذكور
من أكبر الامراء وتزوج ببنت بكتمر عينا خاتون فلما قتل بكتمر خلف ولداً فأخذ

هزاردينارى المذكور ولد بكتمر وأمه واعتقلهما بقلمة ارزاس بموش وكان عمر ابن بكتمر
اذ ذاك نحو سبع سنين واستمر بدر الدين اقسنقر هزار دينارى في مملكة خلاط حتى توفي
في سنة أربع وتسعين وخمسة حسبا سندا كره ان شاء الله تعالى

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) شق شهاب الدين الغورى في بر شاور وجهاز مملوكه أيبك في عساكر
كثيرة الى بلاد الهند ففتح وغنم وعاد منصورا مؤيدا (وفيها) توفي سلطان شاه بن أرسلان
ابن اطسز بن محمد بن أنوشتكين وكان قد ملك مرو وخراسان ولما مات انفرد أخوه
تكش بالمملكة وقد تقدم ذكرهما في سنة ثمان وستين وخمسة (وفيها) مات الامير داود
ابن عيسى بن محمد بن أبي هاشم أمير مكة وما زالت امارة مكة له تارة ولاخيه مكثر تارة
حتى مات (ثم دخلت سنة تسعين وخمسة)

(ذكر قتل طغريل وملك خوارزم شاه الري)

كان طغريل بن أرسلان بن طغريل بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان بن داود بن
ميكائيل السلجوقى قد حبسه قزل أرسلان بن الدكز وخرج طغريل من الحبس في سنة
ثمان وثمانين وخمسة وملك همدان وغيرها وجرى حرب بينه وبين مظفر الدين أربك
ابن البهلوان محمد بن الدكز وقيل بل هو قطلع اينانج أخو أربك المذكور فانهزم ابن
البهلوان ثم ان ابن البهلوان بعد هزيمته استنجد بخوارزم شاه علاء الدين تكش فخاف منه
فلم يجتمع بخوارزم شاه فسار خوارزم شاه تكش وملك الري وذلك في سنة ثمان وثمانين
وبلغ تكش ان أخاه سلطان شاه قد قصد خوارزم فصالح طغريل السلجوقى وعاد
تكش الى خوارزم وبقي الامر كذلك حتى مات سلطان شاه في سنة تسع وثمانين وخمسة
فقسلم تكش مملكة أخيه سلطان شاه وخزانتة وولى ابنه محمد بن تكش نيسابور وولى
ابنه الاكبر ملكشاه ابن تكش مرو ولما دخلت سنة تسعين سار تكش الى حرب
طغريل السلجوقى فسار طغريل الى لقائه قبل أن يجمع عساكره والتقى العسكران بالقرب
من الري وحمل طغريل بنفسه فقتل وكان قتله في الرابع والعشرين من ربيع الاول من
هذه السنة وحمل رأس طغريل الى تكش فأرسله الى بغداد فنصب بها عدة أيام وسار
تكش فلك همدان وتلك البلاد جميعها وسلم بعضها الى ابن البهلوان وأقطع بعضها لمالكه
ورجع الى خوارزم وهذا طغريل بن أرسلان شاه بن طغريل بن محمد بن ملكشاه بن
الب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق هو آخر السلاطين السلجوقية الذين
ملكوا بلاد المعجم وقد تقدم ذكر ابتداء الدولة السلجوقية في سنة اثنتين وثلاثين
وأربعمائة وأول من ملك منهم العراق وازال دولة بنى بوية طغريل بك بن ميكائيل

ابن سلجوق ثم ملك بعده ابن أخيه الب أرسلان بن داود بن ميكائيل ثم ابنه ملكشاه
 ابن الب أرسلان ثم ابنه محمود بن ملكشاه وكان طفلاً فقامت بتدبير الملكة أم محمود
 ترکان خاتون ومات محمود وهو ابن سبع سنين وملك أخوه ركيارق بن ملكشاه ثم
 أخوه محمد بن ملكشاه ثم ابنه محمود بن محمد المذكور ثم ابنه داود بن محمود بن محمد
 المذكور مدة يسيرة ثم عمه طغريل بن محمد ثم أخوه مسعود بن محمد ثم ان ابن أخيه
 ملكشاه بن محمود بن محمد أياما يسيرة ثم أخوه محمد بن محمود ثم بعد محمد المذكور
 اختلفت المساكر وقام من بني سلجوق ثلاثة أحدهم ملكشاه بن محمود أخو محمد
 المذكور والثاني سليمان شاه بن محمد ابن السلطان ملكشاه وهو عم محمد المذكور
 والثالث أرسلان شاه بن طغريل بن محمد ابن السلطان ملكشاه وكان الدكز متزوجا
 بأم أرسلان شاه المذكور فقوى عليها سليمان شاه واستقر في همدان في سنة خمس
 وخسين وخمسمائة ثم قبض سليمان شاه وقتل وكذلك سم ملكشاه بن محمود المذكور
 ومات بأصفهان في السنة المذكورة أعنى سنة خمس وخسين وخمسمائة وانقرضت بالسلطنة
 أرسلان شاه بن طغريل ربيب الدكز ثم ملك بعده ابنه طغريل ابن أرسلان شاه
 ابن طغريل المذكور في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وجرى له ما ذكرناه حتى
 قتله تكش في هذه السنة أعنى سنة تسعين وخمسمائة وانقرضت به الدولة السلجوقية
 من تلك البلاد

﴿ ذكر غير ذلك ﴾

(في هذه السنة) أرسل الخليفة الامام الناصر عسكريا مع وزيره مؤيد الدين محمد بن
 على المعروف بابن القصاب الى خورستان وهي بلاد شملة وأولاده من بعده وكان قد
 مات صاحبها ابن شملة فاختلفت أولاده فوصل عسكري الخليفة الى خورستان وملكوا
 مدينة تستر في المحرم سنة احدى وتسعين وغيرها من البلاد وكذلك ملكوا قلعة الناظر
 وقلعة كاكرد وقلعة لاموج وغيرها من القلاع والحصون فانفذوا بني شملة أصحاب بلاد
 خورستان الى بغداد (وفي هذه السنة) أعنى سنة تسعين استحكمت الوحشة بين الاخوين
 العزيز والافضل ابني السلطان صلاح الدين فسار العزيز في عسكر مصر وحصر أخاه
 الافضل بدمشق فأرسل الافضل الى عمه العادل وأخيه الظاهر وابن عمه الملك المنصور
 صاحب حماة يستنجدهم فساروا الى دمشق واصلحوا بين الاخوين ورجع العزيز الى
 مصر ورجع كل ملك الى بلده وأقبل الملك الافضل بدمشق على شرب الخمر وسماع
 الاغانى والاوزار ليلا ونهارا وأشاع ندماؤه ان عمه الملك العادل حسن له ذلك وكان
 يعمل بالحقية فأنشده العادل

* فلاخير في اللذات من دونها ستر * فقبل وصية عمه وتظاهر بذلك وفوض
 أمر المملكة الى وزيره ضياء الدين بن الاثير الجزري يدبرها برأيه الفاسد ثم ان
 الملك الافضل أظهر التوبة عن ذلك وازال المنكرات وواظب على الصلوات وشرع في
 نسخ مصحف بيده (ثم دخلت سنة احدى وتسعين وخمسمائة) وفيها سار ابن القصاب
 وزير الخليفة بعد ملك خورستان الى همدان فملكها وملك غيرها من بلاد العجم وأخذ
 يستولى على سائر البلاد للخليفة فتوفي مؤيد الدين بن القصاب المذكور في أوائل شعبان
 سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة (وفيها) غزى ملك العرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن
 الفرنج بالاندلس وجرى بينهم مصاف عظيم اتصرف فيه المسلمون وقتل من الفرنج مالا يحصى
 وولوا منهزمين وغنم المسلمون منهم مالا يحصى (وفيها) جهز الخليفة الامام الناصر عسكريا
 مع مملوك له يقال له سيف الدين طغريل فاستولوا على أصفهان (وفيها) قدم ممالك البهلوان
 عليهم مملوكا من البهلوانية يقال له كلجا فعظم أمر كلجا واستولى على الري وهمدان
 (وفيها) عاود الملك العزيز عثمان صاحب مصر قصد الشام ومنازلة أخيه الملك الافضل
 فسار ونزل الفوار من أرض السواد من بلاد دمشق فاضطرب بعض عسكر العزيز عليه
 وهم طائفة من الامراء الاسدية وفارقوه فبادر العزيز العود الى مصر بمن بقي معه من
 العسكر وكان الملك الافضل قد استنجد بعمه الملك العادل لما قصده أخوه العزيز فلما
 رحل العزيز عائدا الى مصر رحل الملك الافضل وعمه العادل ومن انضم اليهما من الاسدية
 وساروا في أثر العزيز طالبين مصر فساروا حتى نزلوا على بليس وقد ترك فيها العزيز
 جماعة من السلاحية وقصد الملك الافضل مناجزتهم بالقتال فثمه العادل عن ذلك فقصد
 الافضل المسير الى مصر والاستيلاء عليها فثمه عمه العادل أيضا عن ذلك وقال مصر لك
 متى شئت وكاتب العادل العزيز في الباطن وأمره بارسال القاضي الفاضل ليصلح بين
 الاخوان وكان القاضي الفاضل قد اعزل عن ملابتهم لما رأى من فساد أحوالهم فدخل
 عليه الملك العزيز وسأله فتوجه القاضي الفاضل من القاهرة الى عند الملك العادل واجتمع
 به واتفقا على أن يصلحا بين الاخوين فاصلحا بينهما وأقام الملك العادل بمصر عند العزيز
 ابن أخيه ليقرر أمور مملكته وعاد الافضل الى دمشق (وفيها) كان بين يعقوب بن
 يوسف بن عبد المؤمن ملك العرب وبين الفرنج بالاندلس شمالي قرطبة حروب عظيمة
 اتصرف فيها يعقوب وانهزم الفرنج (ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة) فيها سار
 شهاب الدين الغوري صاحب غزنة الى بلاد الهند وفتح قلعة عظيمة تسمى بهنكر بالامان
 ثم سار الى قلعة كوكير وبينهما نحو خمسة أيام فصالحه أهلها على مال حملوه اليه ثم سار في بلاد
 الهند فغنم وأسر وعاد الى غزنة (وفيها) قتل صدر الدين محمد بن عبد المظيف بن محمد

الحجندی رئیس الشافعية بأصفهان وهو الذي سلم أصفهان الى عسكر الخليفة قتله سنقر الطويل شحنة للخليفة بسبب منافرة جرت بينهما (وفيها) نقل الملك الافضل أباه السلطان صلاح الدين من قلعة دمشق الى التربة بالمدينة في صفر فكان مدة لبثه بالقلعة ثلاث سنين ولزم الملك الافضل الزهد والقناعة وأموره مفوضة الى وزيره ضياء الدين بن الاثير الحزري وقد اختلفت الاحوال به وكثر شاكوه وقل شاكره

(ذكر انتزاع دمشق من الملك الافضل)

لما بلغ الملك العادل في مصر والملك العزيز اضطراب الامور على الملك الافضل اتفق العادل مع العزيز على أن يأخذا دمشق وأن يسلمها العزيز الى العادل لتكون الخطبة والسكة للعزيز بسائر البلاد كما كانت لايه فخرجا وسارا من مصر فأرسل الافضل اليهما فلك الدين وهو أحد أمراءه وكان فلك الدين أخا الملك العادل لأمه واجتمع فلك الدين بالملك العادل فأكرمه وظهر الاجابة الى ماطلبه وأتم العادل والعزيز السير حتى نزلا على دمشق وقد حصنها الملك الافضل فكاتب بعض الامراء من داخل البلد الملك العادل وصاروا معه وأنهم يسلمون المدينة اليه فزحف الملك العادل والملك العزيز ضحى يوم الاربعاء السادس والعشرين من رجب من هذه السنة فدخل الملك العزيز من باب الفرج والملك العادل من باب توما فأجاب الملك الافضل الى تسليم القلعة وانتقل منها بأهله وأصحابه واخرج وزيره ضياء الدين بن الاثير مختفيا في صندوق خوفا عليه من القتل وكان الملك الظافر خضر ابن السلطان صلاح الدين صاحب بصرى مع أخيه الافضل ومعاذ له فأخذت منه بصرى أيضا فلحق بأخيه الملك الظاهر فأقام عنده بمحلب وأعطى الافضل صرخد فسار اليها بأهله واستوطنها ودخل الملك العزيز الى دمشق يوم الاربعاء رابع شعبان ثم سلم دمشق الى عمه الملك العادل على حكم ما كان وقع عليه الاتفاق بينهما وتسلمها الملك العادل ورحل الملك العزيز من دمشق عشية يوم الاثنين تاسع شعبان وكانت مدة ملك الملك الافضل لدمشق ثلاث سنين وشهرا وأبقى الملك العادل السكة والخطبة بدمشق للملك العزيز ولما استقر الملك الافضل بصرخد كتب الى الخليفة الامام الناصر يشكوه من عمه العادل أبي بكر وأخيه العزيز عثمان وأول الكتاب

مولاي ان ابا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق على
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي من الاواخر مالاقي من الاول
فكتب الامام الناصر جوابه

واي كتابك يا ابن يوسف معلنا بالصدق يخبر ان أصلك طاهر
غصبا عليا حقه اذ لم يكن بعد النبي له يثر بناصر

فأصبر فان غدا عليه حسابهم وابشر فناصرك الامام الناصر

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة) في هذه السنة توفي ملكشاه بن تكش بنيسابور وكان أبوه خوارزم شاه تكش قد جعله فيها وجعل له الحكم على تلك البلاد وجعله ولي عهده وخلف ملكشاه ولدا اسمه هندوخان فلما مات ملكشاه جعل تكش فيها عوضه. ولده الآخر قطب الدين محمد وهو الذي ملك بعد أبيه وغير لقبه عن قطب الدين وجعله علاء الدين وكان بين الاخوين ملكشاه وقطب الدين عداوة مستحكمة

ذكر وفاة سيف الاسلام

(في هذه السنة) في شوال توفي سيف الاسلام ظهير الدين طفتكين بن أيوب صاحب اليمن ولما مات سيف الاسلام كان ولده الملك العزيز اسماعيل بالسمرين فبعث اليه جمال الدولة كافور جماعة من الجند فعرفوه بوفاة والده ومضوا به الى ممالك أبيه فسلطوها اليه وكانت وفاة سيف الاسلام بزويد وكان شديد السيرة مضيقا على رعيته يشتري أموال التجار لنفسه ويبيعها كيف شاء وجمع من الاموال مالا يحصى حتى انه كان يسبك الذهب ويجعله كالطاحون ويدخره (ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة) في هذه السنة في المحرم توفي عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب سنجار والخابور والرقه وكان حسن السيرة متواضعا يحب أهل العلم الا انه كان بخيلا شديد البخل وملك بعده ولده قطب الدين محمد بن زنكي وتولى تدبير دولته مجاهد الدين برنقش مملوك أبيه (وفيها) في جمادى الاولى سار نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل الى نصيبين فالتولى عليها وأخذها من ابن عمه قطب الدين محمد ابن زنكي فأرسل قطب الدين محمد واستنجد بالملك العادل فسار الملك العادل الى البلاد الجزرية ففارق نور الدين أرسلان شاه نصيبين وعاد الى الموصل فعاد قطب الدين محمد بن زنكي وأسلم نصيبين (وفيها) سار خوارزم شاه تكش الى بخارى وهي لاخطا وحاصرها وملكها وكان تكش أعور فأخذ أهل بخارى في مدة الحصار كلبا أعور والبسوه قباء وقالوا للخوارزمية هذا سلطانكم ورموه بالمنجنيق اليهم فلما ملكها خوارزم شاه تكش أحسن الى أهل بخارى وفرق فيهم أموالا ولم يؤاخذهم بما فعلوه في حقه (وفيها) وصل جمع عظيم من الفرنج الى الساحل واستولوا على قلعة بيروت وسار الملك العادل ونزل تل العجول وأتته النجدة من مصر ووصل اليه سنقر الكبير صاحب القدس وميمون القصرى صاحب نابلس ثم سار الملك العادل الى يافا وهجمها بالسيف وملكها وقتل الرجال المقاتلة وكان هذا الفتح ثالث فتح لها ونازلت الفرنج تبين فأرسل الملك العادل الى الملك العزيز صاحب مصر فسار الملك العزيز بنفسه بمن بقي عنده من عساكر مصر

واجتمع بعنه الملك العادل على تبين فرحل الفرنج على اعقابهم الى صور خاشين ثم عاد الملك العزيز الى مصر وترك غالب العسكر مع عمه العادل وجعل اليه امر الحرب والصلح ومات في هذه المدة سنقر الكبير فجعل الملك العزيز امر القدس الى صارم الدين فطلق مملوك عز الدين فرخشاہ بن شاهنشاہ بن أيوب ولما عاد الملك العزيز الى مصر في هذه المدة مدحه القاضي بن سنا الملك بقصيدة منها

قدمت بالسعد وبالمنم	كذا قدوم الملك المقدم
قيصك الموروث عن يوسف	ما جاء الا صادقا في الدم
لغنت تبين وخلصتها	فريسة من ماضى ضيفم
ششنة تعرف من يوسف	في النصر لا تعرف من أخزم
مقدمه صار جـادى به	كمثل ذى الحجة داموسم

ثم طاول الملك العادل الفرنج فطلبوا الهدنة واستقرت بينهم ثلاث سنين ورجع الملك العادل الى دمشق ثم سار الملك العادل من دمشق الى ماردين وحصرها وصاحبها حينئذ يولق أرسلان بن ايلغازى بن البى بن تمرناش بن ايلغازى بن ارتق وليس ليولق أرسلان من الحكم شئ وانما الحكم الى مملوك والده البقش

(ذكر أخبار مملوك خلاط)

(وفيها) توفي صاحب خلاط بدر الدين (اقسنقر) هزار دينارى وقد تقدم ذكر ملكه لخلاط في سنة تسع وثمانين وخمسمائة ولما توفي هزار دينارى استولى على خلاط بعده خشداشه (قتلغ) وكان مملوكا أرمى الاصل من سنا سنة فملك خلاط نحو سبعة أيام ثم اجتمع عليه الناس وأنزلوه من القلعة ثم وثبوا عليه فقتلوه فلما قتل قتلغ اتفق كبراء الدولة فاحضروا (محمد بن بكتمر) من القلعة التي كان معتقلا فيها واسمها ارزاس وأقاموه في مملكة خلاط ولقبوه الملك المنصور وقام بتدبير أمره شجاع الدين قتلغ الدوادار وكان قتلغ المذكور قفجاقى الجنس دوادار الشاهر من سكرمان بن ابراهيم واستقر ابن بكتمر كذلك الى سنة اثنتين وستمائة فقبض على اتابكه قتلغ المذكور وحبسه ثم قتله فخرج عليه مملوك لشاهر من يقال له عز الدين بلبان واتفق العسكر مع بلبان المذكور وقبضوا على محمد بن بكتمر وحبسوه ثم خنقوه ورموه من سور القلعة الى أسفل وقالوا وقع واستمر (بلبان) في مملكة خلاط دون سنة وقتله بعض أصحاب طغريل بن قليج أرسلان شاء صاحب أرزن وقصد طغريل المذكور أن يتسلم خلاط فلم يجبه أهلها الى ذلك وعصوا عليه فعاد الى أرزن ثم وصل الملك الاوحد أيوب بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وتسلم خلاط وملكها قريب ثمان سنين حسبما نذكر

ذلك في سنة أربع وستمائة انشاء الله تعالى (ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسائة)

﴿ ذكر وفاة العزيز صاحب مصر ﴾

(في هذه السنة) في منتصف ليلة السابع والعشرين من المحرم توفي الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان قد طلع الى الصيد فركض خلف ذئب فتقنطر وحم سابع المحرم في جهة الفيوم فماد الى الاهرام وقد اشتدت حماءه ثم توجه الى القاهرة فدخلها يوم عاشوراء وحدث به يرقان وقرحة في المعى واحتبس طبعه فمات في التاريخ المذكور وكانت مدة مملكته ست سنين الاشهر وكان عمره سبعا وعشرين سنة وأشهرها وكان في غاية السماحة والكرم والعدل والرفق بالرعية والاحسان اليهم ففجعت الرعية بموته فجمة عظيمة وكان الغالب على دولة الملك العزيز نحر الدين جهاركس فأقام في الملك ولد الملك العزيز الملك المنصور محمد واتفقت الامراء على احضار أحد من بني أيوب ليقوم بالملك وعملوا مشورة بحضور القاضي الفاضل فأشار بالملك الافضل وهو حينئذ بصرخد فأرسلوا اليه فسار محنا ووصل الى مصر على انه اتابك الملك المنصور بن الملك العزيز وكان عمر الملك المنصور حينئذ تسع سنين وشهورا وكان مسير الملك الافضل من صرخد لليلتين بقينا من صفر في تسعة عشر نفرا متكرا خوفا من أصحاب عمه الملك العادل فان غالب تلك البلاد كانت له فوصل بليس خامس ربيع الاول ثم سار الملك الافضل الى القاهرة فخرج الملك المنصور بن العزيز للقاءه فترجل له عمه الملك الافضل ودخل بين يديه الى دار الوزارة وهي كانت مقر السلطنة ولما وصل الملك الافضل الى بليس اتقاء العسكر فتسكر منه فخر الدين جهاركس وفارقه وتبعه عدة من العسكر وساروا الى الشام وكتبوا الملك العادل وهو محاصر ماردين وأرسل الملك الظاهر الى أخيه الملك الافضل يشير عليه بقصد دمشق وأخذها من عمه الملك العادل وان يتهز الفرصة لاشتغال العادل بحصار ماردين فبرز الملك الافضل من مصر وسار الى دمشق وبلغ الملك العادل مسيره الى دمشق فترك على حصار ماردين ولده الملك الكامل وسار العادل وسبق الافضل ودخل دمشق قبل نزول الافضل عليها يومين ونزل الملك الافضل على دمشق ثالث عشر شعبان من هذه السنة وزحف من الغد على البلد وجرى بينهم قتال وهجم بعض عسكره المدينة حتى وصل الى باب البريد ولم يمدهم العسكر فتكاثر أصحاب الملك العادل وأخرجوهم من البلد ثم تحاذل العسكر فتأخر الافضل الى ذيل عقبة الكسوة ثم وصل الى الملك الافضل أخوه الظاهر صاحب حلب فماد الى مضايقة دمشق ودام الحصار عليها وقتل الاقوات عند الملك العادل وعلى أهل البلد وأشرف الافضل والظاهر على

١١
ملك دمشق وعزم العادل على تسليم البلد لولا ما حصل بين الاخوين الافضل والظاهر من
الحلف وخرجت السنة وهم على ذلك وكان منهم ما سئد كره ان شاء الله تعالى
— ذكر استيلاء الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي

الدين صاحب حماة على بارين —

وفي شهر رمضان من هذه السنة قصد الملك المنصور صاحب حماة بارين وبها نواب عز
الدين ابراهيم بن شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم وحاصرها وكان عز
الدين ابراهيم مع الملك العادل محصورا معه بدمشق ونصب الملك المنصور عليها المجانيق
وانجرح الملك المنصور حال الزحف ثم قمعها في التاسع والعشرين من ذي القعدة وأقام
بارين مدة حتى أصلح أمورها

﴿ ذكر وفاة يعقوب ملك الغرب ﴾

في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى توفي أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد
المؤمن صاحب المغرب والاندلس بمدينة سلا وكانت ولايته خمس عشرة سنة وكان
يتظاهر بمذهب الظاهرية واعرض عن مذهب مالك وعمره ثمان وأربعون سنة وتلقب
يعقوب المذكور بالمنصور ولما مات يعقوب ملك بعده ابنه محمد بن يعقوب وتلقب محمد
بالناصر ومولد محمد المذكور سنة ست وسبعين وخمسائة وعبد المؤمن وبنوه جميعهم
كانوا يسمون بأمر المؤمنين (وفي هذه السنة) رحل عسكر الملك العادل مع ابنه الملك
الكامل عن حصار ماردين

— ذكر الفتنة بفيروز كوه —

(في هذه السنة) كانت فتنة عظيمة في عسكر غياث الدين ملك الغورية وهو بفيروز كوه
وسببها ان الامام فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي الامام المشهور كان قد قدم
الى غياث الدين فبالغ غياث الدين في اكرامه واحترامه وبنى له مدرسة بهراء بالقرب
من الجامع فمظم ذلك على الكرامية وهم كثيرون بهراء ومذهبهم التجسيم والتشبيه وكان
الغورية كلهم كرامية فكرهوا فخر الدين لانه شافعي وهو يناقض مذهبهم فاتفق ان
ققهاء الكرامية والخفية والشافعية حضروا بفيروز كوه عند غياث الدين للمناظرة وحضر
فخر الدين الرازي والقاضي عبد المجيد بن عمر المعروف بابن القدوة وهو من الكرامية
الهيصمية وله عندهم محل كبير لترهده وعلمه فتكلم الرازي فاعترض عليه ابن القدوة
وطال الكلام فقام غياث الدين فاستطال فخر الدين الرازي على ابن القدوة وشتمه
وبالغ في اذاه وابن القدوة لا يزيد على أن يقول لا يفعل مولانا الا وأخذ الله فصمب

على الملك ضياء الدين وهو ابن عم غياث الدين وزوج ابنته وشكى الى غياث الدين واذم
فخر الدين الرازي ونسبه الى الزندقة ومذهب الفلاسفة فلم يصغ اليه غياث الدين فلما
كان الغد وعظ الناس ابن عمر بن القدوة بالجامع وقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم * ربنا آمنة بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين * أيها
الناس انا لا نقول الا ما صح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما علم أرسطو
وكفریات ابن سينا وفلسفة الفارابي فلا نعلمها فلاى حال يشتم بالامس شيخ من شيوخ
الاسلام يذب عن دين الله وسنة نبيه وبكى وبكى الكرامية واستفأثوا وثار الناس من كل
جانب وامتلا البلد فتة فبلغ ذلك السلطان فأرسل جماعة سكنوا الناس ووعدهم اخراج
فخر الدين الرازي من عندهم وتقدم عليه بالعود الى هراة نمار اليها (وفي هذه السنة)
في ربيع الاول توفي مجاهد الدين قيباز بقلعة الموصل وهو الحاكم في دولة زور الدين
أرسلان صاحب الموصل وقباز المذكور هو الذي كان حاكما على مسعود والد أرسلان
حتى قبض عليه مسعود ثم أخرجه بعد مدة وكان فيماز عاقلا أدبيا فاضلا في الفقه على
مذهب أبي حنيفة وبني عدة جوامع وربط ومدارس (وفيها) فارق عياث الدين ملك
الغورية مذهب الكرامية وصار شافعي المذهب (وفيها) توفي محمد بن عبد الملك بن
زهر الاندلسي الاشيلي وكان فاضلا في الادب وكان طبيبا وكان جده زهر وزير اوفيلسوبا
وتوفي زهر المذكور في سنة خمس وعشرين وخمسمائة بقرطبة وزهر بضم الزاي المعجمة
وسكون الهاء وقد قيل في ابن زهر

قل لاوبا أنت وابن زهر قد حزننا الحدي التكايه

ترفقا بالورى قليلا في واحد منكما كفايه

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة) والملك الافضل والظاهر محاصران لمدينة
دمشق واتفق وقوع الحلف بين الاخوين الافضل والظاهر وسببه انه كان لملك
الظاهر مملوك يحبه اسمه أيك ففقد ووجد عليه الملك الظاهر وجدا عظيما وتوهم انه
دخل دمشق فأرسل من تكشف خبره واطاع الملك العادل وهو محصور على القضية
فأرسل الى الظاهر يقول له ان محمود بن الشكري أفسد مملوكك وحمه الى الافضل
أخيك فقبض الظاهر على ابن الشكري فظهر المملوك عنده فتفير الظاهر على أخيه
الافضل وترك قتال العادل وظهر الفشل في المعسكر فتأخر الافضل والظاهر عن دمشق
وأقاما بمرج الصفر الى أواخر صفر ثم سارا الى رأس الماء لقيما به الى ان ينسأخ الشتاء
ثم اتقى عزمهما وسار الافضل الى مصر والظاهر الى حلب على القريتين ولما تفرقا خرج
الملك العادل من دمشق وسار في أثر الافضل الى مصر ولما وصل الافضل الى مصر

تفرقت عساكره في بلادهم لاجل الربيع فأدركه عمه العادل فخرج الافضل بمن بقي عنده من العسكر وضرب معه مصافا بالساج فانكسر الافضل وأنهزم الى القاهرة ونازل العادل القاهرة ثمانية أيام فأجاب الافضل الى تسليمها على أن يعوض عنها ميا فارقين وحائى وسميساط فأجابه العادل الى ذلك ولم يف له به وكان دخول العادل الى القاهرة في الحادى والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة وقال ابن الاثير كان دخول العادل الى القاهرة يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر فيها وتوفي القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى في سابع عشر ربيع الآخر وقيل ان مولد القاضى الفاضل سنة ست وعشرين وخمسائة فكان عمره نحو سبعين سنة ثم سافر الملك الافضل الى صرخد وأقام العادل بمصر على انه اتابك الملك المنصور محمد ابن العزيز عثمان مدة يسيرة ثم أزال الملك المنصور محمد المذكور واستقل العادل في السلطنة ولما استقرت المملكة للملك العادل أرسل اليه الملك المنصور صاحب حماة يعتذر اليه بما وقع منه بسبب أخذه بعمرين من ابن المقدم فقبل الملك العادل عذره وأمره برد بعمرين الى ابن المقدم فاعتذر الملك المنصور عنها بقربها من حماة ونزل على منبج وقلعة نجم لابن المقدم عوضا عن بعمرين فرضى ابن المقدم بذلك لانهما خير من بعمرين بكثير وتسلمهما عز الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الملك بن المقدم وكان له أيضاً فامية وكفر طاب وخمس وعشرون ضيعة من المعرة وكذلك كاتب الملك الظاهر صاحب حلب عمه الملك العادل وصالحه وخطب له بحلب ويلادها وضرب السكة باسمه واشترط الملك العادل على صاحب حلب أن يكون خمسمائة فارس من خيار عسكر حلب في خدمة الملك العادل كلما خرج الى البيكار والتزم صاحب حلب بذلك وقصر النيل في هذه السنة تقصيرا عظيما حتى انه لم يبلغ أربعة عشر ذراعا

ذكر وفاة خوارزم شاه

(في هذه السنة) في العشرين من رمضان توفي خوارزم شاه تكش بن أرسلان بن اطسز بن محمد بن أنوش تكين صاحب خوارزم وبعض خراسان والرى وغيرها من البلاد الجيلية بشهرستانه وولى الملك بعده ابنه محمد بن تكش وكان لقب محمد قطب الدين فقيره الى علاء الدين وكان تكش عادلا حسن السيرة يعرف الفقه على مذهب أبى حنيفة والاصول ولما بلغ غياث الدين ملك الغورية موت خوارزم شاه ترك ضرب توبته ثلاثة أيام وجلس للمزاعم ما كان بينهما من العداوة المستحكمة وهذا خلاف ما فعله بكتمر من الشماتة بالسلطان صلاح الدين ولما استقر محمد بن تكش في المملكة هرب ابن أخيه هندوخان بن ملكشاه بن تكش الى غياث الدين ملك الغورية يستنصره على

عمه فأكرمه غياث الدين ووعدته النصر (ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة) لما دخلت
 هذه السنة كان بالديار المصرية الملك العادل وعنده ابنه الملك الكامل محمد وهو نائبه
 بها وبجلب الملك الظاهر وهو مجد في تحصين حلب خوفا من عمه الملك العادل وبدمشق
 الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل نائب أبيه بها وبالشرق الملك ابراهيم
 ابن الملك العادل وميا فارقين الملك الاوحد نجم الدين أيوب ابن الملك العادل (وفي هذه
 السنة) توفي عز الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الملك بن المقدم وصارت البلاد بعده
 وهي منبج وقلعة نجم وقامية وكفر طاب لاختيه شمس الدين عبد الملك بن محمد بن
 عبد الملك بن المقدم ولما استقر شمس الدين عبد الملك بمنبج سار اليها الملك الظاهر صاحب
 حلب وحصرها وملك منبج وعصى عبد الملك بن المقدم بالقلعة فحصره ونزل عبد الملك
 بالامان فاعتقله الملك الظاهر وملك قلعة منبج وبعد ان فرغ من منبج سار الى قلعة
 نجم وبها نائب ابن المقدم فحصرها وملكها في آخر رجب من هذه السنة وأرسل الملك
 الظاهر الى الملك المنصور صاحب حماة يبذل له منبج وقلعة نجم على أن يصير معه على
 الملك العادل فاعتذر صاحب حماة باليمن التي في عنقه للملك العادل فلما أيس الملك الظاهر
 منه سار الى المعرة وأقطع بلادها واستولى على كفر طاب وكانت لابن المقدم ثم سار
 الى قامية وبها قراقوش نائب ابن المقدم وأرسل الملك الظاهر أحضر عبد الملك بن المقدم
 من حلب وكان معتقلا بها وأحضر معه أصحابه الذين اعتقلهم وضربهم قدام قراقوش ليسلم
 قامية فامتنع قراقوش فأمر الملك الظاهر بضرب عبد الملك بن المقدم فضرب ضربا شديدا
 وبقي يستغيث فأمر قواقوش فضربت النقارات على قلعة قامية لثلاث يامم أهل البلد
 صراخه ولم يسلم القلعة فرحل عنها الملك الظاهر وتوجه الى حماة وحاصرها لثلاث بقين
 من شعبان من هذه السنة ونزل شمالى البلد وشمع التربة التقوية وبعض البساتين وزحف
 من جهة الباب الغربي وقاتل قتالا شديدا ثم زحف في آخر شعبان من الباب الغربي
 والباب القبلي وباب العميان وجرى فيه قتال شديد وخرج الملك الظاهر بسهم في ساقه
 واستمرت الحرب الى أيام من رمضان فلما لم يحصل على غرض صالح
 الملك المنصور على مال يحمله اليه قيل انه ثلاثون ألف دينار صورية ثم رحل
 الملك الظاهر الى دمشق وبها الملك المعظم ابن الملك العادل فنازلها الملك الظاهر هو وأخوه
 الملك الافضل وانضم اليهما فارس الدين ميمون القصرى صاحب نابلس ومن وافقه
 من الامراء الصلاحية واستقرت القاعدة بين الاخوين الافضل والظاهر اتما متى ملكا
 دمشق يتسلمها الملك الافضل ثم يسيران ويأخذان مصر من الملك العادل ويتسلمها
 الملك الافضل وتسلم دمشق حينئذ الى الملك الظاهر صاحب حلب بحيث تبقى مصر

للملك الافضل ويصير الشام جميعه للملك الظاهر وكان قد تخاف من اكابر الامراء
 الصلاحية عنهما فنخر الدين جهار كس وزين الدين قراجا فأرسل الملك الافضل وسلم
 صرخد الى زين الدين قراجا ونقل الملك الافضل والدته وأهله الى حصن عند شيركوه
 وبلغ الملك العادل حصار الاخوان دمشق فخرج بمساكر مصر وأقام بناבלس ولم يجسر
 على قتالهما واشتدت مضايقة الملكين الافضل والظاهر لدمشق وتعلق النقبابون بسورها
 فلما شاهد الملك الظاهر صاحب حلب ذلك حسد أخاه الملك الافضل على دمشق وقال له
 أريد أن تسلم الى دمشق الآن فقال له الافضل ان حريمي حريمك وهم على الارض وايس
 لنا موضع تقيم فيه وهب هذه البلاد لك فاجمله لي الى حين تملك مصر وتأخذه فامتنع
 الظاهر من قبول ذلك وكان قتال المسكر والامراء الصلاحية انما كان لاجل الافضل
 فقال لهم الافضل ان كان قتالكم لاجلي فأتروا القتال وصالحوا الملك العادل وان كان
 قتالكم لاجل أخي الملك الظاهر فأتهم واياه فقالوا انما قتالنا لاجلك وتخلوا عن القتال
 وأرسلوا وصالحوا الملك العادل وخرجت السنة وهم محاصرون دمشق وقد تفرقت
 المساكر فرحل الملك الظاهر عن دمشق في أول المحرم سنة ثمان وتسعين وسار
 الافضل الى حصن (وفي هذه السنة) أعنى سنة سبع وتسعين توفي عماد الدين الكاتب
 محمد بن عبد الله بن حامد الاصفهاني وكان فاضلا في الفقه والادب والخلاف والتاريخ
 وله النظم البديع والنثر الفائق وكتب لنور الدين ولصلاح الدين وله التصانيف
 الحسنة منها البرق الشامي وخريدة القصر وكان مولده سنة تسع عشرة وخمسمائة وكان
 عمره نيفا وسبعين سنة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) سار الملك غياث الدين ملك الغورية بمساكره وأرسل استدعى أخاه
 شهاب الدين من غزنة فلاحقه بمساكره أيضاً وسار غياث الدين الى خراسان واستولى
 على ما كان لخوارزم شاه بخراسان ولما ملك غياث الدين مرو سلمها الى هندوخان بن
 ملكشاه بن خوارزمشاه تكش الذي كان هرب من عمه محمد الى غياث الدين ثم استولى
 غياث الدين على سرخس وطوس ونيسابور وغيرها ولما استقرت هذه البلاد لغياث
 الدين عاد الى بلاده وتوجه أخوه شهاب الدين الى بلاد الهند فغم وقتح نهروالة وهي
 من أعظم بلاد الهند (وفي هذه السنة) في رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قليج
 أرسلان مدينة ملطية وكانت لآخيه معز الدين قيصر شاه بن قليج أرسلان ثم سار ركن
 الدين الى أرزن الروم وكانت للملك محمد بن سليق وهو من بيت قديم ملكوا أرزن
 الروم من مدة طويلة فطلع صاحب أرزن الروم المذكور ليصالح ركن الدين فقبض عليه

واخذ

وأخذ البلد منه وكان هذا محمد آحر الملوك من أهل بيته (وفيها) توفي سقمان بن محمد ابن قرا أرسلان بن داود بن سقمان ابن ارتق صاحب آمد وحصن كيفا سقط من سطح جوسق كان له بحصن كيفا فوات وكان له أخ اسمه محمود بن محمد وكان سقمان يبغضه فأبعده الى حصن منصور وكان قد جعل سقمان ولي عهده مملوكه اياس وكان يحبه حبا شديدا وأوصى له بالملك بعده فلما مات سقمان استولى اياس على البلاد فلم ينتظم له حال وكاتبوا أخاه محمودا فحضر وملك بلاد أخيه سقمان (وفيها) كان بمصر غلاء شديد بسبب نقص النيل (وفيها) كان بالجزيرة والشام والسواحل زلزلة عظيمة فهدمت مدنا كثيرة (وفيها) في رمضان توفي أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي الواعظ المشهور وتصانيفه مشهورة وكان كثير القيمة في العلماء وكان مولده سنة عشر وخمسمائة (ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة) في هذه السنة بعد رحيل الملك الافضل والظاهر عن دمشق كما ذكرنا قدم اليها الملك العادل وكان قد سار ميمون القصرى مع الملك الظاهر فاقطعه اعزاز (وفيها) خرب الملك الظاهر قلعة منبج خوفا من انتزاعها منه وأقطع منبج بعد ذلك عماد الدين أحمد بن سيف الدين على بن أحمد المشطوب (وفيها) أرسل قراقوش نائب عبدالملك بن محمد بن عبدالملك بن المقدم بفامية الى الملك الظاهر يبذل له تسليم فامية بشرط أن يعطى شمس الدين عبدالملك بن المقدم اقطاعا يرضاه فاقطعه الملك الظاهر الراوندان وكفر طاب ومفردة المعرة وهو عشرون ضيعة معينة من بلاد المعرة وأسلم فامية ثم ان عبد الملك بن المقدم عصى بالراوندان فسار اليه الملك الظاهر واستنزله منها وأبعده فلحق ابن المقدم بالملك العادل فأحسن اليه (وفيها) سار الملك العادل من دمشق ووصل الى حماة ونزل على تل صفرون وقام الملك المنصور صاحب حماة بجميع وظائفه وكلفه وبلغ الظاهر صاحب حلب وصول عمه العادل الى حماة بنية قصده ومحاصرته بحلب فاستعد للحصار بحلب وراسل عمه ولاطفه وأهدى اليه ووقعت بينهما مراسلات ووقع الصلح وانتزعت منه مفردة المعرة واستقرت لملك المنصور صاحب حماة وأخذت من الملك الظاهر أيضاً قلعة نجم وسلمت الى الملك الافضل وكان له سروج وسميداط وسلم الملك العادل حران ومامها لولده الملك الاشرف مظفر الدين موسى وسيره الى الشرق وكان بميفارقين الملك الاوحد ابن الملك العادل وبقلعة جعبر الملك الحافظ نورالدين أرسلان شاه ابن الملك العادل ولما استقر الصلح بين الملك العادل والظاهر رجع الملك العادل الى دمشق وأقام بها وقد انتظمت الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلها في سلك ملكه وخطب له على منابرها وضربت السكة فيها باسمه

ذكر غير ذلك

(في هذه السنة) عاد خوارزم شاه محمد بن تكش واسترجع البلاد التي أخذها الغورية من خراسان الى ملكه (وفيها) توفي هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت المنستيري بضم الميم وفتح التون وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ومنستير بليدة بأفريقية وكان هبة الله المذكور على الاسناد ولم يكن في عصره من هو في درجته سمع ابراهيم بن حاتم الاسدي وسمع جماعة من الاكابر وسمع الناس على هبة الله المذكور وسافروا اليه من البلاد لعلو اسناده وكان جده مسعود قد قدم من منستير الى بوضير فعرف هبة الله المذكور بالبوضيري وكانت ولادته سنة ست وخمسمائة (ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة) والملك العادل مقيم بدمشق (وفيها) في المحرم توفي فلك الدين سلطان أخو الملك العادل لأمه وهو الذي تنسب اليه المدرسة الفلكية بدمشق

ذكر الحوادث باليمن

كان قد تملك اليمن الملك المعز اسمعيل بن سيف الاسلام بن طغتكين بن أيوب وكان فيه هوج وخبث فادعى انه قرشي وانه من بني أمية ولبس الحضرة وخطب بنفسه ولبس ثياب الخلافة في ذلك الزمان وكان طول الكم نحو عشرين شبرا وخرج عن طاعته جماعة من ممالك آية واقتلوا معه وانتصر عليهم ثم اتفق معهم جماعة من الامراء الاكراد وقتلوا المعز اسمعيل واقاموا في مملكة اليمن أخاه صغيرا وسموه الناصر وبقي مدة واقام اتابكيته مملوك والده وهو سيف الدين سنقر ثم مات سنقر بعد أربع سنين وتزوج أم الناصر أمير من أمراء الدولة يقال له غازي بن حبريل وقام بatabكية الناصر ثم سم الناصر في كوز فقاع على ما قيل وبقي غازي متملكا للبلاد ثم قتله جماعة من العرب بسبب قتله للناصر ابن طغتكين وبقيت اليمن خالية بغير سلطان فتغلبت أم الناصر المذكور على زبيد وأحرزت عندها الاموال وكانت تنتظر وصول أحد من بني أيوب لتزوج به وتملكه البلاد وكان للملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولد اسمه سعد الدين شاهنشاه وكان له ابن اسمه سليمان نخرج سليمان بن شاهنشاه بن عمر فقيرا يحمل الركوة على كتفه ويتنقل مع الفقراء من مكان الى مكان وكان قد أرسلت أم الناصر بعض غلمانها الى مكة حرسها الله تعالى في موسم الحاج ليأتيها بأخبار مصر والشام فوجد غلمانها سليمان المذكور فاحضروه الى اليمن فاستحضرت أم الناصر وخلعت عليه وملكته اليمن فلأ اليمن ظلما وجورا واطرح زوجته التي ملكته البلاد واعرض عنها وكتب الى السلطان الملك العادل وهو عم حده كتابا جعل في أوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم

فاستقل الملك العادل عقله ثم كان من سليمان المذكور ما سئذ كره ان شاء الله تعالى (وفي هذه السنة) أرسل السلطان الملك العادل الى ولده الملك الاشرف وأمره بحصار ماردین فحضرها وضايقها ثم سمي الملك الظاهر الى الملك العادل في الصلح فأجاب الى أن يحمل اليه صاحب ماردین مائة ألف وخمسين ألف دينار ويخطب له بيلاده ويضرب السكة باسمه ويكون بخدمته متى طلبه فأجيب الى ذلك واستقر الصلح عليه (وفيها) أخرج الملك العادل الملك المنصور محمد بن العزيز من مصر الى الشام فسار بوالدته واخوته وأقام بحلب عند عمه الملك الظاهر (وفيها) سار الملك المنصور صاحب حماة الى بصرين مرابطاً للفرنج وأقام بها وكتب الملك العادل الى صاحب بعلبك والى صاحب حمص بانجاده فأنجدها واجتمعت الفرنج من حصن الاكراد وطرابلس وغيرها وقصدوا الملك المنصور ببصرين واتقوا معه في ثالث شهر رمضان من هذه السنة واقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل وأسروا من خيبتهم جماعة وكان يوماً مشهوداً وفي ذلك يقول بهاء الدين أسعد بن يحيى السنجاري قصيدة من جملتها

مالذة العيش الاصوت معمعة	ينال فيها المنى بالبيض والاسل
ياأيها الملك المنصور نصح فتى	لم يلوه عن وفاء كثرة العذل
أعزم ولا تترك الدنيا بلا ملك	وجد فالملك محتاج الى رجل
ياأوحدالمصرياخيرالملوكومن	فاق البرية من حاف ومنتعل

ثم خرج من حصن الاكراد والمرقب الاستبار وانضم اليهم جوع من السواحل واتقوا مع الملك المنصور صاحب حماة وهو نازل ببصرين في الحادى والعشرين من شهر رمضان من هذه السنة بعد الوقعة الاولى بثمانية عشر يوماً فانتصر ثانياً وانهزمت الفرنج هزيمة شنيعة وأسروا الملك المنصور وقتل منهم عدة كثيرة ومدح الملك المنصور بسبب هذه الوقعة سالم بن سعادة الحمصي بقصيدة منها

أمرالواحظ أن تفوق أسهما	ريم برامة مارنا حتى رمى
فتانة بالسحر بل فناكة	ماجار قاضيهن حين تحكما

ومنها

أصبحت فيها مغرماً كمحمد	لما غدا بالاريجية مغرماً
-------------------------	--------------------------

ومنها

وشنت منتقما بساحل بحرهما	جيشا حكى البحر الخضم عرمرما
أسدت في الآفاق من هبواته	ليلاً واطلمت الاسنة أنجمها

(وفي هذه السنة) ولد الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور محمد صاحب

حماة من ملكة خاتون بنت السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب وس. حى عمر وانما
سمى محمودا بعد ذلك وكانت ولادته بقلمه حماة ظهر يوم الثلاثاء رابع عشر رمضان
من هذه السنة (وفي هذه السنة) أرسل الملك العادل وانتزع ما كان بيد الملك الافضل
وهى رأس عين وسروج وقلعة نجم ولم يترك بيده غير سميساط فقط فأرسل الملك الافضل
والدته فدخات على الملك المنصور صاحب حماة ليرسل معها من يشفع في الملك الافضل
عند الملك العادل في ابقاء ما كان بيده وتوجهت أم الملك الافضل وتوجه معها من حماة
القاضي زين الدين ابن الهندي الى الملك العادل فلم يجبها الملك العادل ورجعت خائفة
قال عز الدين بن الاثير مؤلف الكامل وقد عوقب البيت الصلاحي بمثل ما فعله والدهم
السلطان صلاح الدين لما خرجت اليه نساء بيت الاتابك ومن حملتهن بنت نور الدين
الشهيد يشفعن في ابقاء الموصل على عز الدين مسعود فردهن ولم يجب الى سؤالهن ثم
ندم رحمه الله تعالى على ردهن فجري للملك الافضل ابن السلطان صلاح الدين مع
عمه مثل ذلك ولما جرى ذلك أقام الملك الافضل بسميساط وقطع خطبة عمه
الملك العادل وخطب للسلطان ركن الدين سليمان بن قديح أرسلان بن مسعود
السلجوقي صاحب بلاد الروم

(ذكر وفاة غياث الدين ملك الغورية)

(في هذه السنة) في جمادى الاولى توفي غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام بن الحسين
الغورى صاحب غزنة وبيض خراسان وغيرها وكان أخوه شهاب الدين بطوس عازما
على قصد خوارزم وخلف غياث الدين من الولد ابنا اسمه محمود ولقب غياث الدين
بلقب والده ولم يحسن شهاب الدين الخلافة على ابن أخيه ولا على غيره من أهله وكان
لغياث الدين زوجة يحبها وكانت مغنية قبض عليها شهاب الدين بعد موت أخيه غياث
الدين وضربها ضربا مبرحا وأخذ أموالها وكان غياث الدين مظفرا منصورا لم تنهزم له
راية قط وكان له دهاء ومكر وكان حسن الاعتقاد كثير الصدقات وكان فيه فضل غزير
وأدب مع حسن خط وبلاغة وكان ينسخ المصاحف بخطه ويوقفها في المدارس التي
بناها وكان على مذهب الكرامية ثم تركه وصار شافعيا

(ذكر غير ذلك)

(وفي هذه السنة) استولى الكرج على مدينة دوين من أذربيجان ونهبوها وقتلوا أهلها
وكانت هى وجميع أذربيجان للامير أبي بكر بن البهلوان وكان مشغولا ليلا ونهارا بشرب
الخمر ولا يلتفت الى تدبير مملكته ووبخه أمراؤه ونوابه على ذلك فلم يلتفت (وفيها)
توفيت زمرد أم الخليفة الامام الناصر وكانت كثيرة المعروف (ثم دخلت سنة ستمائة)

والملك العادل بدمشق (وفيها) كانت الهدنة بين الملك المنصور صاحب حماة وبين الفرنج (وفيها) نازل ابن لاوون ملك الارمن انطاكية فتجرك الملك الظاهر صاحب حلب ووصل الى حارم فرحل ابن لاوون عن انطاكية على عقبه (وفيها) خطب قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار للملك العادل بيلاده وانتمى اليه فصعب على ابن عمه نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود وقصد نصيبين وهي لقطب الدين واستولى على مدينتها فاستنجد قطب الدين بالملك الاشرف بن العادل فسار اليه واجتمع معه أخوه الملك الاوحد صاحب ميا فارقين والتقى الفريقان بقرية يقال لها بوشرة فانهزم نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل هزيمة قبيحة ودخل الى الموصل وليس معه غير أربعة أنفس وكانت هذه الواقعة أول ما عرفت من سعادة الملك الاشرف ابن العادل فانه لم يهزم له راية بعد ذلك واستقرت بلاد قطب الدين محمد بن زنكي عايه ووقع الصلح بينهم في أول سنة احدى وستائة (وفيها) اجتمع الفرنج لقصد بيت المقدس فخرج السلطان الملك العادل من دمشق وجمع العساكر ونزل على الطور في قبالة الفرنج ودام ذلك الى آخر السنة (وفيها) استولت الفرنج على قسطنطينية وكانت قسطنطينية بيد الروم من قديم الزمان فلما كانت هذه السنة اجتمعت الفرنج وقصدتها في جموع عظيمة وحاصروها فلكوها وازالوا يد الروم عنها ولم تزل بأيدي الفرنج الى سنة ستين وستائة فقصدتها الروم واستعادوها من الفرنج (وفيها) توي السلطان ركن الدين سليمان ابن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان ابن سليمان بن قطلومش بن يبغي أرسلان ابن سلجوق سلطان بلاد الروم في سادس ذى القعدة حسبما قدمنا ذكره في سنة ثمان وثمانين وخمسائة وكان مرضه بالقولنج وكان قبل مرضه بخمسة أيام قد غدر بأخيه صاحب انكورية وهي أنقرة وكان ركن الدين المذكور يميل الى مذهب الفلاسفة ويحسن الى طائفتهم ويقدمهم ولما مات ركن الدين ملك ولده قليج أرسلان بن سليمان وكان صغيرا فلم يستتب أمره وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) كان بين خوارزم شاه محمد بن تكش وبين شهاب الدين ملك الغورية قتال انتصر فيه ملك الغورية واستنجد خوارزم شاه بالخطا فساروا واتقوا مع شهاب الدين ملك الغورية فهزموه وشاع بيلاده ان شهاب الدين قتل فاختلفت مملكته وكثر المفسدون ثم انه ظهر ووصل الى غزنة واستقر في ملكه وتراجعت الامور الى ما كانت عليه (وفيها) قتل كاجا مملوك البهلوان وكان قد ملك الري وهمدان وبلاد الجبل قتله خشدانشه أيدغمش مملوك البهلوان وتملك موضعه وأقام أيدغمش ابن أستاذه أربك بن البهلوان في الملك وليس لازبك غير الاسم والحكم لايدغمش (وفيها) استولى انسان اسمه محمود بن محمد الحميري

على طفار ومرباط وغيرهما من حضرموت (وفيها) خرج أسطول للفرنج فاستولوا على مدينة قوه من الديار المصرية فنهبوا خمسة أيام (وفيها) كانت زلزلة عظيمة عمت مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرس والعراق وغيرها وخربت سور مدينة صور (ثم دخلت سنة احدى وستمائة) في هذه السنة كانت الهدنة بين الملك العادل والفرنج وسلم الى الفرنج ياقا ونزل عن مناصفات لد والرملة ولما استقرت الهدنة أعطى المساكين دستورا وسار العادل الى مصر وأقام بدار الوزارة (وفيها) أغارت الفرنج على حماة ووصلوا الى قرب حماة الى قرية الرقيطا وامتلات أيديهم من المكاسب وأسروا من أهل حماة شهاب الدين بن البلاعي وكان فقيها شجاعا تولى برحمة مرة وسلمية أخرى وحمل الى طرابلس فهرب وتعلق بجبال بعلبك ووصل الى أهله بحماة سالما ثم وقعت الهدنة بين الملك المنصور صاحب حماة وبين الفرنج (وفيها) بمد الهدنة توجه الملك المنصور صاحب حماة الى مصر وكان عنده استشعار من السلطان الملك العادل فلما وصل اليه بالقاهرة أحسن اليه احسانا كثيرا وأقام في خدمته شهورا ثم خلع عليه وعلى أصحابه وعاد الى حماة (وفيها) ملك السلطان غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان بلاد الروم وكان لما تغلب أخوه ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان على البلاد قد هرب كيخسرو المذكور الى الملك الظاهر صاحب حلب ثم تركه وسار الى قسطنطينية فأحسن اليه صاحبها وأقام بالقسطنطينية الى ان مات أخوه ركن الدين سليمان وتولى ابنه قليج أرسلان فسار كيخسرو من قسطنطينية وازال أمر ابن أخيه وملك بلاد الروم واستقر أمره (وفيها) كانت الحرب بين الامير قتادة الحسيني أمير مكة وبين الامير سالم بن قاسم الحسيني أمير المدينة وكانت الحرب بينهما سجالا (ثم دخلت سنة اثنتين وستمائة) والملك العادل بالديار المصرية والممالك بحالها

(ذكر قتل ملك الغورية شهاب الدين)

(في هذه السنة) أول ليلة من شعبان قتل شهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام بن الحسين الغوري ملك غزنة وبعض خراسان بمد عوده من هاور بمزل يقال له دمبل قبل صلاة المشاء وثب عليه جماعة وهو بخركاته وقد تفرق الناس عنه لاما كنهم فقتلوه بالسكاكين قيل انهم من الكوكبر وهم طائفة من أهل الجبال مفسدون كان شهاب الدين قد فتك فيهم وقيل انهم من الاسماعيلية فان شهاب الدين أيضا كان كثير الفتك فيهم واجتمع حرس شهاب الدين فقتلوا أولئك الذين قتلوا شهاب الدين عن آخرهم وكان شهاب الدين شجاعا كثير الغزو عادلا في الرعية وكان الامام نحر الدين الرازي يعضه في داره فحضر يوما وعضه وقال في آخر كلامه يا سلطان لا سلطانك يبقى ولا تليس الرازي

فبكى شهاب الدين حتى رحمة الناس ولما قتل شهاب الدين كان صاحب باميان بهاء الدين سام بن شمس الدين محمد بن مسعود عم غياث الدين وشهاب الدين المذكور فسار بهاء الدين سام ليعتلك غزنة ومعه ولداه علاء الدين محمد وجلال الدين ابنا سام بن محمد بن مسعود بن الحسيني فأدركت بهاء الدين سام الوفاة قبل أن يصل الى غزنة وعهد بالملك الى ابنه علاء الدين محمد قائم علاء الدين وأخوه جلال الدين السير الى غزنة ودحلاها وتملكها علاء الدين وكان لغياث الدين ملك الغورية مملوك يقال له تاج الدين يلدز وكان كرماني اقطاعه وهو كبير في الدولة ومرجع الاتراك اليه فسار يلدز الى غزنة وهزم عنها علاء الدين محمد بن بهاء الدين سام وأخاه جلال الدين واستولى يلدز على غزنة ثم ان علاء الدين وجلال الدين ولدى بهاء الدين سام سارا الى باميان وجما العساكر وعادا الى غزنة فقاتلها يلدز فانتصرا عليه وانهمز يلدز الى كرماني واستقر علاء الدين محمد بن بهاء الدين سام ومعه بعض العسكر في ملك غزنة وعاد أخوه جلال الدين في باقي العسكر الى باميان ثم ان يلدز لما بلغه مسير جلال الدين في باقي العسكر الى باميان وتأخر علاء الدين بغزنة جمع العساكر من كرماني وغيرها وسار الى غزنة وبلغ علاء الدين محمد ابن بهاء الدين سام ذلك فأرسل الى أخيه جلال الدين وهو بباميان يستنجده وسار يلدز وخصر علاء الدين بغزنة وسار جلال الدين فلما قارب غزنة رحل يلدز الى طريقه واقتل فانهزم عسكر جلال الدين وأخذ يلدز أسيرا فأكرمه يلدز واحترمه وعاد الى غزنة فحصر علاء الدين بها وكان عنده بغزنة هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش فاستنزلها يلدز بالامان ثم قبض على علاء الدين وعلى هندوخان وتسلم غزنة وأما غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغورية فانه لما قتل عمه شهاب الدين كان يبست فسار الى فيروز كوه وتملكها وجلس في دست أبيه غياث الدين وتلقب بالقاب وفرح به أهل فيروز كوه وسلك طريقة أبيه في الاحسان والعدل ولما استقل يلدز بغزنة وأسر جلال الدين وعلاء الدين ابني سام كتب الى غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ابن سام بن الحسين بالفتح وأرسل اليه الاعلام وبعض الاسرى

﴿ ذكر غير ذلك ﴾

(في هذه السنة) توفي الامير مجير الدين طاشتكين أمير الحاج وكان قد ولاء الخليفة على جميع خورستان وكان خيرا صالحا وكان يتشيع (وفيها) تزوج أبو بكر بن البهلوان بآبنة ملك الكرج وذلك لاشتعاله بالشرب عن تدبير الملكة فمدل الى المصاهرة والهدنة فكف الكرج عنه (ثم دخلت سنة ثلاث وستمائة) في هذه السنة سار الملك العادل من مصر الى الشام ونازل في طريقه عكا فصالحه أهلها على اطلاق جمع من الاسرى ثم

وصل الى دمشق ثم سار منها ونزل بظاهر حصص على بحيرة قدس واستدعى بالمساكر فاتته من كل جهة وأقام على البحيرة حتى خرج رمضان ثم سار ونازل حصص الاكراد وفتح برج اعزاز وأخذ منه سلاحا ومالا وخمسمائة رجل ثم سار ونازل طرابلس وانصب عليها المجانيق وعاث المسكر في بلادها وقطع قناتها ثم عاد في أواخر ذي الحجة الى بحيرة قدس بظاهر حصص

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) أرسل غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغورية يستميل يلدز مملوك آية المستولى على غزنة فلم يجبه يلدز الى ذلك وطلب يلدز من غياث الدين أن يمتقه فأحضر الشهود واعتقه وأرسل مع عمثاقه هدية عظيمة وكذلك أعتق إبيك المستولى على بلاد الهند وأرسل نحو ذلك فقبل كل منهما ذلك وخطب له إبيك ببلاد الهند التي تحت يده وأما يلدز فلم يخطب له وخرج بعض المساكر عن طاعة يلدز لعدم طاعته لغياث الدين (وفيها) في ثالث شعبان ملك غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم انطالية باللام وهي مدينة للروم على ساحل البحر (وفيها) قبض عسكر خلاط على صاحبها ولد بكتمر وكان اتابك قتلغ مملوك شاهر من قبض عليه ابن بكتمر فثارت عليه أرباب الدولة وقبضوه وملكوا بلبان مملوك شاهر من بن سقممان صاحب خلاط حسبما تقدم ذكره في سنة أربع وتسعين وخمسمائة (ثم دخلت سنة أربع وستمائة) والملك العادل نازل على بحيرة قدس ثم وقع الهدنة بينه وبين صاحب طرابلس وعاد الملك العادل الى دمشق وأقام بها

— ذكر استيلاء الملك الاوحد تجم الدين أيوب ابن الملك

العادل على خلاط —

(في هذه السنة) ملك الملك الاوحد أيوب ابن الملك العادل خلاط وكان صاحب خلاط بلبان حسبما قدمنا ذكره في سنة أربع وتسعين وخمسمائة فسار الملك الاوحد من ميافارقين وملك مدينة موش ثم اقتتل هو وبلبان صاحب خلاط فانهزم بلبان واستنجد بصاحب أرزن الروم وهو مغيث الدين طغريل شاه بن قليج أرسلان السلجوقي فسار طغريل شاه واجتمع به بلبان فهزما الملك الاوحد ثم غدر طغريل شاه بلبان فقتله غدرا ليملك بلاده وقصد خلاط فلم يسلموها اليه وقصد منا ذكر فلم تسلم اليه فرجع طغريل شاه الى بلاده فكاتب أهل خلاط الملك الاوحد فسار اليهم وتسلم خلاط وبلادها بعد إياسه منها واستقر ملكه بها (وفي هذه السنة) لما استقر الملك العادل بدمشق

وصل اليه التشريف من الخليفة الامام الناصر محبة الشيخ شهاب الدين السهروردي فبالغ الملك العادل في اكرام الشيخ والتقاء الى القصير ووصل من صاحبي حلب وحماة ذهب لينثر على الملك العادل اذا لبس الخلعة فلبسها الملك العادل ونثر ذلك الذهب وكان يوما مشهودا والخلعة حجة أطلس اسود بطراز مذهب وعمامة سوداء بطراز مذهب وطوق ذهب مجوهر تطوق به الملك العادل وسيف جميع قرابه ملبس ذهباً تقلد به وحصان أشهب بمركب ذهب ونشر على رأسه علم اسود مكتوب فيه بالبياض اسم الخليفة ثم خلع رسول الخليفة على كل واحد من الملك الاشرف والملك المعظم ابني الملك العادل عمامة سوداء وتوبا اسود واسع الكم وكذلك على الوزير صفى الدين بن شكر وركب الملك العادل وولداه ووزيره بالخلع ودخل القلعة وكذلك وصل الى الملك العادل مع الخلعة تقليد بالبلاد التي تحت حكمه وخوطب الملك العادل فيه شاهنشاه ملك الملوك خليل أمير المؤمنين ثم توجه الشيخ شهاب الدين الى مصر فخلع على الملك الكامل بها وجرى فيها نظير ماجرى في دمشق من الاحتفال ثم عاد السهروردي الى بغداد مكرماً معظماً (وفي هذه السنة) اهتم الملك العادل بعمارة قلعة دمشق والزم كل واحد من ملوك أهل بيته بعمارة برج من أبراجها

﴿ ذكر قتل خوارزم شاه مع الخطا بما وراء النهر ﴾

(في هذه السنة) كاتبت ملوك ما وراء النهر مثل ملك سمرقند وملك بخارى خوارزم شاه يشكون ما يلقونه من الخطا ويبدلون له الطاعة والخطبة والسكة ببلادهم ان دفع الخطا عنهم فمير علاء الدين محمد خوارزم شاه ابن تكش نهر جيحون واقتتل مع الخطا وكان بينهم عدة وقائع والحرب بينهم سجال واتفق في بعض الوقعات ان عسكر خوارزم شاه انهزم وأخذ خوارزم شاه محمد أسيرا وأسره معه شخص من أصحابه يقال له فلان ابن شهاب الدين مسعود ولم يعرفهما الخطا الذي أسرها فقال ابن مسعود لخوارزم شاه دع عنك المملكة وادع انك غلامى واخدمنى لعلى احتال في خلاصك فشرع خوارزم شاه يخدم ابن مسعود ويقلمه قماشه وخفه ويلبسه ويخدمه فسأل الخطا ابن مسعود من أنت قال أنا فلان فقال له الخطا لولا أخاف من الخطا أطلقتك فقال له ابن مسعود انى أختبى أن ينقطع خبرى عن أهلى فلا يعلمون بحياتى واشتهى ان أعلمهم بحالى لئلا يظنوا موتى ويتقاسموا مالى فأجابه الخطا الى ذلك فقال ابن مسعود أشتهى أن أبعث بفلامى هذا مع رسولك ليصدقوه فأجابه الى ذلك وراح خوارزم شاه مع ذلك الشخص حتى قرب من خوارزم فرجع الخطا واستقر خوارزم شاه في ملكه وتراجع اليه عسكره وكان لخوارزم شاه أخ يقال له على شاه ابن تكش وكان نائب أخيه بخراسان فلما بلغه عدم

أخيه في الوقعة مع الخطا دعى الى نفسه بالسلطنة واختلفت الناس بخراسان وجرى فيها قتل كثيرة فلما عاد خوارزمشاه محمد الى ملكه خاف أخوه على شاه فسار الى غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغورية فأكرمه غياث الدين محمود وأقام على شاه عنده بفيروز كوه

﴿ ذكر قتل غياث الدين محمود وعلى شاه ﴾

ولما استقر خوارزم شاه في ملكه وبلغه ما فعله أخوه على شاه أرسل عسكرا الى قتال غياث الدين محمود الغوري فسار العسكر الى فيروز كوه مع مقدم يقال له أمير ملك فسار الى فيروز كوه وبلغ ذلك محمودا فأرسل يبذل الطاعة ويطلب الامان فأعطاه أمير ملك الامان فخرج غياث الدين محمود من فيروز كوه ومعه على شاه فقبض عليهما أمير ملك وأرسل يعلم خوارزمشاه بالحال فأمره بقتلهما فقتلهما في يوم واحد واستقامت خراسان كلها لخوارزمشاه محمد بن تكش وذلك في سنة خمس وستمائة وهذا غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد بن سام بن الحسين هو آخر الملوك الغورية وكانت دولتهم من أحسن الدول وكان هذا محمود كريما عادلا رحمة الله عليه ثم ان خوارزمشاه عمدا لما خلاسه من جهة خراسان عبر النهر وسار الى الخطا وكان وراء الخطا في حدود الصين التتر وكان ملكهم حينئذ يقال له كشي خان وكان بينه وبين الخطا عداوة مستحكمة فأرسل كل من كشي خان ومن الخطا يسأل خوارزم شاه أن يكون معه على خصمه فأجابهما خوارزم شاه بالغلطة وانتظر ما يكون منهما فاتقع كشي خان والخطا فانهزمت الخطا قال عليهم خوارزم شاه وقتك فيهم وكذلك فعل كشي خان بهم فانقضت الخطا ولم يبق منهم الا من اعتصم بالجبال أو استسلم وصار في عسكر خوارزم شاه ﴿ ثم دخلت سنة خمس وستمائة ﴾ والملك العادل بدمشق وعنده ولداه الملك الاشرف والمعلم

﴿ ذكر قدوم الاشرف الى حلب متوجها الى بلاده الشرقية ﴾

(وفي هذه السنة) توجه الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل من دمشق راجعا الى بلاده الشرقية ولما وصل الى حلب تلقاه صاحبها الملك الظاهر وأزله بالقلمة وبالغ في اكرامه وقام للاشرف ولجميع عسكره بجميع ما يحتاجون اليه من الطعام والشراب والحلوى والملوفات وكان يحمل اليه في كل يوم خلعة كاملة وهي غلالة وقباء وسراويل وكبة وفروة وسيف وحصان ومنطقة ومنديل وسكين ودلكش وخمس خلع لاصحابه وأقام على ذلك خمسة وعشرين يوما وقدم له مقدمة وهي مائة ألف درهم ومائة بقجة مع مائة مملوك فنها عشر بقج في كل واحدة منها ثلاثة أنواب أطلس وتوبان خطاي وعلى كل

بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر في كل واحدة منها عشرة أبواب عتابي خوارزمي وعلى كل بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر في كل واحدة خمسة أبواب عتابي بغدادى وموصلى وعليها عشرة جلود قندس صغار ومنها عشرون في كل واحدة خمس قطع مرسوسى وديبقي ومنها أربعون في كل واحدة منها خمسة أقيية وخمس كمام وحمل اليه خمس حصن عربية بمدتها وعشرين اكديشا وأربعة قطر بغال وخمس بغلات فائقات بالسروج واللجم المتكفنة وقطارين من الجمال وخلع على أصحابه مائة وخمسين حلعة وقاد الى أكثرهم بغلات وأكاديش ثم سار الملك الأشرف الى بلاده (وفي هذه السنة) أمر الملك الظاهر صاحب حلب باجراء القناة من حيلان الى حلب وغرم على ذلك أموالا كثيرة وبقي البلد يجرى الماء فيه (وفي هذه السنة) وصل غياث الدين كيخسرو ابن قليج أرسلان السلجوقى صاحب بلاد الروم الى مرعش لقصد بلاد ابن لاوون الارمنى وأرسل اليه الملك الظاهر نجدة فدخل كيخسرو الى بلاد ابن لاوون وطأ فيها ونهب وقتح حصنا يعرف بفرقوس

(ذكر مقتل صاحب الجزيرة)

(في هذه السنة) قتل معز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازى بن مودود بن عماد الدين بن زنكى بن اقسنقر صاحب جزيرة ابن عمر وقد تقدم ذكر ولايته في سنة ست وسبعين وخمس مائة قتله ابنه غازى وكان سنجر شاه ظلما قبيح السيرة جدا لا يتمتع عن قبيح يفعله من القتل وقطع اللسنة والابوف والآذان وحلق اللحي وتمدى ظلمه الى أولاده وحرىه فبعث ابنه محمودا ومودودا الى قلعة فحبسهما فيها وحبس ابنه المذكور غازى في دار في المدينة وضيق عليه وكان بتلك الدار هوام كثيرة فاصطاد غازى المذكور منها حية وأرسلها الى أبيه في منديل لعله يرق عليه فلم يزد ذلك الا قسوة فاعمل غازى الحيلة حتى هرب وكان له واحد يخدمه فقرره معه أن يسافر ويظهر انه غازى بن معز الدين سنجر شاه ليأمنه أبوه فضى ذلك الانسان الى الموصل فأعطى شيئا وسافر منها واتصل ذلك بسنجر شاه فاطمأن وتوصل ابنه غازى حتى دخل الى دار أبيه واختفى عند بعض سرارى أبيه وعلم به جماعة منهم وكنتموا ذلك عن سنجر شاه لبغضهم فيه واتفق ان سنجر شاه شرب يوما بظاهر البلد وشرع يقترح على المغنين الاشعار الفراقية وهو يبكى ودخل داره سكران الى عند الحظية التي ابنه نجبا عندها ثم قام معز الدين سنجر شاه ودخل الخلاء فهجم عليه ابنه غازى فضربه أربع عشرة ضربة بالسكين ثم ذبحه وتركه ملقى ودخل غازى الحمام وقعد يلعب مع الجوارى فلو أحضر الجند واستحلفهم في ذلك الوقت لم له الامر وملك البلاد ولكنه تنكر واطمأن فخرج بعض الخدم واعلم أسناد

الدار فجمع الناس وهجم على غازي وقتله وحلفب العسكر لآخيه محمود بن سنجر شاه
ولقب معز الدين بلقب أبيه ووصل معز الدين محمود بن سنجر شاه بن زنكي واستقر
ملكه بالجزيرة وقبض على جواري أبيه ففرقهن في دجلة ثم قبض محمود بعد ذلك أخاه
مودودا (ثم دخلت سنة ست وستمائة) في هذه السنة سار الملك العادل من دمشق وقطع
الفرات وجمع العساكر والملوك من أولاده ونزل حران ووصل إليه بها الملك الصالح
محمود بن محمد بن قرا أرسلان الأرتقي صاحب آمد وحسن كيفا وسار الملك العادل من
حران ونازل سنجار وبها صاحبها قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود
ابن عماد الدين زنكي فحاصرها وطال الأمر في ذلك ثم خامرت العساكر التي حجة الملك
العادل وتقض الملك الظاهر صاحب حلب الصلح معه فرحل عن سنجار وعاد إلى حران
واستولى الملك العادل على نصيبين وكانت لقطب الدين محمد المذكور وكذلك استولى
على الخابور (وفي هذه السنة) توفي الملك المؤيد نجم الدين مسمود ابن السلطان صلاح
الدين (وفيها) توفي الامام فيخر الدين محمد بن عمر خطيب الري بن الحسين بن
الحسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني الاصل الرازي المولد الفقيه الشافعي صاحب
التصانيف المشهورة قال ابن الاثير وبلغني ان مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وكان
فيخر الدين المذكور مع فضائله يعظ وله فيه اليد الطولى وكان يعظ باللسان العربي
والمعجمي ويلحقه في الوعظ الوجد والبكاء وكان أوحد زمانه في المعقولات والاصول
واشتغل في أول زمانه على والده ثم قصد الكمال السمعاني واشتغل عليه ثم عاد إلى الري
واشتغل على المجد الحلي وسافر إلى خوارزم وما وراء النهر وجرى له بكرد كوه ما تقدم
ذكره وأخرج منها بسبب الكرامية واتصل بشهاب الدين الغوري صاحب غزنة وحصل
له منه مال طائل ثم عاد فخر الدين إلى خراسان واتصل بالسلطان خوارزم شاه محمد بن
تكش وحظي عنده ولفخر الدين نظم حسن فنه

نهاية اقدم العقول عقال وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسوننا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى ان جملنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة فبادوا جميعا مسرعين وزالوا

وكانت العلماء يقصدونه من البلاد وتشد إليه الرحال وقصده ابن عنين الشاعر ومدحه
بقصائد (وفيها) في سلخ الحجة توفي مجد الدين بن السمادات المبارك بن محمد بن عبد
الكريم ومولده سنة أربع وأربعين وخمسمائة المعروف بابن الاثير أخو عز الدين
على المؤرخ مؤلف الكامل في التاريخ وكان مجد الدين المذكور عالماً بالفقه والاصول

والنحو والحديث واللغة وله تصانيف مشهورة وكان كاتباً مفلحاً (وفيها) توفي المجد المطرز
النحوى الخوارزمي وكان اماماً في النحو وله فيه تصانيف حسنة (ثم دخلت سنة سبع
وسمائة) فيها عاد السلطان الملك العادل من البلاد الشرقية الى دمشق وفيها قصدت
الكرج خلاط وحصرها الملك الاوحد ابن الملك العادل بها واتفق ان ملك الكرج شرب
وسكر فحسن له السكر انه تقدم الى خلاط في عشرين فارساً فخرجت اليه المسلمون فتقنطر
وأخذ أسيراً وحمل الى الملك الاوحد فرد على الملك الاوحد عدة قلاع وبذل اطلاق خمسة
آلاف أسير ومائة ألف دينار وعقد الهدنة مع المسلمين ثلاثين سنة وشرط أن يزوج ابنته
بالمملك الاوحد فتسلم ذلك منه وأقام وتحالفا وأطلق

﴿ ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل ﴾

(في هذه السنة) توفي نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن عماد
الدين زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل في آخر رجب وكان مرضه قد طال وملك
الموصل سبع عشرة سنة واحد عشر شهراً ولما اشتد مرضه انحدر الى العين القيصرية ليستحم
بها وعاد الى الموصل في سيارة فتوفي في الطريق ليلاً وكان أسمر حسن الوجه قد أسرع
اليه الشيب وكان شديد الهيبة على أصحابه وكان عنده قلة صبر في أموره واستقر في ملكه
بعده ولده الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود وكان عمر القاهر
عشر سنين وقام بتدبير مملكته بدر الدين لولو وكان لولو مملوك والده أرسلان شاه
وأستاذ داره وهذا لولو هو الذي ملك الموصل على ما سذكروه ان شاء الله تعالى وكان
لأرسلان شاه ولد آخر أصغر من القاهر اسمه عماد الدين زنكي ملكه أبوه قلعتي العقر
وشوش وهما بالقرب من الموصل

﴿ ذكر غير ذلك ﴾

(وفي هذه السنة) وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله الى ملوك الاطراف أن يشربوا
له كأس الفتوة ويلبسوا له سراويلها وان يتسبوا اليه في رمي البندق ويجعلوه قدوتهم
(وفيها) سار الملك العادل بعد وصوله الى دمشق ومقامه الى الديار المصرية وأقام بدار
الوزارة (وفيها) توفي فخر الدين جهار كس مقدم الصلاحية وكبيرهم
(ذكر وفاة الملك الاوحد صاحب خلاط)

(في هذه السنة) توفي الملك الاوحد أيوب بن الملك العادل فسار أخوه الملك الاشرف
وملك خلاط واستقل بملكها مضافاً الى ما بيده من البلاد الشرقية فعظم شأنه ولقب شاهراً من
(وفي هذه السنة) قتل غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم قتله ملك الاشكري

وملك بعده ابنه كيكائوس بن كيخسرو بن قليج أرسلان حسبما تقدم ذكره في سنة ثمان وثمانين وخسمائة (ثم دخلت سنة ثمان وستمائة) في هذه السنة قبض الملك المعظم عيسى بن الملك العادل على عز الدين أسامة صاحب قلعة كوكب ومجملون بأمر أبيه الملك العادل وحبسه في الكرك إلى أن مات بها وحاصر القلعتين المذكورتين وتسليمهما من غلمان أسامة وأمر الملك العادل بتخريب كوكب وتعفية أثرها فخربت وبقيت خراباً وأبقى مجملون وانقضت الصلاحية بهذا أسامة وملك الملك المعظم بلاد جهار كس وهي بانياس ومأمها لأخيه شقيقه الملك العزيز عماد الدين عثمان بن الملك العادل وأعطى صرخد مملوكه عز الدين أيبك المعظمي (وفي هذه السنة) عاد الملك العادل إلى الشام وأعطى ولده الملك المظفر غازي الرها مع ميا فارقين (وفيها) أرسل الملك الظاهر القاضي بهاء الدين بن شداد إلى الملك العادل فاستعطف خاطره وخطب ابنته ضيفة خاتون ابنة الملك العادل فزوجها من الملك الظاهر وزال ما كان بينهما من الأحن (وفيها) أظهر الكيا جلال الدين حسن صاحب الأملوت وهو من ولد ابن الصباح شاعر الإسلام وكتب به إلى جميع قلاع الأسمايلية بالمعجم والشام فأقيمت فيها شعائر الإسلام (وفيها) توفي أبو حامد محمد بن يونس بن منعة الفقيه الشافعي بمدينة الموصل وكان أماً فاضلاً وكان حسن الأخلاق (وفيها) توفي القاضي السعيد المعروف بابن سنا الملك وهو هبة الله بن جعفر بن سنا الملك السعدي الشاعر المشهور المصري أحد الفضلاء الرؤساء صاحب النظم الفائق وكان كثير التعم وافر السمادة محظوظاً من الدنيا مدح توران شاه أخا السلطان صلاح الدين بقصيدة مطلعها

تقنعت لسنك بالحبيب المعجم وفارقت لكن كل عيش مذموم
 فهجن بعض الفضلاء هذا المطلع وعابوه ومن شعره أيضاً
 لا العنصن يحكيك ولا الجوذر حسنك مما كثروا أكثر
 ياباسما أهدي لنا ثمره عقدا ولكن كله جوهر
 قال لي اللاحي أما تستمع فقلت للاحي أما تبصر

(ثم دخلت سنة تسع وستمائة) في هذه السنة في المحرم عقد الملك الظاهر على ضيفة خاتون بنت الملك العادل وكان المهر خمسين ألف دينار وتوجهت من دمشق في المحرم إلى حلب فاحتفل الملك الظاهر لملتها وقدم لها أشياء كثيرة نفيسة ﴿وفيها﴾ عمر الملك العادل قلعة الطور وجمع لها الصناع من البلاد والعسكر حتى تمت ﴿وفي هذه السنة﴾ سار طغريل شاه بن قليج أرسلان صاحب أرزن الروم وحاصر ابن أخيه سلطان الروم كيكائوس بسيواس فاستجد كيكائوس بالأشرف بن العادل فخاف عمه طغريل

ورحل عنه وكان ليكاوس أخ اسمه كيقباز فلما جرى ما ذكرناه سار كيقباز واستولى
 على أنكورية من بلاد أخيه كيكوس فسار كيكوس وحصره وفتح أنكورية وقبض على
 أمراءه وحلق لحاهم ورؤسهم واركب كل واحد منهم فرسا واركب قدامه وخلفه قحبتين
 ويبد كل منهما معلق تصفمه به وبين يدي كل واحد منهم مناد ينادى هذا جزء من خان
 سلطانهم (ثم دخلت سنة عشر وستمائة) في هذه السنة ظفر عز الدين كيكوس بن كينخسرو
 صاحب بلاد الروم بعمه طغريل شاه فأخذ بلاده وقتله وذبح أكثر أمراءه وقصد قتل
 أخيه علاء الدين كيقباز فشفع فيه بعض أصحابه فمفا عنه (وفيها) في رمضان توفي بجلب
 فارس الدين ميمون القصرى وهو آخر من بقى من كبراء الأمراء الصلاحية وهو منسوب إلى
 قصر الخلفاء بمصر كان قد أخذ السلطان صلاح الدين من هناك (وفيها) ولد للملك
 الظاهر من ضيفة خاتون بنت الملك العادل ولده الملك العزيز غياث الدين محمد (وفي هذه
 السنة) قتل أيدغمش مملوك البهلوان وكان قد غلب على المملكة وهى همدان والحيال
 قتله خشدشاه له من البهلوانية اسمه منكلى وكان أيدغمش قد هرب منه والتجأ إلى
 الخليفة في سنة ثمان وستمائة ورجع أيدغمش في هذه السنة إلى جهة همدان فقتل واستقل
 منكلى بالملك ﴿ وفي هذه السنة ﴾ في شعبان توفي ملك المغرب محمد الناصر بن يعقوب
 المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن وكانت مدة مملكته نحو ست عشرة سنة وكان أشقر
 أسبل الحداد ثم الاطراق كثير الصمت للثغة كانت في لسانه وقد تقدم ذكر ولايته في سنة
 خمس وتسعين وخمسائة ولما مات محمد الناصر المذكور ملك بعده ولده يوسف وتلقب
 بالمستنصر أمير المؤمنين ابن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن
 وكنيته أبو يعقوب ﴿ وفيها ﴾ وقيل في السنة التي قبلها توفي على بن محمد بن على المعروف
 بابن خروف النحوى الأندلسى الأشبلى شرح كتاب سيبويه شرحا جيدا وشرح الجمل
 للزجاجى ﴿ وفيها ﴾ توفي عيسى بن عبد العزيز الجزولى بمراكش وكان اماما في النحو
 صنف مقدمته الجزولية وسماها القانون أتى فيها بالمعائب واعتنى بها جماعة من الفضلاء
 وأكثر النحاة يعترفون بقصور أفهامهم عن ادراك مراده منها فانها كلها رموز واشارات
 قدم الجزولى المذكور إلى ديار مصر على ابن رى النحوى ثم عاد إلى الغرب والجزولى
 يضم الجيم منسوب إلى جزولة وهى بطن من البربر ويقال لها كزولة أيضا وشرح مقدمته
 في مجلد كبير أتى فيه بفرائب وفوائد ﴿ ثم دخلت سنة احدى عشر وستمائة ﴾ في هذه
 السنة توفي دلدرم بن ياروق صاحب تل باشروولى تل باشر بعده ابنه فتح الدين
 ﴿ وفيها ﴾ توفي الشيخ على بن أبى بكر الهروى وله التربة المعروفة شمالى حلب وكان
 عارفا بأنواع الحيل والشعبذة والسيماوية تقدم عند الملك الظاهر غازى صاحب حلب

وله أشعار كثيرة وتغرب في البلاد ودار غالب الممور ﴿ وفيها ﴾ أسرت التركان ملك الاشكري وهو قاتل غياث الدين كينخسرو فحمل الى ابنه كيكاس بن كينخسرو فأراد قتله فبذل له في نفسه أموالاً عظيمة وسلم الى كيكاس قلاعاً وبلاداً لم يملكها المسلمون قط ﴿ وفيها ﴾ عاد الملك العادل من الشام الى مصر ﴿ وفيها ﴾ توفي الدكز عبد السلام ابن عبد الوهاب بن عبد القادر الحليبي ببغداد ولى عدة ولايات وكان يتهم بمذهب الفلاسفة اعتقل قبل موته وأظهرت كتبه وفيها الكفريات مثل مخاطبة زحل وغيره بالالهية وأحرقت ثم شفع فيه أبوه فافرج عنه وعاد الى أعماله ﴿ وفيها ﴾ توفي في شوال عبد العزيز بن محمود بن الاخضر وله سبع وثمانون سنة وهو من فضلاء المحدثين ﴿ ثم دخلت سنة اثنتي عشر وستمائة ﴾

ذكر استيلاء الملك المسعود ابن الملك الكامل

ابن الملك العادل على اليمن

قد تقدم ذكر استيلاء سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن اتقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب في سنة تسع وتسعين وخمسائة على اليمن وأنه ملأها ظلماً وجوراً وأنه أطرح زوجته التي ملكته فلما جاءت هذه السنة بعث الملك الكامل ابن الملك العادل ابنه الملك المسعود يوسف المعروف باقسييس الى اليمن ومعه جيش فاستولى الملك المسعود على اليمن وظفر بسليمان المذكور صاحب اليمن وبعث به ممتقلاً الى مصر فأجرى له الملك الكامل ما يقوم به ولم يزل سليمان المذكور مقيماً بالقاهرة الى سنة سبع وأربعين وستمائة فخرج الى المنصورة غازياً فقتل شهيداً ﴿ وفي هذه السنة ﴾ توفي الامير على ابن الامام الناصر ووجد عليه الخليفة وجداً عظيماً وأكثر الشعراء من المرآتي فيه ﴿ وفي هذه السنة ﴾ تجمعت العساكر من بغداد وغيرها وقصدوا منكلى صاحب همدان وأصفهان والري وما بينهما من البلاد فانهزم وقتل في ساوة وتولى موضعه أغلمش أحد المماليك البهلوانية أيضاً ﴿ وفيها ﴾ في شعبان ملك خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش مدينة غزنة وأعمالها وأخذها من يلدز مملوك شهاب الدين الغوري فهرب يلدز الى لهاوور من الهند واستولى عليها ثم سار يلدز عن لهاوور واستولى على بعض بلاد الهند الداخلة تحت حكم قطب الدين أيبك خشدش يلدز المذكور فجرى بينه وبين عسكر قطب الدين أيبك مصاف فقتل فيه يلدز وكان يلدز حسن السيرة في الرعية كثير الاحسان اليهم ﴿ وفيها ﴾ توفي الوجيه المبارك ابن أبي الازهر سعيد بن الدهان النحوي الضرير وكان فاضلاً قرأ على ابن الانباري وغيره وكان حنبلياً فصارع حنفيّاً ثم صار شافعيّاً فقال فيه أبو البركات زيد التكريقي ألا مبلغ عن الوجيه رسالة وان كان لا يجدي اليه الرسائل

تمذهبت للذممان بعد ابن حنبل
وما اخترت رأى الشافعى تدينا
ولكنما تهوى الذى هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر
الى مالك فافطن بما أنا قائل
(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمائة)

ذكر وفاة الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين

يوسف بن أيوب صاحب حلب

ولما كانت صبيحة يوم السبت وهو الخامس والعشرون من جمادى الاولى من هذه السنة ابتداء بالملك الظاهر المذكور حى حادة ولما اشتد مرضه أحضر القضاة والاكابر وكتب نسخة يمين أن يكون الملك بعده لولده الصغير الملك العزيز ثم بعده لولده الكبير الملك الصالح صلاح الدين أحمد بن غازى وبعدهما لابن عمهما الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين وحلف الامراء والاكابر على ذلك وجعل الحكم فى الاموال والقلاع الى شهاب الدين طغريل الخادم وأعدق به جميع أمور الدولة وفى الثالث عشر من جمادى الآخرة أقطع الملك الظاهر خضر المعروف بالمستمر كفر سودا وأخرج من حلب فى ليلته بالتوكيل وأخرج علم الدين قيصر مملوك الملك الظاهر الى حارم نائباً وفى خامس عشر جمادى الآخرة اشتد مرض الملك الظاهر ومنع الناس الدخول اليه وتوفى فى ليلة الثلاثاء لعشرين من جمادى الآخرة وكان مولده بمصر فى نصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسائة فكان عمره أربعاً وأربعين سنة وشهوراً وكانت مدة ملكه لحلب من حين وهبها له أبوه احدى وثلاثين سنة وكان فيه بطش واقدام على سفك الدماء ثم أقصر عنه وهو الذى جمع شمل البيت الناصرى الصلاحى وكان ذكياً فطنا وترتب الملك العزيز فى المملكة ورجع الامور كلها الى شهاب الدين طغريل الخادم فدبر الامور وأحسن السياسة وكان عمر الملك العزيز لما قرر فى المملكة سنتين وأشهرها وعمر أخيه الملك الصالح نحو اثنى عشرة سنة (وفى هذه السنة) توفى تاج الدين زيد بن الحسين بن زيد الكندى وكان اماماً فى النحو واللغة وله الاسناد العالى فى الحديث وكان ذا فنون كثيرة فى أنواع العلم وهو بغدادى المولد والمنشأ وانتقل وأقام بدمشق (ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمائة) والسلطان الملك العادل بالديار المصرية وقد اجتمعت الفرنج من داخل البحر ووصلوا الى عكا فى جمع عظيم ولما بلغ الملك العادل ذلك خرج بمساكر مصر وسار حتى نزل على نابلس فسارت الفرنج اليه ولم يكن معه من المساكر ما يقدر به على مقاتلتهم فاندفع قدامهم الى عقبة أفيق فأغاروا على بلاد المسلمين ووصلت غارتهم الى نوى من بلد السواد ونهبوا ما بين بيسان ونابلس وبثوا سراياهم فقتلوا وغنموا من

المسلمين مايفوت الحصر وعادوا الى مرج عكا وكان قوة هذا التهب مايبين منتصف رمضان وعيد الفطر من هذه السنة وأقام الملك العادل بمرج الصفر وسارت الفرنج وحصروا حصن الطور وهو الذى بناه الملك العادل على ما تقدم ذكره ثم رحلوا عنه وانقضت السنة والفرنج بمجموعهم في عكا

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) سار خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش الى بلاد الجبل وغيرها فملكها فنها ساوة وقزوين وزنجان وابهر وهمدان وأصفهان وقم وقاشان ودخل أذربك ابن البهلوان صاحب أذربيجان وأران في طاعة خوارزم شاه وخطب له ببلاده ثم عزم خوارزم شاه على المسير الى بغداد للاستيلاء عليها وقدم بعض العسكر بين يديه وسار خوارزم شاه في أثرهم عن همدان يومين أو ثلاثة فسقط عليهم من الثلج ما لم يسمع بمثله فهلكت دوابهم وخاف من حركة التتر على بلاده فولى على البلاد التى استولى عليها وعاد الى خراسان وقطع خطبة الخليفة الامام الناصر من بلاد خراسان في سنة خمس عشرة وستمائة وكذلك قطعت خطبة الخليفة من بلاد ماوراء النهر وبقية خوارزم وسمرقند وهرات لم يقطع الخطبة منها فان أهل هذه البلاد كانوا لا يلتزمون بمثل هذا بل يخطبون لمن يختارون ويفعلون نحو ذلك (ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة) والملك العادل بمرج الصفر وجموع الفرنج بمرج عكا ثم ساروا منها الى الديار المصرية ونزلوا على دمياط وسار الملك الكامل ابن الملك العادل من مصر ونزل قبائلهم واستمر الحال كذلك أربعة أشهر وأرسل الملك العادل العساكر التى عنده الى عند ابنه الملك الكامل فوصلت اليه أولا فأولا ولما اجتمعت العساكر عند الملك الكامل أخذ في قتال الفرنج ودفنهم عن دمياط

(ذكر وفاة الملك القاهر صاحب الموصل)

(في هذه السنة) توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل وكانت وفاته لثلاث بقين من ربيع الاول وكانت مدة ملكه سبع سنين وتسعة أشهر وانقرض بموته ملك البيت الاتابكى وخلف ولدين أكبرهما اسمه أرسلان شاه وكان عمره حينئذ نحو عشر سنين فأوصى بالملك له وأن يقوم بتدبير مملكته بدر الدين لؤلؤ فقبضه بدر الدين لؤلؤ في المملكة وجعل الخطبة والسكة باسمه وقام لؤلؤ بتدبير المملكة أحسن قيام

(ذكر وفاة كيكائوس بن كينخسرو صاحب بلاد الروم حلب)

ولمات الملك الظاهر صاحب حلب وأجلس ابنه العزيز في المملكة وكان طفلاً طمع صاحب بلاد الروم كيكائوس في الاستيلاء على حلب فاستدعى الملك الأفضل صاحب سميساط واتفق معه كيكائوس أن يفتح حلب وبلادها ويسلمها إلى الملك الأفضل ثم يفتح البلاد الشرقية التي بيد الملك الأشرف ابن الملك العادل ويتسلمها كيكائوس وتحالفاً على ذلك وسار كيكائوس إلى جهة حلب ومعه الملك الأفضل ووصلا إلى رعيان واستولى عليها كيكائوس وسلمها إلى الملك الأفضل فالت إليه قلوب أهل البلاد لذلك ثم سار إلى تل باشرو بها ابن دلدرم ففتحها ولم يسلمها إلى الملك الأفضل وأخذها كيكائوس لنفسه فنفر خاطر الملك الأفضل وخواطر أهل البلاد بسبب ذلك ووصل الملك الأشرف ابن الملك العادل إلى حلب لدفع كيكائوس عن البلاد ووصل إليه بها الأمير مانع ابن حديثه أمير العرب في جمع عظيم وكان قد سار كيكائوس إلى منبج وتسلمها لنفسه أيضاً وسار الملك الأشرف بالجموع التي معه ونزل وادي بزاعا واتفق بعض عسكره مع مقدمة عسكر كيكائوس فانهزمت مقدمة عسكر كيكائوس وأخذ من عسكر كيكائوس عدة أسرى فأرسلوا إلى حلب ودقت البشائر لها ولما بلغ ذلك كيكائوس وهو بمنبج ولى منهزماً مرعوباً وتبعه الملك الأشرف يتخطف أطراف عسكره ثم حاصر الأشرف تل باشرو واسترجعها وكذلك استرجع رعيان وغيرها وتوجه الملك الأفضل إلى سميساط ولم يتحرك بعدها في طاب ملك إلى أن مات سنة اثنين وعشرين وستمائة على ما سذكروه إن شاء الله تعالى وعاد الملك الأشرف إلى حلب وقد بلغه وفاة أبيه

(ذكر وفاة السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب)

كان الملك العادل نازلاً بمرج الصفر وقد أرسل العساكر إلى ولده الملك الكامل بالديار المصرية ثم رحل الملك العادل من مرج الصفر إلى عالقين وهي عند عقبة أفيق فزل بها ومرض واشتد مرضه ثم توفي هناك إلى رحمة الله تعالى سابع جمادى الآخرة من هذه السنة أعني سنة خمس عشرة وستمائة وكان مولده سنة أربعين وخمسمائة وكان عمره خمسا وسبعين سنة وكانت مدة ملكه لدمشق ثلاث وعشرين سنة وكانت مدة ملكه لمصر نحو تسع عشرة سنة وكان الملك العادل رحمه الله تعالى حازماً متيقظاً غزير العقل شديد الآراء كذا مكر وخديعة صبوراً حليماً يسمع ما يكره ويفض عنده وأتته السمادة وأسمع ملكه وكثرت أولاده ورأى فيهم ما يجب ولم ير أحد من الملوك الذين اشتهرت أخبارهم في أولاده من الملك والظفر مارآه الملك العادل في أولاده ولقد آجاد شرف الدين بن عنين في قصيدته التي مدح بها الملك العادل التي مطلعها

ماذا على طيف الاحبة لوسرى وعليهم لو ساعحونى بالكرى
ومنها

العادل الملك الذى أسماؤه في شكل ناحية تشرف منبرا
ما في أبى بكر لمعتقد الهيدى شك يريب بأنه خير الورى
بين الملوك التسابرين وبينه في الفضل ما بين الثريا والثرى
نسجت خلائقه الحميدة ما أتى في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا
ومنها في وصف أولاده

لا تسمع من حديث ملك غيره يروى فكل الصيد في جوف القرا
وله الملوك بكل أرض منهم ملك يجر الى الاعادى عسكرا
من كل وضاح الجيين تخاله بدرا فان شهد الوغى ففضنقرا

وخلف الملك العادل ستة عشر ولدا ذكرا غير البنات ولما توفي الملك العادل لم يكن عنده
أحد من أولاده حاضرا فحضر اليه ابنه الملك المعظم عيسى وكان بنا بلس بعد وقاته وكم
موته وأخذته ميتا في محفة وعاد به الى دمشق واحتوى الملك المعظم على جميع ما كان
مع أبيه من الجواهر والسلاح والخيول وغير ذلك ولما وصل دمشق حلف جميع الناس
له وأظهر موت أبيه وجلس للعزاء وكتب الى الملوك من اخوته وغيرهم يخبرهم بموته
وكان في خزانة الملك العادل لما توفي سبعمائة ألف دينار عينا ولما بلغ الملك الكامل
موت أبيه وهو في قتال الفرنج عظم عليه ذلك جدا واختلفت المساكر عليه فتأخر عن
منزله وطمعت الفرنج ونهبت بعض ائقال المسلمين وكان في العسكر عماد الدين أحمد
ابن سيف الدين على بن أحمد المشطوب وكان مقدما عظيما في الاكراد الهكارية
فغزم على خلع الملك الكامل من السلطنة وحصل في العسكر اختلاف كثير حتى عزم
الملك الكامل على مفارقة البلاد والاحوق باليمن وبلغ الملك المعظم عيسى بن العادل
ذلك فرحل من الشام ووصل الى أخيه الملك الكامل وأخرج عماد الدين ابن
المشطوب ونفاه من العسكر الى الشام فانتظم أمر السلطان الملك الكامل وقوى
مضايقة الفرنج لدمياط وضعف أهلها بسبب ما ذكرناه من الفتنة التي حصلت في عسكر
الملك الكامل من ابن المشطوب

(ذكر استيلاء عماد الدين زنكى بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن

عماد الدين زنكى اقسنقر على بعض القلاع المضافة الى مملكة الموصل)

قد تقدم في سنة سبع وستمائة ان أرسلان شاه عند وقاته جعل مملكة الموصل لولده

القاهر مسعود وأعطى ولده الأصغر عماد الدين زنكى المذكور قلعي العقر وشوش فلما مات أخوه القاهر وأجلس ولده أرسلان شاه ابن القاهر في المملكة وكان به قروح وأمراض تحرك عمه عماد الدين زنكى بن أرسلان شاه وقصد العمادية واستولى عليها ثم استولى على قلاع الهكارية والزوران فاستنجد بدر الدين لولو المستولى على ملك الموصل وتدير أرسلان شاه بالملك الأشرف ابن الملك العادل ودخل في طاعته فأنجده الملك الأشرف بعسكر وساروا الى زنكى بن أرسلان شاه فهزموه وكان زنكى المذكور مزوجاً بينت مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل وأم البنت ربيعة خاتون بنت أيوب أخت السلطان الملك العادل زوجة مظفر الدين فكان مظفر الدين لا يترك ممكنا في نجدة صهره زنكى المذكور ويبالغ في عداوة بدر الدين لولو لاجل صهره (وفي هذه السنة) توفي علي بن نصر بن هرون النحوي الحلبي الملقب بالحجة قرأ علي ابن الحشاش وغيره (وفيها) توفي محمد وقيل أحمد بن محمد بن محمد العميدى الفقيه الحنفى السمرقندى الملقب ركن الدين كان اماماً في فن الخلاف خصوصاً الحنبلى وله فيه طريقة مشهورة وصنف الارشاد واعتنى بشرح طريقته جماعة منهم القاضى شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة الشافعى الجوينى قاضى دمشق وبدر الدين المراغى المعروف بالطويل واشتغل على العميدى خلق كثير وانتفعوا به منهم نظام الدين أحمد بن محمود بن أحمد الحنفى المعروف بالحصيرى ونظام الدين الحصيرى المذكور قتله التتر بنيسابور عند أول خروجهم في سنة ست عشرة وستمائة ولم يقع لنا هذه النسبة أعنى العميدى الى ماذا (ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة) والملك الأشرف مقيم بظاهر حلب يدبر أمر جندها واقطاعاتها والملك الكامل بمصر في مقابلة الفرنج وهم محددون محاصرون لتغر دمياط وكتب الملك الكامل متواصلة الى اخوته في طلب النجدة

(ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل)

(وفي هذه السنة) توفي نور الدين أرسلان شاه ابن الملك القاهر مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر وكان لا يزال مريضاً فأقام بدر الدين لولو في الملك بعده أخاه ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر وكان عمره يومئذ نحو ثلاث سنين وهو آخر من خطب له من بيت اتابك بالسلطنة وكان أبوه القاهر آخر من كان له استقلال بالملك منهم ثم ان هذا الصبي مات بعد مدة واستقل بدر الدين لولو بالملك وأتته السعادة وطالت مدة ملكه الى ان توفي بالموصل بعد أخذ التتر بغداد على ما سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة صاحب سنجار)

وقد تقدم ذكر ولايته في سنة أربع وتسعين وخمسمائة (وفي هذه السنة) توفي قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب سنجار فملك سنجار بعده ولده عماد الدين شاهنشاه بن محمد وكان قطب الدين حسن السيرة في رعيته وبقي عماد الدين شاهنشاه في الملك شهورا ثم وثب عليه أخوه محمود بن محمد فذبحه وملك سنجار وهذا محمود هو آخر من ملك سنجار من البيت الاتابكي

(ذكر تخريب القدس)

(وفي هذه السنة) أرسل الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل صاحب دمشق الحجارين والنقابين الى القدس فحرب أسواره وكانت قد حصنت الى الغاية فانتقل منه عالم عظيم وكان سبب ذلك ان الملك المعظم لما رأى قوة الفرنج وتغلبهم على دمياط خشى أن يقصدوا القدس فلا يقدر على منعهم فحربه لذلك

(ذكر استيلاء الفرنج على دمياط)

ولم تزل الفرنج يضايقون دمياط حتى هجموها في هذه السنة عاشر رمضان وقتلوا وأسروا من بها وجملوا الجامع كنيسة واشتد طمع الفرنج في الديار المصرية وحين أخذت دمياط ابنتي الملك الكامل مدينة وسماها المنصورة عند مفترق البحرين الآخذة أحدهما الى دمياط والآخر الى أشمون طنناخ ونزل فيها بمساكره

(ذكر ظهور التتر)

(وفي هذه السنة) كان ظهور التتر وقتلهم في المسلمين ولم تنكب المسلمون بأعظم مما نكبوا في هذه السنة فمن ذلك ما كان من تمكن الفرنج بملكهم دمياط وقتلهم أهلها وأسروهم ومنه المصيبة الكبرى وهو ظهور التتر وتملكهم في المدينة القريبة أكثر بلاد الاسلام وسفك دماهم وسبي حريمهم وذرايرهم ولم تفجع المسلمون منذ ظهر دين الاسلام بمثل هذه الفجيرة (وفي هذه السنة) خرجوا على علاء الدين محمد خوارزم شاه بن تكش وعبروا نهر سيحون ومعهم ملكهم جنكزخان لعنه الله تعالى فاستولوا على بخارى رابع ذى الحجة من هذه السنة بالامان وعصت عليهم القامة فحاصروها وملكوها وقتلوا كل من بهائم قتلوا أهل البلد عن آخرهم (من تاريخ ظهور التتر) تأليف محمد بن أحمد بن علي المنشي النسوي كاتب انشاء جلال الدين قال ان مملكة العين مملكة متسعة دورها ستة أشهر وقد انقسمت من قديم الزمان ستة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر يتولى أمره

خان وهو الملك بلغتهم نيابة عن خانهم الاعظم وكان خانهم الكبير الذي عاصر خوارزم
 شاه محمد بن تكش يقال له الطون خان وقد توارث الخانية كارا عن كابر بل كافر عن
 كافر ومن عادة خانهم الاعظم الاقامة بطوغاج وهي واسطة الصين وكان من زمرةهم في
 عصر المذكور شخص يسمى دوشى خان وهو أحد الخانات المتولى أحد الاجزاء الستة
 وكان مزوجاً بعمة جنكز خان الامين وقبيلة جنكز خان الامين هي المروفة بقبيلة التمرحى
 سكان البرارى ومشتاهم موضع يسمى ارغون وهم المشهورون بين التتر بالشر والفدر
 ولم تر ملوك الصين ارضاء عنانهم لطغيانهم فاتفق ان دوشى خان زوج عمة جنكز خان
 مات فحضر جنكز خان الى عمته زائراً وممزيباً وكان الخانان المجاوران لعمد دوشى خان
 المذكور يقال لاحدهما كشلوخان والآخر فلان خان فكانا يلبان مايتاخم عمل دوشى
 خان المذكور المتوفى من الجهتين فارسلت امرأة دوشى خان الى كشى خان والخان
 الآخر تنعى اليهما زوجها دوشى خان وانه لم يخلف ولدا وانه كان حسن الجوار لهما
 وان ابن أخيها جنكز خان ان اقيم مقامه يحذو حذو المتوفى في معاضدتهما فاجابها
 الخانان المذكوران الى ذلك وتولى جنكز خان ما كان لدوشى خان المتوفى من الامور
 بمعاودة الخانين المذكورين * فلما انتهى الامر الى الخان الاعظم الطون خان انكر تولية
 جنكز خان واستحققه وانكر على الخانين اللذين فعلوا ذلك فلما جرى ذلك خلعوا طاعة
 الطون خان وانضم اليهم كل من هو من عشائهم ثم اقتتلوا مع الطون خان فولى
 منهزماً وتمكنوا من بلاده ثم ارسل الطون خان وطاب منهم الصلح وان يقوه على بعض
 البلاد فأجابوه الى ذلك وبقي جنكز خان والخانان الآخيران مشركين في الامر فاتفق
 موت الخان الواحد واستقل بالامر جنكز خان وكشلوخان ثم مات كشلوخان وقام ابنه
 ولقب بكشلوخان ايضا مقامه فاسـ تضعف جنكز خان جانب كشلوخان بن كشلوخان
 لصغره وحدائمه سنة وأخل بالقواعد التي كانت مقررة بينه وبين أبيه فانفرد كشلوخان
 عن جنكز خان وفارقه لذلك ووقع بينهما الحرب فجرد جنكز خان جيشاً مع ولده دوشى
 خان بن جنكز خان فسار دوشى خان واقتتل مع كشلوخان فانتصر دوشى خان وانهمزم
 كشلوخان وتبعه دوشى خان وقتله وعاد الى جنكز خان برأسه فانفرد جنكز خان بالمملكة
 ثم ان جنكز خان راسل خوارزم شاه محمد بن تكش في الصلح فلم ينتظم فجمع
 جنكز خان عساكره والتقى مع خوارزم شاه محمد فانهزم خوارزم شاه فاستولى جنكز خان
 على بلاد ماوراء النهر ثم تبع خوارزم شاه محمداً وهو هارب بين يديه حتى دخل بحر
 طبرستان ثم استولى جنكز خان على البلاد ثم كان من خوارزم شاه ومن جنكز خان
 ما سئد كره ان شاء الله تعالى

ذكر توجه الملك المظفر محمود ابن صاحب حماة

الى مصر وموت والدته

(في هذه السنة) حلف الملك المنصور صاحب حماة الناس لولده الملك المظفر محمود وجعله ولي عهده وجرده معه عسكريا والطواشي مرشد المنصورى نجدة الى الملك الكامل بديار مصر فسار اليه * ولما وصل الى الملك الكامل أكرمه وأنزله في ميمنة عسكريه وهي منزلة أبيه وجده في الايام الناصرية الصلاحية وبعد توجه الملك المظفر ماتت والدته ملكة خاتون بنت الملك العادل قال القاضي جمال الدين مؤلف مفرج الكروب وحضرت الغزاة وعمري اثنتا عشرة سنة ورأيت الملك المنصور وهو لايس الحداد على زوجته المذكورة وهو ثوب أزرق وعمامة رزقاء وأنشدته الشعر المراثي فن ذلك قصيدة قالها حسام الدين خشتين وهو جندي كردي مطلعها

الطرف في لجة والقلب في سمر له دخان زفير طار بالشر

ومنها في لبس الملك المنصور الحداد عليها

ما كنت أعلم ان الشمس قد غربت حتى رأيت الدجى ملقى على القمر

لو كان من مات يفدى قبلها لفدى أم المظفر آلاف من البشر

ذكر وفاة كيكوس وملك أخيه كيقباز

(في هذه السنة) توفي الملك الغالب عز الدين كيكوس بن كيكسرو بن قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم وقد تقدم ذكر ولايته في سنة سبع وستمائة وكان قد تعلق به مرض السل واشتد مرضه ومات فلما بعده أخوه كيقباز بن كيكسرو وكان كيقباز محبوسا قد حبسه أخوه كيكوس فاخرجه الجند وملكوه

(ذكر غير ذلك)

(وفي هذه السنة) توفي أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري الضرير النحوي الحاسب اللغوي وكان حنبليا صاحب ابن الحشاش النحوي وغيره (وفيها) توفي أبو الحسن علي بن القاسم بن علي بن الحسن الدمشقي الحافظ ابن الحافظ ابن الحافظ المعروف بابن عساكر وكان قد قصد خراسان وسمع بها الحديث فآثر وعاد الى بغداد وكان قد وقع على القفل الذي هو فيه في الطريق حرامية وجرحوا ابن عساكر المذكور ووصل على تلك الحال الى بغداد وتقى بها حتى توفي في هذه السنة في جادى الاولى رحمة الله (ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة) والفرنج متملكون على دمياط

والسلطان الملك الكامل مستقر في المنصورة مرابطاً للجهاد والملك الأشرف في حران وكان الملك الأشرف قد أقطع عماد الدين أحمد بن سيف الدين علي بن أحمد المشطوب رأس عين نخرج على الملك الأشرف وجمع ابن المشطوب المذكور جمع وحسن لصاحب سنجار محمود بن قطب الدين الخروج عن طاعة الأشرف أيضاً نخرج بدر الدين لولو من الموصل وحصر ابن المشطوب بقلعة اعقر وأخذه بالامان ثم قبض عليه وأعلم الملك الأشرف بذلك فسره به غاية السرور واستمر عماد الدين أحمد بن سيف الدين بن المشطوب في الحبس ثم سار الملك الأشرف من حران واستولى على ديسر وقصد سنجار فآتته رسل صاحبها محمود بن قطب الدين يسأل ان يعطى الرقة عوض سنجار ليسلم سنجار الى الملك الأشرف فاجاب الملك الأشرف الى ذلك وتسلم سنجار في مستهل جمادى الاولى وسلم اليه الرقة وهذا كان من سعادة الملك الأشرف فان أباه الملك العادل نازل سنجار في جموع عظيمة وطال عليها مقامه فلم يملكها وملكها ابنه الملك الأشرف باهون سعى وبعد ان فرغ الملك الأشرف من سنجار سار الى الموصل ووصل اليها في تاسع عشر جمادى الاولى وكان يوم وصوله اليها يوماً مشهوداً وكتب الى مظفر الدين صاحب اربل يأمره ان يعيد صهره عماد الدين زنكي بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود ابن عماد الدين زنكي علي بدر الدين لولو القلاع التي استولى عليها فأعادها جميعها وترك في يده منها العمادية واستقر الصلح بين الملك الأشرف وبين مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل وعماد الدين زنكي بن ارسلان شاه صاحب العقرب وشوش والعمادية وكذلك استقر الصلح بينهم وبين صاحب الموصل بدر الدين لولو ولما استقر ذلك رحل الملك الأشرف عن الموصل ثاني شهر رمضان من هذه السنة وعاد الى سنجار وسلم بدر الدين لولو قلعة تلعفر الى الملك الأشرف ونقل الملك الأشرف ابن المشطوب من حبس الموصل وحطه مقيداً في جب بمدينة حران حتى مات سنة تسع عشرة وستمائة واتي بنيه وخروجه مرة بعد أخرى

ذكر وفاة الملك المنصور صاحب حماة

(وفي هذه السنة) توفي الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب صاحب حماة بقلعة حماة في ذي القعدة وكانت مدة مرضه احدى وعشرين يوماً بحمى جادة وورم دماغه وكان شجاعاً عالماً يحب العلماء ورد اليه منهم جماعة كثيرة مثل الشيخ سيف الدين علي الآمدي وكان في خدمة الملك المنصور قريب مائتي متعمم من اتحاة والفقهاء والمشتغلين بغير ذلك وصنف الملك المنصور عدة مصنفات مثل المضمار في التاريخ وطبقات الشـمراء وكان معنياً بعمارة بلده والنظر في مصالحه

وهو الذي بنى الجسر الذي هو بظاهر حماة خارج باب حمص واستقر له بمد وفاة والده من البلاد حماة والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم * ولما فتح بارين وكانت بيد ابراهيم ابن المقدم أزمه عمه السلطان الملك العادل أن يردها عليه فأجاب الى تسليم منبج وقلعة نجم عوضاً عنها وهما خير من بارين بكثير اختار ذلك لقرب بارين من بلده ووجرت له حروب مع الفرنج واتصر فيها وكان ينظم الشعر

ذكر استيلاء الملك الناصر ابن الملك المنصور على حماة

ولما توفي الملك المنصور كان ولده الملك المظفر المعهود اليه بالسلطنة عند خاله الملك الكامل بديار مصر في مقابلة الفرنج وكان ولده الآخر الملك الناصر صلاح الدين قديج ارسلان عند خاله الآخر الملك المعظم صاحب دمشق وهو في الساحل في الجهاد وقد فتح قيسارية وهدمها وسار الى عثيث ونازلها وكان الوزير بحمارة زين الدين بن فريج فاتفق هو والكبراء على استدعاء الملك الناصر لعلمهم بلين عريكته وشدة بأس الملك المظفر فارسلوا الى الملك الناصر وهو مع الملك المعظم كما ذكرنا فتمعه الملك المعظم من التوجه الا بتقرير مال عليه يحمله الى الملك المعظم في كل سنة قيل ان مبلغه أربعمائة ألف درهم * فلما أجاب الملك الناصر الى ذلك وحلف عليه أطلقه الملك المعظم فقدم الملك الناصر الى حماة واجتمع بالوزير زين الدين بن فريج والجماعة الذين كاتبوه فاستحلفوه على ما أرادوا وأصعدوه الى القلعة ثم ركب من القلعة بالسناجق السلطانية وكان عمره اذذاك سبع عشرة سنة لان مولده سنة ستمائة * ولما استقر الملك الناصر في ملك حماة وبلغ أخاه الملك المظفر ذلك استأذن الملك الكامل في المضي الى حماة ظناً منه انه اذا وصل اليها يسلمونها اليه بحكم الايمان التي كانت له في أعناقهم فاعطاه الملك الكامل الدستور وسار الملك المظفر حتى وصل الى الغور فوجد خاله الملك المعظم صاحب دمشق هناك فاخبره ان أخاه الملك الناصر قد ملك حماة ويخشى عليه انه ان وصل اليه يمتقله فسار الملك المظفر الى دمشق وأقام بداره المعروفة بالزنجيلي وكتب الملك المعظم والملك المظفر الى أكبر حماة في تسليمها الى الملك المظفر فلم يحصل منهم اجابة فعماد الملك المظفر الى مسر وأقام في خدمة الملك الكامل وأقطعته اقطاعاً بمصر الى ان كان ماسئذ كره ان شاء الله تعالى

ذكر استيلاء الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن

الملك العادل على خلاط وميا فارقين

كان قد استقر بيد الملك المظفر المذكور الرها وسروج وكانت ميا فارقين وخلاط بيد

الملك الاشرف ولم يكن للملك الاشرف ولد فجعل أخاه الملك المظفر غازي ولي عهده وأعطاه ميا فارقين وخلاط وبلادها وهي اقليم عظيم يضاهي ديار مصر وأخذ الملك الاشرف منه الرها وسروج (وفي هذه السنة) توفي بالموصل الشيخ صدر الدين محمد ابن عمر بن حمويه شيخ الشيوخ بمصر والشام وكان فقيها فاضلا من بيت كبير بخراسان وخلف أربعة بنين عرفوا بأولاد الشيخ تقدموا عند السلطان الملك الكامل وسندكر بعض أخبارهم في موضعها ان شاء الله تعالى وكان الشيخ صدر الدين المذكور قد توجه رسولا الى بدر الدين لولو صاحب الموصل فأتاه هناك

ذكر مسير التتر الى خوارزم شاه وانهزامة وموته

لما ملك التتر سمرقند أرسل جنكزخان لعنه الله عشرين ألف فارس في أثر خوارزم شاه محمد بن تكش * وهذه الطائفة يسميها التتر المغربية لأنها سارت نحو غرب خراسان فوصلوا الى موضع يقال له بنج آو وعبروا هناك نهر جيحون وصاروا مع خوارزم شاه في بر واحد فلم يشعر خوارزم شاه وعسكره الا والتتر معه فتفرق عسكره وذهبوا ايدي سبا ورحل خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش لايلوي على شيء في نفر من خواصه ووصل الى نيسابور والتتر في أثره * فلما قربوا منه رحل خوارزم شاه الى مازندران والتتر في أثره لايلتفتون الى شيء من انبلاد ولا الى غير ذلك بل قصدهم ادراك خوارزم شاه وسار من مازندران الى مرسى من بحر طبرستان يعرف بالسكون وله هناك فلاة في البحر فمبر هو وأصحابه اليها فوقف التتر على ساحل البحر وأيسوا من اللحاق بخوارزم شاه * ولما استقر خوارزم شاه بهذه القلعة توفي فيها وهو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش بن ارسلان بن اطسز بن محمد بن انوشتكين غرشه وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وشهورا واتسع ملكه وعظم محله ملك من حد العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس وكان فاضلا عالما بالفقه والاصول وغيرهما وكان صبورا على التعب وادمان السير وسندكر شيئا من أخباره عند ذكر مقتل ولده جلال الدين ولما آيس التتر من ادراك خوارزم شاه عادوا الى مازندران ففتحوها وقتلوا أهلها ثم ساروا الى الري وهمذان ففعلوا كذلك من الفتك والسبي ثم ملكوا مراغة في صفر سنة ثمان عشرة وستمائة ثم ساروا الى حران واستولوا عليها ونازلوا خوارزم وقاتلهم أهلها مدة أشد قتال ثم فتحوها وكان لها سد في نهر جيحون ففتحوه وركب خوارزم الماء ففرقها وفعلوا في هذه البلاد جميعها من قتل أهلها وسبي ذراريهم وقتل العلماء والصلحاء والزهاد والعباد وتخريب الجوامع وتحريق

المساحف ما لم يسمع بمثله في تاريخ قبل الاسلام ولا بعده فان واقعة بختصر مع بنى اسرائيل لا تنسب الى بعض بعض مافعله هؤلاء فان كل واحدة من المدن التي اخربوها اعظم من القدس بكثير وكل امة قتلوهم من المسلمين اضعاف بنى اسرائيل الذين قتلهم بختصر * ولما فرغ التتر من خراسان عادوا الى ملكهم فجهز جيشا كثيفا الى غزنة وبها جلال الدين منكبرنى بن علاء الدين محمد خوارزم شاه المذكور مالكا لها وقد اجتمع اليه جمع كثير من عسكر ابيه قيل كانوا - تين ألف مقاتل وكان الجيش الذى سار اليهم من التتر اثني عشر ألفا فالتقوا مع جلال الدين واقتتلوا قتالا شديدا وانزل الله نصره على المسلمين وانهمزمت التتر وتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤوا ثم ارسل جنكزخان لعنه الله عسكرا أكثر من أول مع بعض اولاده ووصلوا الى كابل وتصافف معهم المسلمون فانهمزمت التتر ثانيا وقتل المسلمون فيهم وغنموا شيئا كثيرا وكان في عسكر جلال الدين أمير كبير مقدم هو الذى كسر التتر على الحقيقة يقال له بغراق وقع بينه وبين أمير كبير يقال له ملك خان وهو صاحب هراة وله نسب الى خوارزم شاه فتنة بسبب المكسب قتل فيها أخو بغراق فغضب بغراق وفارق جلال الدين وسار الى الهند وتبعه ثلاثون ألف فارس ولحقه جلال الدين منكبرنى واستعطفه فلم يرجع فضعف عسكر جلال الدين بسبب ذلك ثم وصل جنكزخان اللمين بنفسه في جيوشه وقد ضعف جلال الدين بما نقص من جيوشه بسبب بغراق فلم يكن له بجنكزخان قدرة فترك جلال الدين البلاد وسار الى الهند وتبعه جنكزخان حتى أدركه على ماء عظيم وهو نهر السند ولم يلحق جلال الدين ومن معه أن يعبروا النهر فاضطروا الى القتال وجرى بينهم وبين جنكزخان قتال عظيم لم يسمع بمثله وصبر الفريقان ثم تأخر كل منهما عن صاحبه فمر جلال الدين ذلك النهر الى حمة الهند وعاد جنكزخان فاستولى على غزنة وقتلوا أهلها ونهبوا أموالهم وكان قد سار من التتر فرقة عظيمة الى جهة القفجاق واقتتلوا معهم فهزمهم التتر واستولوا على مدينة القفجاق العظيم وتسمى سوادق وكذلك فعلوا بقوم يقال لهم اللكرى بلادهم قرب دربند شروان ثم سار التتر الى الروس وانضم الى الروس القفجاق وجرى بينهم وبين التتر قتال عظيم انتصر فيه التتر عليهم وشردوهم قتلا وهربا في البلاد (وفيها) في شوال توفي رضى الدين المؤيد ابن محمد بن على الطوسى الاصل النيسابورى الدار المحدث وكان أعلى المتأخرين اسنادا سمع كتاب مسلم من الفقيه أبى عبد الله محمد بن الفضل القراوى وكان القراوى فاضلا قرأ الاصول على امام الحرمين وسمع القراوى المذكور صحيح مسلم على عبد الغافر الفارسى وكان عبد الغافر اماما في الحديث صنف شرح مسلم وغيره وتوفي محمد بن الفضل

القرأوى سنة ثلاثين وخمسمائة وتوفي عيد الغافر في سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكانت ولادة رضى الدين المؤيد المذكور في سنة أربع وعشرين وخمسمائة ظنا (ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة)

ذكر عود دمياط الى المسلمين

وفي هذه السنة قوى طمع الفرنج المتملكين دمياط في ملك الديار المصرية وتقدموا عن دمياط الى جهة مصر ووصلوا الى المنصورة واشتد القتال بين الفريقين برا وبحرا وكتب السلطان الملك الكامل متواترة الى اخوته وأهل بيته يستحثهم على انجاده فصار الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل صاحب دمشق الى أخيه الملك الاشرف وهو ببلاد الشرقية واستجده وطلب منه المسير الى أخيهما الملك الكامل فجمع الملك الاشرف عساكره واستصحب عسكر حلب وكذلك استصحب معه الملك الناصر قليج أرسلان ابن الملك المنصور صاحب حماة وكان الملك الناصر خائفا من السلطان الملك الكامل ان يتزع حماة منه ويسلمها الى أخيه الملك المظفر فحلف الملك الاشرف للملك الناصر صاحب حماة انه ما يمكن أخاه السلطان الملك الكامل من التعرض اليه فصار معه بمسكن حماة وكذلك سار محبة الملك الاشرف كل من صاحب بعلبك الملك الامجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب وصاحب حصن الملك المجاهد شيركوه بن محمد ابن شيركوه بن شاذى وسار الملك المعظم عيسى بمسكن دمشق ووصلوا الى الملك الكامل وهو في قتال الفرنج على المنصورة فركب وانتقى أخويه ومن في صحبتهم ما من الملوك وأكرمهم وقويت نفوس المسلمين وضعفت نفس الفرنج بما شاهدوه من كثرة عساكر الاسلام وتجاهلهم واشتد القتال بين الفريقين ورسل الملك الكامل وأخويه مترددة الى الفرنج في الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم القدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبله وجميع ما فتحه السلطان صلاح الدين من الساحل ماعدا الكرك والشوبك على ان يجيوا الى الصلح ويسلموا دمياط الى المسلمين فلم يرض الفرنج بذلك وطلبوا ثلثمائة ألف دينار عوضا عن تخريب أسوار القدس فان الملك المعظم عيسى خر بها كما تقدم ذكره وقالوا لا بد من تسليم الكرك والشوبك وبيننا الامر متردد في الصلح والفرنج ممتعون من الصلح اذ عبر جماعة من عسكر المسلمين في بحر المحلة الى الارض التي عليها الفرنج من بر دمياط ففجروا فجرة عظيمة من النيل وكان ذلك في قوة زيادته والفرنج لاخبرة لهم بأسر النيل فركب الماء تلك الارض وصار حائلا بين الفرنج وبين دمياط وانقطع عنهم الميرة والمدد فهلكوا جوعا وبعثوا يطلبون الامان على ان ينزلوا عن جميع ما بذله المسلمون لهم ويسلموا دمياط ويمقدوا مدة للصلح وكان فيهم

عدة ملوك كبار نحو عشرين ملكا فاختلفت الآراء بين يدي السلطان الملك الكامل في أمرهم فبعضهم قال لانعطيتهم امانا وتأخذهم وتسلمهم مابقي بأيديهم من الساحل مثل عكا وغيرها ثم اتفق آراؤهم على اجابتهم الى الامان لطول مدة البيكار وتضجر العساكر لأنهم كان لهم ثلاث سنين وشهور في القتال معهم فأجابهم الملك الكامل الى ذلك وطلب الفرنج رهينة من الملك الكامل فبعث ابنه الملك الصالح أيوب وعمره يومئذ خمس عشرة سنة الى الفرنج رهينة وحضر من الفرنج رهينة على ذلك ملك عكا ونائب البابا صاحب رومية الكبرى وكندريس وغيرهم من الملوك وكان ذلك سابع رجب من هذه السنة واستحضر الملك الكامل ملوك الفرنج المذكورين وجلس لهم مجلسا عظيما ووقف بين يديه الملوك من اخوته وأهل بيته جميعهم وسلمت دمياط الى المسلمين تاسع عشر رجب من هذه السنة وقد حصنها الفرنج الى غاية ما يكون وولاها السلطان الملك الكامل الامير شجاع الدين حلدك التقوى وهو من مماليك الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاہ بن أيوب وهنأت الشعراء الملك الكامل به. هذا الفتح العظيم ثم سار السلطان الملك الكامل ودخل دمياط ومعه اخوته وأهل بيته وكان يوما مشهودا ثم توجه الى القاهرة وأذن للملوك في الرجوع الى بلادهم فتوجه الملك الاشرف الى الشرق وانتزع الرقة من محمود وقيل اسمه عمر بن قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر ولقي بفيه على أخيه فانا ذكرنا كيف وثب على أخيه وقتله وأخذ سنجار ثم أقام الملك الاشرف بالرقة وورد اليه الملك الناصر صاحب حماة فاقام عنده مدة ثم عاد الى بلده

ذكر وفاة صاحب آمد

﴿ وفي هذه السنة ﴾ توفي الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق صاحب آمد وحصن كيفا بالقولنج وقام في الملك بعده ولده الملك المسعود وهو الذي انتزع منه الملك الكامل آمد وكان الملك الصالح المذكور قبيح السيرة * وقد أورد ابن الاثير وفاته في سنة تسع عشرة

ذكر غير ذلك من الحوادث

﴿ في هذه السنة ﴾ في جمادى الآخرة خنق قتادة بن ادرس العلوي الحسيني أمير مكة وعمره نحو تسعين سنة وكانت ولايته قد اتسعت الى نواحي اليمن وكان حسن السيرة في مبتدأ أمره ثم أساء السيرة وجدد المظالم والمكوس وصورة ماجرى له ان قتادة كان مريضاً فارسل عسكرياً مع أخيه ومع ابنه الحسن بن قتادة للاستيلاء على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وأخذها من صاحبها فوثب الحسن بن قتادة في أثناء الطريق

على عمه فقتله وعاد الى ابيه قتادة بمكة فخفه وكان له أخ نائباً بقلمه ينبع عن ابيه
فارسل اليه الحسن فحضر الى مكة فقتله أيضا وارتكب الحسن أمرا عظيما قتل عمه
وأباه وأخاه في أيام يسيرة واستقر في ملك مكة وقيل ان قتادة كان يقول الشعر وطولب
أن يحضر الي أمير الحاج العراقي فامتنع وعوتب من بغداد فاحاب بايات منها

ولى كعب ضرغام أصول يبطشها وأشرى بها بين الورى وأيسع
تظل ملوك الارض تلثم ظهرها وفي بطنها للمجد بين ربيع
أجعلها تحت الرحي ثم أتبعي خلاصا لها انى اذن لرقيع
وما أنا الا المسك في كل بلدة يضوع وأما عندكم فيضيع

❦ وفيها ❦ توفي جلال الدين الحسن صاحب الالموت ومقدم الاسماعيلية وولى
بعده ابنه علاء الدين محمد ❦ ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة ❦ في هذه السنة
استقل بدر الدين لولو بملك الموصل وتوفي الطفل الذي كان قد نصبه في المملكة
وهو ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن
مسعود بن مودود بن زنكى بن اقسنقر وسمى لولو نفسه الملك الرحيم وكان قد
اعتضد بالملك الاشرف ابن الملك العادل فدافع عنه ونصره وقلع لولو البيت الاتابكي
بالكلية واستمر مالكا للموصل نيفا وأربعين سنة سوى ما تقدم له من الاستيلاء والتحكم
في أيام أستاذه نور الدين أرسلان شاه وابنه الملك القاهر مسعود ❦ وفي هذه السنة ❦
سار الملك الاشرف الى خدمة أخيه الملك الكامل وأقام عنده بمصر متزها الى ان
خرجت هذه السنة ❦ وفي هذه السنة ❦ فوض الاتابك طغريل الخادم مدبر مملكة
حلب الى الملك الصالح أحمد بن الظاهر أمر الشنفر وبكاس فسار الملك الصالح من
حلب واستولى عليهما وأضاف اليه الروج ومعرة ومصرين ❦ وفي هذه السنة ❦ قصد
الملك المعظم عيسى صاحب دمشق حماة لان الملك الناصر صاحب حماة كان قد التزم
له بمال يحمه اليه اذا ملك حماة فلم يف له فقصد الملك المعظم حماة ونزل بقرين
وغلقت ابواب حماة فقصدها الملك المعظم وجرى بينهم قتال قليل ثم ارتحل الملك
المعظم الى سلمية فاستولى على حواصلها وولى عليها ثم توجه الى المعرة فاستولى عليها
وأقام فيها واليا من جهته وقرر أمورها ثم عاد الى سلمية فأقام بها حتى خرجت هذه
السنة على قصد منزلة حماة ❦ وفي هذه السنة ❦ حج من اليمن الملك المسعود يوسف
الملقب اطسز وهو اسم تركي والعامية تسميه اقسيس وكان قد استولى على اليمن
سنة اثنتي عشرة وستمائة وقبض على سليمان شاه بن شاهنشاه بن عمر بن شاهنشاه
ابن أيوب وحج في هذه السنة ❦ فلما وقف الملك المسعود في هذه السنة بعرفة وتقدمت

اعلام الخليفة الامام الناصر لترفع على الجبل تقدم الملك المسمود بمساكره ومنع من ذلك وأمر بتقديم اعلام آبيه السلطان الملك الكامل على اعلام الخليفة فلم يقدر أصحاب الخليفة على منعه من ذلك ثم عاد الملك المسمود الى اليمن وبلغ ذلك الخليفة فعظم عليه وأرسل يشكو الى الملك الكامل فاعتذر عن ذلك فقبل عذره وأقام الملك المسمود في اليمن مدة يسيرة ثم عاد الى مكة ليستولى عليها فقابله الحسن بن قتادة فاتصر الملك المسمود وانهمز الحسن بن قتادة واستقرت مكة في ملك الملك المسمود وولى عليها وذلك في ربيع الاول من سنة عشرين وستمائة ثم عاد الى اليمن (وفيها) توفي الشيخ يونس بن يوسف بن مسعود شيخ الفقهاء المعروفة باليوسنية وكان رجلا صالحا وله كرامات وكانت وفاته بقرية القنية من أعمال دارا وقد ناهز تسعين سنة وقبره مشهور هناك ثم دخلت سنة عشرين وستمائة * والاشرف بديار مصر عند أخيه الملك الكامل وأخوهما الملك المعظم بسلمية مستول عليها وعلى المعرة عازم على حصار حماة وبلغ الملك الاشرف ما فعله أخوه المعظم بصاحب حماة فعظم عليه ذلك واتفق مع أخيه الكامل على الانكار على الملك المعظم وترحيله فارسل اليه الملك الكامل ناصح الدين الفارسي فوصل الى الملك المعظم وهو بسلمية وقال له السلطان يأمرك بالرحيل فقال السمع والطاعة وكانت اطماعه قد قويت على الاستيلاء على حماة فرحل مفضبا على اخويه الكامل والاشرف ورجعت المعرة وسلمية للناصر وكان الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب مقيما عند الملك الكامل بالديار المصرية كما تقدم ذكره وكان الملك الكامل يؤثر تملكه حماة لكن الملك الاشرف غير مجيب الى ذلك لانتماء الملك الناصر صاحب حماة اليه وجرى بين الكامل والاشرف في ذلك مراجعات كثيرة آخرها انهما اتفقا على نزع سلمية من يد الناصر قليج ارسلان وتسليمها الى أخيه الملك المظفر فتسلمها الملك المظفر وأرسل اليها وهو بمصر نائبا من جهة حسام الدين أبا علي بن محمد بن علي الهذباني واستقر يد الملك الناصر حماة والمعرة وبمرين ثم سار الاشرف من مصر واستصحب معه خلعة وسناجق سلطانية من أخيه الملك الكامل للملك العزيز صاحب حلب وعمره يومئذ عشر سنين ووصل الاشرف بذلك الى حلب وأركب الملك العزيز في دست السلطنة * وفي هذه السنة * لما وصل الملك الاشرف بالخلعة المذكورة الى حلب اتفق مع الملك الاشرف كبراء الدولة الحلبية على تخريب قلعة اللاذقية فارسلوا عسكرا وهدموها الى الارض

ذكر أحوال غياث الدين اخي جلال الدين ابني خوارزم شاه محمد

كان لجلال الدين منكبرني أخ يقال له غياث الدين تيز شاه وكان قد ملك غياث الدين

المذكور كرمان * فلما توجه جلال الدين منكبرني الى الهند كما تقدم ذكره في سنة سبع عشرة تغلب غياث الدين على الزبي واصفهان وهمدان وغير ذلك من عراق المعجم وهي البلاد المعروفة ببلاد الجبل نخرج على غياث الدين خاله يعيان طابسي وكان أكبر أمرائه وأقربهم اليه فاقتتل مع غياث الدين فانهزم يعيان طابسي ومن معه وأقام غياث الدين في بلاده مؤيدا منصورا

﴿ ذكر حادثة غريبة ﴾

كان أهل مملكة الكرج قد مات ملكهم ولم يبق من بيت الملك غير امرأة فلكوها وطلبوا لها رجلا يتزوجها ويقوم بالملك ويكون من أهل بيت المملكة فلم يجدوا فيهم أحدا يصلح لذلك وكان صاحب ارزن الروم مغيث الدين طغريل شاه بن قليج ارسلان السلجوقي من بيت كبير مشهور فارسل يخطب الملكة لولده ليتزوجها فامتنعوا من اجابته الا ان يتنصر فامر ولده فتنصر وسار الى الكرج وتزوج ملكتهم وكانت هذه الملكة تهوى مملوكا لها ويعلم ابن طغريل شاه بذلك وتكامن فدخل يوما الى البيت فوجد المملوك نائما معها في الفراش فلم يصبر المذكور على ذلك فانكر عليها فاخذته زوجته واعتقلته في بعض القلاع ثم أحضرت رجلين كانا قد وصفا لها بحسن الصورة فتزوجت أحدهما ثم فارقت وأحضرت انسانا من كنجة مسلما وهويته وسألته ان يتنصر لتزوج به فلم يجب الى ذلك وترددت الرسل بينهما في ذلك مدة فلم يجيبها الى التنصر

﴿ ذكر وفاة ملك الغرب ﴾

(في هذه السنة) توفي يوسف المستنصر ملك الغرب ابن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن * وقد تقدم ذكر ولايته في سنة عشر وستمائة وكان يوسف المذكور منهمكا في اللذات فدخل الوهن على الدولة بسبب ذلك ولم يخلف يوسف المذكور ولدا فاجتمع كبار الدولة وأقاموا عم أبيه لكبر سنه وهو عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ولقبوه المستضيء وكان عبد الواحد المذكور قد صار فقيرا بمرأ كش وقاسي الدهر * فلما تولى اشتغل باللذات والتتعم في المآكل والملابس من غير ان يشرب خمرًا ثم خلع عبد الواحد المذكور بعد تسعة أشهر من ولايته وقتل وملك بعده ابن أخيه عبد الله وتلقب بالعاذل وهو عبد الله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن (ثم دخلت سنة احدى وعشرين وستمائة) في هذه السنة وصل التتر الى قرب تبريز وأرسلوا الى صاحبها أذربك بن البهلوان يقولون له ان كنت في طاعتنا فارسل من عندك من الخوارزمية لينا فواقع أذربك بمن عنده من الخوارزمية وقتل بعضهم وأسر الباقين وأرسلهم الى التتر مع مقدمة عظيمة فكفوا عن

بلاد أربك وعادوا الى بلاد خراسان ﴿ وفيها ﴾ استولى غياث الدين تيز شاه أخو جلال الدين بن خوارزم شاه على غالب مملكة فارس وكان صاحب فارس يقال له الاتابك سعد بن دكلا وأقام غياث الدين بشيراز وهي كرسى مملكة فارس ولم يبق مع الاتابك سعد من فارس غير الحصون المنيعه ثم اصطلح غياث الدين مع الاتابك سعد على أن يكون لسعد بعض بلاد فارس ولغياث الدين الباقي

(ذكر عصيان المظفر غازي بن العادل على أخيه الملك الاشرف)

كان الملك الاشرف قد أتم على أخيه الملك المظفر غازي بخلاط وهي مملكة عظيمة وهي اقليم أرمينية وكان قد حصل بين الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبين أخويه الكامل والاشرف وحشة بسبب ترحيله عن حماة كما قدمنا ذكره فارسل المعظم وحسن لآخيه المظفر غازي صاحب خلاط المصيان على أخيه الملك الاشرف فاجاب الملك المظفر الى ذلك وخالف أخاه الملك الاشرف وكان قد اتفق مع المعظم والمظفر غازي صاحب اربل مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين على كجك وكان بدر الدين لولو منتصيا الى الملك الاشرف فسار مظفر الدين صاحب اربل وحصر الموصل عشرة أيام وكان نزوله على الموصل ثالث عشر جمادى الآخرة من هذه السنة ليشغل الملك الاشرف عن قصد أخيه بخلاط ثم رحل مظفر الدين عن الموصل لحصانها فلم يلتفت الملك الاشرف الى محاصرة الموصل وسار الى خلاط وحصر أخاه شهاب الدين غازي فسلمت اليه مدينة خلاط وانحصر أخوه غازي بقلعتها الى الليل فنزل من القلعة الى أخيه الملك الاشرف واعتذر اليه فقبل عذره وعفى عنه وأقره على مياقارقين وارتجع باقي البلاد منه وكان استيلاء الملك الاشرف على خلاط وأخذها من أخيه في جمادى الآخرة من هذه السنة (تم دخلت سنة اثنين وعشرين وسبعمائة)

(ذكر وصول جلال الدين من الهند الى البلاد)

قد تقدم في سنة سبع عشرة وسبعمائة ذكر هروب جلال الدين من غزنة لما قصدته جنكزخان وانه دخل بلاد الهند فلما كانت هذه السنة قدم من الهند الى كرمان ثم الى أصفهان واستولى عليها وعلى باقي عراق المعجم ثم سار الى فارس وانتزعها من أخيه غياث الدين تيز شاه بن محمد وأعادها الى صاحبها اتابك سعد بن دكلا صاحب بلاد فارس وصار اتابك سعد المذكور وغياث الدين تيز شاه أخو جلال الدين تحت حكم جلال الدين وفي طاعته ثم استولى جلال الدين على خورستان وكاتب الخليفة الامام الناصر ثم سار جلال الدين حق قارب بغداد ووصل الى يعقوبا وخاف أهل بغداد منه واستعدوا للحصار ونهبت الخوارزمية البلاد وامتلات أيديهم من الغنائم وقوى أمر جلال الدين وجميع عسكره

الحوارزمية ثم سار الى قريب أربل فصالحه صاحبها مظفر الدين ودخل في طاعته ثم سار جلال الدين الى أذربيجان وكرسى مملكته تبريز فاستولى على تبريز وهرب صاحب أذربيجان وهو مظفر الدين أوزبك بن بهلوان ابن الدكز وكان أوزبك المذكور قد قوى أمره لما قتل طغريل آخر الملوك السلجوقية ببلاد المعجم فاستقل أوزبك المذكور في المملكة وكان أوزبك المذكور لا يزال مشغولا بشرب الخمر وليس له التفات الى تدبير المملكة فلما استولى جلال الدين على تبريز هرب أوزبك الى كنجة وهي من بلاد أران قرب بردعه ومناخه لبلاد الكرج واستقل السلطان جلال الدين بملك أذربيجان وكثرت عساكره واستفحل أمره ثم جرى بين جلال الدين وبين الكرج قتال شديد انهزم فيه الكرج وتبعهم الحوارزمية يقتلونهم كيف شاؤا واتفق انه ثبت على قاضي تبريز وقوع الطلاق من أوزبك بن بهلوان بن الدكز على زوجته بنت السلطان طغريل آخر الملوك السلجوقية المقدم ذكره فتزوج جلال الدين ببنت طغريل المذكور وأرسل جيشا الى مدينة كنجة ففتحوها فهرب مظفر الدين أوزبك بن محمد بهلوان من كنجة الى قلعة هناك ثم هلك وتلاشى أمره

ذكر وفاة الملك الافضل نور الدين على ابن السلطان

صلاح الدين يوسف

(في هذه السنة) توفي الملك الافضل المذكور وليس بيده غير سميساط فقط وكان موته فجأة وعمره سبع وخمسون سنة وكان الملك الافضل فاضلا حسن السيرة وتجمعت فيه الفضائل والاخلاق الحسنة وكان مع ذلك قليل الحظ وله الاشعار الحسنة فمنها يعرض الى سوء حظه قوله
يامن يسود شـعره بخضابه لـسناه من أهل الشيبية يحصل
هافاختضب بسواد حظي مرة ولك الامان بانه لا ينصل
ولما أخذت منه دمشق كتب الى بعض أصحابه كتابا منه أما أصحابنا بدمشق فلا علمي بأحد منهم وسب ذلك

أى صديق سألت عنه ففي الذل وتحت الحمول في الوطن
وأى ضد سألت حالته سمعت مالا تحببه أذنى

(ذكر وفاة الامام الناصر)

وفي أول شوال من هذه السنة توفي الخليفة الناصر لدين الله وكانت مدة خلافته نحو سبع وأربعين سنة وعمنى في آخر عمره وكان موته بالدوسنطاريا وهو الامام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضى حسن ابن المستجد يوسف ابن المقتدى محمد ابن

المستظهر أحمد ابن المقتدى عبد الله ابن الامير ذخيرة الدين محمد ابن القائم عبد الله ابن القادر أحمد ابن الامير اسحق ابن المقتدر جعفر ابن المكتفي علي ابن المعتضد أحمد ابن الامير الموفق قيل اسمه طلحة وقيل محمد ابن المتوكل جعفر ابن المعتصم محمد ابن الرشيد هرون ابن المهدي محمد ابن المنصور عبيد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب بن هاشم وكان عمر الامام الناصر نحو سبعين سنة وكان قبيح السيرة في رعيته ظلماً لهم خرب في أيامه العراق وتفرق أهله في البلاد وكان يتشيع وكان منصرف المهمة الى رمي البندق والطيور المناسيب ويلبس سراويلات الفتوة ومنع رمي البندق الا من ينسب اليه فأجابه الناس الى ذلك الا انساناً واحداً يقال له ابن السفيت وهرب من بغداد الى الشام وقد نسب الامام الناصر انه هو الذي كاتب التتر وأطمعهم في البلاد بسبب ما كان بينه وبين خوارزم شاه محمد بن تكش من العداوة ليشتغل خوارزم شاه بهم عن قصد العراق

(ذكر خلافة ابنه الظاهر)

وهو خامس ثلاثينهم ولما توفي الامام الناصر بويع ولده الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد فاطهر العدل وازال الكوس وأخرج المحبوسين وظهر للناس وكان الناصر ومن قبله لا يظهر رون الا نادراً ولم تطل مدته في الخلافة غير تسعة أشهر (ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة) فيها سار الملك المعظم عيسى بن العادل صاحب دمشق ونازل حمص وكان قد اتفق مع جلال الدين بن خوارزم شاه ومع مظفر الدين صاحب أربل على أن يكونوا يداً واحدة وكان الملك الاشرف ببلاده الشرقية ثم رحل المعظم عن حمص الى دمشق بسبب كثرة مامات من خيله وخيل عسكره وورد عليه أخوه الملك الاشرف طلباً للصلح وقطعا للفتن فبقي مكرماً ظاهراً وهو في الباطن كالاسير معه وأقام الملك الاشرف عند أخيه المعظم الى ان انقضت هذه السنة وأما الملك الكامل فانه كان بمصر وقد تخيل من بعض عسكره فأمكنه الخروج عنها (وفي هذه السنة) فتح السلطان جلال الدين تفلين من الكرج وهي من المدن العظام (وفي هذه السنة) سار جلال الدين ونازل خلاط وهي منازلته الاولى فطال القتال بينهم وكان نائب الاشرف بخلاط الحاجب حسام الدين علي الموصلى وكان نزوله عليها ثالث عشر ذى القعدة ورحل عنها لسبع بقين من ذى الحجة من هذه السنة بسبب كثرة الثلوج

(ذكر وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله)

وفي رابع عشر رجب من هذه السنة توفي الخليفة الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله وكان متواضعا محسناً الى الرعية جداً وأبطل عدة مظالم منها انه كان بخزانة

الحليفة صنجة زائدة يقبضون بها المال ويعطون بالصنجة التي يتعامل بها الناس وكان زيادة الصنجة في كل دينار حبة نخرج توقيح الظاهر بإبطال ذلك وأوله (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) وعمل صنجة المخزن مثل صنجة المسلمين وكان مضادا لايه الناصر في كثير من أحواله منها ان مدة خلافة أبيه كانت طويلة ومدة خلافته كانت قصيرة وكان أبوه متشيعا وكان الظاهر سنيا وكان أبوه ظالماً جماعا للمال وكان الظاهر في غاية العدل وبذل الاموال للمحبوسين على الديون وللملءاء

(ذكر خلافة المستنصر)

وهو سادس ثلاثينهم ولما توفي الظاهر ولي الخلافة بعده ولده الاكبر المستنصر بالله أبو جعفر المنصور وكان للظاهر ولد آخر يقال له الخفاحي في غاية الشجاعة وبقي حيا حتى أخذت التتر بغداد وقتل مع من قتل ولما تولى المستنصر الخلافة سلك في العدل والاحسان سلك أبيه الظاهر

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) سار علاء الدين كيقباز بن كينسرو بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم الى بلاد الملك المسعود الارتكي صاحب آمد فنزل كيقباز بملطية وهي من بلاد كيقباز وأرسل عسكرا ففتحوا حصن منصور وحصن الكختا وكانا لصاحب آمد المذكور (وفيها) في خامس عشر الحجة نازل جلال الدين مدينة خلاط وهي الملك الاشرف وبهاتين هسام الدين على الحاجب وهي منازلته الثانية وجرى بينهم قتال شديد وأدركه البرد فرحل عنها في السنة المذكورة (ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة) والملك الكاويل بديار مصر وجلال الدين خوارزم شاه مالك أذربيجان واران وبعض بلاد الكرج وعراق المعجم وغيرها وهو موافق الملك المعظم على حرب أخويه الكامل والاشرف والرسول لا تنقطع بين المعظم وجلال الدين والملك الاشرف مقيم كالاسير عند أخيه الملك المعظم ولما رأى الملك الاشرف حاله مع أخيه المعظم المعظم وأنه لا خلاص له منه الا بإجابته الى ما يريد اجابه كالمكره الى ما طلبه منه وحلف له أن يعاضده ويكون معه على أخيهما الملك الكامل وأن يكون معه على صاحبي حماة وحمص فلما حلف له على ذلك أطلقه الملك المعظم فرحل الملك الاشرف في جمادى الآخرة من هذه السنة فكانت مدة مقامه مع المعظم نحو عشرة أشهر ولما استقر الملك الاشرف ببلاد رجوع عن جميع ما تقرر بينه وبين أخيه الملك المعظم وتأول في أيمانه التي حلفها انه مكره ولما تحقق الملك الكامل اعتضاد أخيه الملك المعظم بجلال الدين

خاف من ذلك وكاتب الانبرطور ملك الفرنج في أن يقدم الى عكا ليشغل سر أخيه
المعظم عما هو فيه ووعد الانبرطور بأن يمطيه القدس فسار الانبرطور الى عكا فبلغ
المعظم ذلك فكاتب أخاه الاشرف واستعطفه (وفي هذه السنة) اتزع الاتابك طغريل
الشغر وبكاسر من الملك الصالح أحمد ابن الملك الظاهر وعوضه عنها بعيتاب والراوندان
(وفيها) سار الحاجب حسام الدين على نائب الملك الاشرف بخلاط بمساكر الملك الاشرف
الى بلاد جلال الدين واستولى على خوى وسلماس وتقحوان

(ذكر وفاة الملك المعظم صاحب دمشق)

(في هذه السنة) في ذى القعدة توفي الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر ابن
أيوب بقلعة دمشق بالدوسنطاريا وعمره تسع وأربعون سنة وكانت مدة ملكه دمشق تسع
سنين وشهورا وكان شجاعا وكان عسكره في غاية التجميل وكان يجامل أخاه الملك الكامل
ويخطب له بيلاده ولا يذكر اسمه معه وكان الملك المعظم قليل التكلف جدا في غالب
الاقوات لا يركب بالسناحق السلطانية وكان يركب وعلى رأسه كلوته صفر أبلاشاش
ويتخرق الاسواق من غير أن يطرق بين يديه كما جرت عادة الملوك ولما كثر مثل
هذا منه صار الانسان اذا فعل أمرا لا يتكلف له يقال قد فعله بالمعظمي وكان عالماً
فاضلا في الفقه والنحو وكان شيخه في النحو تاج الدين زيد بن الحسن الكندي وفي
الفقه جمال الدين الحصري وكان حنفيا متعصبا لمذهبه وخالف جميع أهل بيته فانهم
كانوا شافعية ولما توفي الملك المعظم ترتب في مملكته وأعمالها بعده ولده الملك الناصر
صلاح الدين داود وقام بتدبير مملكته مملوك والده وأستاذ داره الامير عز الدين أيوب
المعظمي وكان لايبك المذكور صرخد

(ذكر وفاة ملك المغرب وأخبار الذين تملكوا بعده)

(وفي هذه السنة) خلع العادل عبد الله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن
وقد تقدم ذكر ولايته في سنة عشرين وستائة بعد خلع عبد الواحد وقتله وفي أيام العادل
عبد الله المذكور كانت الوقعة بين المسلمين والفرنج بالاندلس على طليطلة انهزمت فيها
المسلمون هزيمة قبيحة وهذه الوقعة هي التي هدت دعائم الاسلام بالاندلس ولما خلع عبد
الله العادل المذكور حبس ثم خنق ونهب المصموديون قصره بمراكش واستباحوا حرمه
ثم ملك بعده يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ويحيى
يومئذ ماخط عذاره ولما تمت بيعة يحيى وصل الخبر انه قد قام بأشبيلية ادريس ابن يعقوب
المنصور وهو أخو العادل عبد الله وتلقب ادريس بالمأمون وجميعهم كانوا يتلقبون بأمر
المؤمنين وتمعد البيعة لهم بالخلافة ولما استقر أمر ادريس المأمون المذكور في أشبيلية

نارت جماعة من أهل مراکش وانضم اليهم العرب ووثبوا على يحيى بن محمد الناصر بمراكش
 فهرب يحيى إلى الجبل ثم اتصل بعرب المقلبي فغدروا به وقتلوه وخطب المأمون ادريس
 في مراکش واستقر أمره في الخلافة بالبرين بالاندلس وبر المدوة ثم خرج على المأمون
 ادريس المذكور بشرق الاندلس المتوكل بن هود واستولى على الاندلس ففارق ادريس
 الاندلس وسار من أشبيلية وعبر البحر ووصل إلى مراکش وخرجت الاندلس حينئذ
 عن ملك بني عبد المؤمن ولما استقر المأمون ادريس في ملك مراکش تتبع الخارجين
 على من تقدمه من الخلفاء فقتلهم عن آخرهم وسفك دماء كثيرة حتى سموه لذلك حجاج
 المغرب وكان المأمون ادريس المذكور فصيحاً عالماً بالاصول والفروع ناظماً ناثراً أمر
 باسقاط اسم مهديهم ابن تومرت من الخطبة على المنابر وعمل في ذلك رسالة طويلة أفصح
 فيها بتكذيب مهديهم المذكور وضلاله ثم تار على ادريس المذكور أخوه بسبته فسار
 ادريس من مراکش إليه وحصره بسبته ثم بلغ ادريس وهو محاصر سبته ان بعض أولاد
 محمد الناصر بن يعقوب المنصور قد دخل إلى مراکش فرحل ادريس عن سبته وسار
 إلى مراکش فمات في الطريق بين سبته ومراكش ولما مات المأمون ادريس ملك بعده
 ابنه عبد الواحد ابن المأمون ادريس وتلقب المذكور بالرشيد ثم توفي الرشيد عبد الواحد
 ابن المأمون ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن غريفاً في صهرنج بستان
 له بحضرة مراکش في سنة أربعين وستمائة وكان الرشيد عبد الواحد المذكور حس
 السياسة وكان أبوه ادريس قد أبطل اسم مهديهم من الخطبة فأعاد عبد الواحد المذكور
 وقع العرب إلا أنه نحلي للذاته لما استقر أمره ولم يخطب للرشيد عبد الواحد المذكور
 بأفريقية ولا بالمغرب الاوسط ولما مات الرشيد عبد الواحد المذكور ملك بعده أخوه على
 ابن ادريس وتلقب بالمتضد أمير المؤمنين وكان أسود اللون وكان مدحوضاً في حياة
 والده وسجنه في بعض الاوقات وقدم عليه أخاه الصغير عبد الواحد المذكور واستمر
 المتضد على بن ادريس المذكور حتى قتل وهو محاصر قلعة بالقرب من تلمسان في
 صفر من سنة ست وأربعين وستمائة ثم ملك بعد المتضد الاسود المذكور أبو حفص
 عمر بن أبي ابراهيم بن يوسف في شهر ربيع الآخر من سنة ست وأربعين وستمائة
 وتلقب بالمرتضى * وفي الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وستمائة دخل
 الواثق أبو العلاء ادريس المعروف بابي دبوس مراكش وهرب المرتضى إلى ازمور من
 نواحي مراکش فقبض عليه عامله بها وبعث إلى الواثق بذلك فأمره الواثق بقتله
 فقتله في العشر الاخير من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وستين وستمائة بموضع يقال
 له كتامة بعده عن مراکش ثلاثة أيام وأقام الواثق أبو دبوس ثلاث سنين وقتل في

الحروب التي كانت بينه وبين بنى مرين ملوك تلمسان وانقرضت دولة بنى عبد المؤمن وكان قتل الواثق أبي دبوس المذكور في المحرم سنة ثمان وستين وستمائة بموضع بينه وبين مرا كس مسيرة ثلاثة أيام في جهتها الشمالية واستولى بنو مرين على ملكهم وقد حصل الاختلاف في نسب أبي دبوس فاني وجدت في بعض الكتب المؤلفة في هذا الفن ان أبا دبوس هو ابن ادريس المأمون ثم وجدت نسبه في وفيات الاعيان انه هو نفسه اسمه ادريس بن عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن على ما سنده كره ان شاء الله تعالى ﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستمائة ﴾ في هذه السنة أرسل الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن أخيه الملك الناصر داود ابن الملك المعظم صاحب دمشق حصن الشوبك فلم يعطه الملك الناصر ذلك ولا أجابه اليه فسار الملك الكامل من مصر في هذه السنة في رمضان الى الشام ونزل على تل العجول بظاهر غزة وولى على نابلس والقدس وغيرهما من بلاد ابن أخيه الملك الناصر داود المذكور صاحب دمشق حينئذ وكان محبة الملك الكامل الملك المظفر محمود بن السلطان الملك المنصور صاحب حماة وهو موعود من الملك الكامل انه ينتزع حماة من أخيه الناصر فليج أرسلان ابن الملك المنصور ويسلمها اليه * ولما قصد الملك الكامل انتزاع بلاد الملك الناصر ابن المعظم صاحب دمشق استنجد الناصر داود بعنه الملك الاشرف وأرسل اليه وهو ببلاده الشرقية فقدم الملك الاشرف الى دمشق ودخل هو والناصر داود الى قلعة دمشق را كين * قال القاضي جمال الدين بن واصل كنت اذذاك حاضرا بدمشق ورأيت الملك الاشرف را كبا مع ابن أخيه وعلى رأس الملك الاشرف شاش علم كبير ووسطه مشدود بمنديل وكان وصول الاشرف الى دمشق في العشر الاخير من رمضان من هذه السنة ووصل الى خدمته بدمشق الملك المجاهد شيركوه فانه كان من المنتمين الى الملك الاشرف ثم وقع الاتفاق ان يسير الناصر داود وشيركوه مع الملك الاشرف الى نابلس فيقيم الناصر داود بنابلس ويتوجه الملك الاشرف الى أخيه الكامل الى غزته شافعا في ابن أخيهما الناصر داود ففعلوا ذلك ولما وصل الملك الاشرف الى أخيه الكامل وقع اتفاقهما في الباطن على أخذ دمشق من ابن أخيهما الناصر داود وأمويضه عنها بجران والرها والرقه من بلاد الملك الاشرف وان تستقر دمشق للملك الاشرف ويكون له الى عقبه أفيق وما عدا ذلك من بلاد دمشق يكون للملك الكامل وان ينتزع حماة من الملك الناصر قليج أرسلان ويعطى الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور وان ينتزع سلمية من المظفر محمود وكانت اقطاعه لما كان مقيا بمصر عند الملك الكامل ويعطى لشيركوه صاحب حمص وخرجت السنة والاشرف عند

أخيه الكامل بظاهر غزة وقد اتفقا على ذلك

ذكر غير ذلك

وفي هذه السنة عاود التتر الى قصد البلاد التي بيد جلال الدين بن خوارزم شاه وجرت بينه وبينهم حروب كثيرة كان في أكثرها الظفر للتتر (وفيها) قدم الإمبراطور الى عكا بمجموعه وكان الملك الكامل قد أرسل اليه نحر الدين ابن الشيخ يستدعيه الى قصد الشام بسبب أخيه المعظم فوصل الإمبراطور وقدمت المعظم فنشب به الملك الكامل ولما وصل الإمبراطور استولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب فعمر الفرنج سورها واستولوا عليها والإمبراطور معناه ملك الامراء بالفرنجية وانما اسم الإمبراطور المذكور فرديك وكان صاحب جزيرة صقلية ومن البر الطويل بلاد انبولى والانبردية قال القاضي جمال الدين بن واصل لقد رأيت تلك البلاد لما توجهت رسولا من الملك الظاهر بيبرس الصالحى الى الإمبراطور ملك تلك البلاد قال وكان الإمبراطور من بين ملوك الفرنج فاضلا محبا للحكمة والمنطق والطب مائلا الى المسلمين لان منشأه بجزيرة صقلية وغالب أهلها مسلمون وترددت الرسل بين الملك الكامل وبين الإمبراطور الى ان خرجت هذه السنة (وفي هذه السنة) بعد فراغ جلال الدين من التتر قصد جلال الدين المذكور بلاد حلاط ونهب القرى وقتل وخرب البلاد وفعل الافعال القبيحة (وفيها) خاف غياث الدين تيزشاه من أخيه جلال الدين فقارقه واستجار بالاسماعيلية (ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة) ولما جرى بين السلطان الملك الكامل وبين أخيه الملك الاشرف الاتفاق على نزع دمشق من الناصر داود وبلغ الناصر داود ذلك وهو بنايلس فرحل الى دمشق وكان قد لحقه بالفور عمه الملك الاشرف وعرفه بأمر به عمه الملك الكامل وانه لا يمكنه الخروج عن مرسومه فلم يلتفت الناصر داود الى ذلك وسار الى دمشق وسار الاشرف في أثره وحصره بدمشق والملك الكامل مشتغل بمراسلة الإمبراطور * ولما طال الامر ولم يجد الملك الكامل بدا من المهادنة أجاب الإمبراطور الى تسليم القدس اليه على ان تستمر أسواره خرابا ولا يعمرها الفرنج ولا يتعرضوا الى قبة الصخرة ولا الى الجامع الاقصى ويكون الحكم في الرساتيق الى والى المسلمين ويكون لهم من القرايا ما هو على الطريق من عكا الى القدس فقط ووقع الاتفاق على ذلك وتحالفا عليه وتسلم الإمبراطور القدس في هذه السنة في ربيع الآخر على هذه القاعدة التي ذكرناها وكان ذلك والملك الناصر محصور بدمشق وعمه الاشرف محاصره بأمر الملك الكامل فأخذ الناصر داود في التشنيع على عمه بذلك وكان بدمشق الشيخ شمس الدين يوسف سبط

أبي الفرج ابن الجوزي وكان واعظا وله قبول عند الناس فأمره الناصر داود بعمل مجلس وعظ يذكر فيه فضائل بيت المقدس وما حل بالمسلمين من تسليمه الى الفرنج ففعل ذلك وكان مجلسا عظيما * ومن جملة ما أنشد قصيدة نائية ضمنها بيت دعبل الخزاعي وهو
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر المرصات
فارتفع بكاء الناس وضجيجهم

ذكر انتزاع دمشق

ولما عقد الملك الكامل الهدنة مع الإمبراطور وخلا سره من جهة الفرنج سار الى دمشق ووصل اليها في جمادى الأولى من هذه السنة واشتد الحصار على دمشق ووصل الى الملك الكامل رسول الملك العزيز صاحب حلب وخطب بنت الملك الكامل فزوجه بنته فاطمة خاتون التي هي من الست السوداء أم ولده أبي بكر العادل بن الكامل ثم استولى الملك الكامل على دمشق وعوض الناصر داود عنها بالكرك والبلقاء وانصت والاعوار والشوبك وأخذ الملك الكامل لنفسه البلاد الشرقية التي كانت عينت للناصر وهي حران والرها وغيرهما التي كانت بيد الملك الأشرف ثم نزل الناصر داود عن الشوبك وسأل عمه الكامل في قبولها فقبلها وتسلم دمشق الملك الأشرف وتسلم الكامل من الأشرف البلاد الشرقية المذكورة

ذكر وفاة الملك المسعود صاحب اليمن ابن الملك

الكامل ابن الملك العادل بن أيوب

* في هذه السنة * توفي الملك المسعود يوسف الملقب اطسز المعروف بأقسيس وكان قد مرض باليمن فكره المقام بها وعزم على مفارقة اليمن وسار الى مكة وهي له كما تقدم ذكره فتوفي بمكة ودفن بالمعلى وعمره ست وعشرون سنة وكانت مدة ملكه اليمن أربع عشرة سنة وكان الملك المسعود لما سار من اليمن قد استخلف على اليمن على بن رسول وسند ذكر بقية أخباره ان شاء الله تعالى ووصل الخبر بوفاة الملك المسعود الى أبيه الملك الكامل وهو على حصار دمشق فجلس للعتاء وخلف الملك المسعود ولدا صغيرا اسمه أيضا يوسف وبقي يوسف المذكور حتى مات في سلطنة عمه الملك الصالح أيوب صاحب مصر وخلف يوسف ولدا صغيرا اسمه موسى ولقب الملك الأشرف وهو الذي أقامه الترك في مملكة مصر بعد قتل الملك العظيم ابن الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل على ما سنده ذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر القبض على الحاجب علي نائب الملك الاشرف بخلاط وقتله)

(وفي هذه السنة) أرسل الملك الاشرف مملوكه عز الدين أيبك الاشرفي وهو أكبر أمير عنده الى خلاط فقبض على الحاجب علي الموصلى وحبسه ثم قتله وكان حسام الدين علي الحاجب المذكور من أهل الموصل وخدم الملك الاشرف فجعله نائبه بخلاط فاحسن الى الرعية وحفظ البلد واستولى على عدة بلاد من أذربيجان مثل تقجوان وغيرها على ما تقدم ذكره فقبض عليه الملك الاشرف وقتله قيل ان ذلك لذنوب منه لم يطلع عليه الناس واطلع عليه الملك الكامل والملك الاشرف وهذا الحاجب حسام الدين المذكور كان كثير الخير والمعروف بنى الخان الذي بين حران ونصيبين وبنى الخان الذي بين حمص ودمشق وهو الخان المعروف بخان بريح العطش وهرب مملوك لحسام الدين الحاجب المذكور لما قتل استاذة ولحق بجلال الدين * فلما ملك جلال الدين خلاط على ما سئذ ذكره قبض على ايبك المذكور وسلمه الى المذكور فقتله وأخذ بثراستاده

ذكر استيلاء الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد على حماة

ولما سلم الملك الكامل دمشق الى أخيه الملك الاشرف سار من دمشق ونزل على مجمع المروج ثم نزل سلمية وأرسل عسكرا نازلوا حماة وبها صاحبها الملك الناصر قليج أرسلان وكان فيه جبن ولو عصى بحماة وطلب عنها عوضاً كثيراً لاجابه الملك الكامل اليه ولكنه خاف وكان في العسكر الذين نزلوه شيركوه صاحب حمص فأرسل الناصر صاحب حماة يقول لشيركوه اني أريد أن أخرج اليك بالليل لتحضرنى عند السلطان الملك الكامل وخرج الملك الناصر قليج أرسلان ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب المذكور الى شيركوه في العشر الاخير من رمضان هذه السنة وأخذه شيركوه ومضى به الى الملك الكامل وهو نازل على سلمية فحين رأى الملك الكامل فليج أرسلان المذكور شتمه وأمر باعتقاله وان يتقدم الى نوابه بحماة بتسليمها الى الملك الكامل فأرسل الناصر قليج أرسلان علامته الى نوابه بحماة أن يسلموها الى عسكر السلطان الملك الكامل فامتنع من ذلك الطواشيان بشر ومرشد المنصوريان وكان بقلعة حماة أخ للملك الناصر يلقب الملك المنز ابن الملك المنصور صاحب حماة فملكوه حماة وقالوا للملك الكامل لانسلم حماة لغير أحد من أولاد تقي الدين فأرسل الملك الكامل يقول للملك المظفر محمود ابن الملك المنصور صاحب حماة اتفق مع غلمان أيبك وتسلم حماة وكان الملك المظفر نازلاً على حماة من جملة العسكر الكاملى فأرسل الملك المظفر الأحكام بحماة فحافوا له وواعدوا الملك المظفر أن يحضر بجماعته خاصة وقت السحر الى باب النصر ليفتحوه له فحضر الملك المظفر - سحر الليلة التي عينوها ففتحوا له باب النصر

ودخل الملك المظفر ومضى الى دار الوزير المعروفة بدار الاكرام داخل باب المغار
وهي الآن مدرسة تعرف بالخانوية ووقفها عمه مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر المذكور
وحضر أهل حماة وهنؤا الملك المظفر بملك حماة وكان ذلك في العشر الاخير من
رمضان من هذه السنة وكان مدة ملك الملك الناصر قاييچ أرسلان حماة تسع سنين
الآنحو شهرين وأقام الملك المظفر في دار الاكرام يومين وصعد في اليوم الثالث الى
القلعة وتسلمها وجاء عيد الفطر من هذه السنة والملك المظفر ملك حماة وعمره يومئذ
نحو سبع وعشرين سنة لان مولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة وكان أخوه الملك
الناصر قلييچ أرسلان أصغر منه بسنة * ولما ملك الملك المظفر حماة فوض تدبير
أمورها صغيرها وكبيرها الى الامير سيف الدين على الهدباني وكان سيف الدين على
ابن أبي على المذكور قيخدم الملك المظفر بعد ابن عمه حسام الدين ابن أبي على الذي
كان نائب الملك المظفر بسلمية لما سلمت اليه وهو بمصر عند الملك الكامل ثم حصل بين
الملك المظفر وبين حسام الدين ابن أبي على وحشة ففارقه حسام الدين المذكور
واتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل وحظي عنده وصار استاذ
داره وخدم ابن عمه سيف الدين على المذكور الملك المظفر وكان يقول له اشتهي
أراك صاحب حماة واكون بعين واحدة فاصيب عين سيف الدين على على حصار
حماة لما نازلها عسكر الملك الكامل وبقي بفرد عين فحظي عند الملك المظفر لذلك
ولكفاية سيف الدين المذكور وحسن تدبيره * ولما استقر الملك المظفر في ملك
حماة انتزع الملك الكامل سلمية منه وسلمها الى شيركوه صاحب حمص على ما كان
وقع عليه الاتفاق من قبل ذلك ثم ان الملك الكامل رسم للملك المظفر أن يعطي أخاه
الملك الناصر قلييچ أرسلان بارين كمالها فامتثل ذلك وسلم قلعة بارين الى أخيه الملك
الناصر ولم يبق بيد الملك المظفر غير حماة والمعرة وكان بحماة تقدير أربعمائة ألف
درهم للملك الناصر وكان قد رسم الملك الكامل للملك المظفر أن يعطي المال
المذكور أخاه الملك الناصر فاطل المظفر في ذلك ولم يحصل للملك الناصر من ذلك
شيء ولما استقر الملك المظفر بحماة مدحه الشيخ شرف الدين عبد العزيز محمد بن عبد

الحسن الانصاري الدمشقي بقصيدة من جلتها

تأهى اليك الملك واشتد كاهله	وحل بك الراجي فخطت رواحله
ترحلت عن مصر فاحمل ربها	ولما حلت الشام روض ما حمله
وعزت حماة في حى أنت غاية	بصولته تسمى كليب ووائله
وقد طال ما ظلت بتدبير اهوج	ينجيب مرجيه ويجرم سائله

ولما استقر الملك المظفر في ملك حمّاء رحل الملك الكامل عن سلمية الى البلاد الشرقية التي أخذها من أخيه الملك الاشرف عوضا عن دمشق فنظر في مصالحها ثم سافر الملك المظفر من حمّاء ولحق الملك الكامل وهو بالشرق وعقد له الملك الكامل العقد هناك على ابنته غازية خاتون بنت الملك الكامل وهي شقيقة الملك المسمود صاحب اليمن وهي والدة الملك المنصور صاحب حمّاء وأخيه الملك الافضل نور الدين علي ابي الملك المظفر محمود ثم عاد الملك المظفر الى حمّاء وقد قضيت أمانيه بملك حمّاء ووصلته بخاله الملك الكامل وكان يتمنى ذلك لما كان بالديار المصرية وكان يصحبه وهو بمصر رجلا من أهلها يقال له الزكي القومصى فاتفق وهما بمصر وقد جرى ذكر ملك الملك المظفر حمّاء وزواجه بنت خاله الملك الكامل فانشده الزكي القومصى

مقى أراك كما أهوى وأنت ومن تهوى كأنكما روحان في بدن

هناك أنشد والاقدار مصغية هتيت بالملك والاحباب والوطن

فقال له الملك المظفر ان صار ذلك يازكي أعطيتك الف دينار مصرية * فلما ملك الملك المظفر حمّاء أعطى الزكي ما وعده به * ولما فرغ الملك الكامل من تقرير أمر البلاد الشرقية وهي حران وما معها من البلاد مثل رأس عين والرها وغير ذلك عاد الى الديار المصرية (وفي هذه السنة) أرسل الملك الاشرف أخاه صاحب بصرى الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل بمسك فنازل بعلبك وبها صاحبها الملك الامجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب واستمر الحصار عليه (وفيها) سار جلال الدين ملك الخوارزمية وحاصر خلاط وبها أيك نائب الملك الاشرف الى ان خرجت هذه السنة (ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة)

ذكر عمارة شميميش

في هذه السنة شرع صاحب حصن شيركوه في عمارة قلعة شميميش وكان لما سلم اليه الملك الكامل سلمية قد استأذنه في عمارة تل شميميش قلعة فاذن له بذلك ولما أراد شيركوه عمارة أراد الملك المظفر صاحب حمّاء منعه من ذلك ثم لم يمكنه ذلك لكونه بامر الملك الكامل

ذكر استيلاء الملك الاشرف على بعلبك

(وفي هذه السنة) سلم الملك الامجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب بعلبك الى الملك الاشرف لطول الحصار عليه وعوضه الملك الاشرف عنها الزيداني وقصير دمشق الذي هو شمالها ومواضع آخر وتوجه الملك الامجد وأقام بداره التي داخل باب النصر بدمشق المعروفة بدار السعادة وهي التي ينزلها النواب

ذكر مقتل الملك الامجد

لما أخذت منه بعلبك ونزل بداره المذكورة كان قد حبس بعض مماليكه في مرقد عنده بالدار وجلس الملك الامجد قدام باب المرقد يلعب بالنرد ففتح المملوك المذكور الباب ومعه سيف وضرب به استاذ الملك الامجد فقتله ثم طلع المملوك الى سطح الدار وألقى نفسه الى وسطها فمات ودفن الملك الامجد بمدرسة والده التي على الشرف وكانت مدة ملكه بعلبك تسعا وأربعين سنة لان عم أبيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين ملكه بعلبك سنة ثمان وسبعين وخمسمائة لما مات أبوه فرخشاه واتزعت منه هذه السنة فذلك خمسون سنة الا سنة وكان الملك الامجد أشعر بنى أيوب وشعره مشهور

ذكر ملك جلال الدين خلاط

﴿ في هذه السنة ﴾ لما طال حصار جلال الدين على خلاط واشتد مضايقتها هجما بالسيف وفعل في أهلها ما يفعلونه التتر من القتل والاسترقاق والنهب ثم قبض على نائب الملك الاشرف بها وهو مملوكه أيك وسلمه الى مملوك حسام الدين الحاجب على الموصل فقتله وأخذ بثار أستاذه

ذكر كسرة جلال الدين بن الملك الاشرف

ولما جرى من جلال الدين ماجرى من أخذ خلاط اتفق صاحب الروم كيقباز بن كيخسرو بن قليج أرسلان والملك الاشرف ابن الملك العادل فجمع الملك الاشرف عساكر الشام وسار الى سيواس واجتمع فيها بملك بلاد الروم علاء الدين كيقباز المذكور وسار الى جهة خلاط والتقى الفريقان في التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة فولى الحوارزميون وجلال الدين منهزمين وهلك غالب عسكره قتلا وترديا من رؤس جبال كانت في طريقهم وضعف جلال الدين بعدها وقويت عليه التتر وارتجع الملك الاشرف خلاط وهي خراب يباب ثم وقعت المراسلة بين الملك الاشرف وكيقباز وجلال الدين وتصالخوا وتحالفوا على ما بأيديهم وان لا يتعرض أحد منهم الى ما يئد الآخر (وفي هذه السنة) استولى الملك المظفر غازي ابن الملك العادل على ارزن من ديار بكر وهي غير ارزن الروم وكان صاحب ارزن ديار بكر يقال له حسام الدين من بيت قديم في الملك فاخذها منه الملك المظفر غازي المذكور وعوضه عن ارزن بمدينة حاني وهذا حسام الدين من بيت كبير يقال لهم بيت الاحدب وارزن لم تنزل بأيديهم من أيام السلطان ملك شاه السلجوقي الى الآن فسبحان من لا يزول ملكه (وفيها) جمعت الفرنج من حصن الاكراد وقصدوا حماة فخرج اليهم الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور صاحب

حماة والتقاها عند قرية بين حماة وبارين يقال لها افيون وكسرهم كسرة عظيمة ودخل الملك المظفر محمود حماة مؤيدا منصورا (وفيها) ولد الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب (ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة) والسلطان الملك الكامل بديار مصر وأخوه الملك الاشرف بدمشق في ملافه وقد تخلى عن البلاد الشرقية فان حران وما معها صارت لآخيه الملك الكامل وخلاط صارت خرابا يابا ولم يكن للملك الاشرف ابن ذكر فاقنتع بدمشق واشتغل باللهو والملاذ (وفيها) سار الملك الاشرف من دمشق الى عند أخيه الملك الكامل وأقام عنده بالديار المصرية متنزها

ذكر قصة التتر في بلاد الاسلام

(وفي هذه السنة) عاودت التتر قصد بلاد الاسلام وسفكوا وخربوا مثل ما تقدم ذكره وكان قد ضعف جلال الدين لقبح سيرته وسوء تديره ولم يترك له صديقا من ملوك الاطراف وعادى الجميع وانضاف الى ذلك ان عسكره اختلف عليه لما حصل لجلال الدين من فساد عقله وسببه انه كان له مملوك يحبه محبة شديدة واتفق موت ذلك المملوك فحزن عليه حزنا شديدا لم يسمع بمنله وأمر أهل توريذ بالخروج والنواح والاطم عليه ثم انه لم يدفنه وبقي يستصحب ذلك المملوك الميت معه حيث سار وهو يلطم ويبيكي وكان اذا قدم اليه الطعام يرسل منه الى المملوك الميت ولا يتجاسر أحد ان يتفوه انه ميت فكانوا يحملون اليه الطعام ويقولون انه يقبل الارض وهو يقول انى الآن أصلح مما كنت فاتف أمراؤه من ذلك وخرج بعضهم عن طاعته فضعف أمر جلال الدين لذلك ولكسرتة من الملك الاشرف فتمكنت التتر من البلاد واستولوا على مراغة وهو استيلاؤهم الثانى

ذكر قتل جلال الدين

ولما تمكن التتر من بلاد اذربيجان سار جلال الدين يريد ديار بكر ليسير الى الخليفة ويلتجى اليه ويعتضد بملوك الاطراف على التتر ويخوفهم عاقبة أمرهم فنزل بالقرب من آمد فلم يشعر الا والتتر قد كبسوه ليلا وخالطوا مخيمه فهرب جلال الدين وقتل على ماشرحه ان شاء الله تعالى * ولما قتل تمكنت التتر من البلاد وساقوا حتى وصلوا في هذه السنة الى الفرات واضطرب الشام بسبب وصولهم الى الفرات ثم شنوا الغارات في ديار بكر والجزيرة وفعلوا من القتل والتخريب مثل ما تقدم (ومن تاريخ ظهور التتر) تصنيف كاتب انشاء جلال الدين النسوى المنشى المقدم الذكر في سنة ست عشرة وستمائة ما اخترناه وأثبتناه من أخبار خوارزم شاه محمد وابنه جلال الدين لملازمة النسوى المذكور جلال الدين في جميع سفراته وغزواته الى ان كبس التتر جلال الدين

والمنشى المذكور كان معه فلذلك كان أخير بأحوال جلال الدين ووالده من غيره
قال محمد المنشى المذكور ان خوارزم شاه محمد بن تكش عظم شأنه واتسع ملكه
وسكان له أربعة أولاد قسم البلاد بينهم أكبرهم جلال الدين منكبرنى وفوض
اليه ملك غزنة وباميان والقور وبست وتكاباد وزمير داور وما يليها من الهند وفوض
خوارزم وخراسان ومازندران الى ولده قطب الدين ازلاغ شاه وجعله ولى
عهده ثم في آخر وقت عزله عن ولاية العهد وفوضها الى جلال الدين منكبرنى
وفوض كرمان وكيش ومكران الى ولده غياث الدين تيز شاه * وقد تقدمت أخباره
وفوض العراق الى ولده ركن الدين غورشاى مجيى وكان أحسن أولاده خلقاً
وخلقاً وقتل المذكور التتر بعد موت أبيه وضرب لكل واحد منهم النوب الخمس في أوقات
الصلوات على عادة الملوك السلجوقية وانفرد أبوهم خوارزم شاه محمد بنوابة ذى القرنين
وانها تضرب وقتى طلوع الشمس وغروبها وكانت دبابه سماعاً وعشرين دبدبة من الذهب
قدرصمت بأنواع الجواهر وكذا باقى الآلات النوبية وجعل سبعة وعشرين ملكاً يضربونها
في أول يوم قرعت وكانوا من أكابر الملوك أولاد السلاطين منهم طغريل بن أرسلان
السلجوقى وأولاد غياث الدين صاحب القور والملك علاء الدين صاحب باميان والملك تاج
الدين صاحب بلخ وولده الملك الاعظم صاحب ترمذ والملك سنجر صاحب بخارى وأشباهم
وكانت أم خوارزم شاه محمد ترکان خاتون من قبيلة بياووت وهى فرع من فروع بمسك
وكانت بنت ملك من ملوكهم تزوج بها تكش بن أرسلان بن اطسز بن محمد بن أنوشتكين
غرشه فلما صار الملك الى ولده محمد بن تكش قدم الى والدته ترکان خاتون قبائل يمىسك
من التتر فمظم شأن ابنا السلطان محمد بهم وتحكمت أيضاً بسببهم ترکان خاتون فى الملك
فلم يملك ابنا اقلية الاوأفرد لخاصها منه ناحية جليلة وكانت ذات مهابة ورأى وكانت تتصف
للمظلوم من الظالم وكانت جسورة على القتل وعظم شأنها بحيث اذا ورد توقيعان عنها وعن
السلطان ابنا تنظر الى تاريخهما فيعمل بالآخر منهما وكان طغر توقيعها عصمة الدنيا والدين
آلغ ترکان ملكة نساء العالمين وعلامتها اعتصمت بالله وحده وكانت تكتبها بقلم غليظ.
وتجود الكتابة قال المؤلف المذكور ثم ان خوارزم شاه محمد لما هرب من التتر بما وراء النهر
وعبر جيحون ثم سار الى خراسان والتتر تتبعه ثم هرب من خراسان ووصل الى عراق
العجم ونزل عند بسطام أحضر عشرة صناديق ثم قال انها كلها جواهر لا تعلم قيمتها ثم
أشار الى صندوقين منها وقال ان فيهما من الجواهر ما يساوى خراج الارض بجملةا ثم أمر
بحملها الى قلعة أزدغن وهى من أحصن قلاع الارض وأخذ خط النائب بها بوصول
الصناديق المذكورة محتومة فلما استولى جنكزخان على تلك البلاد حملت اليه الصناديق

المد كورة بمختومها ثم ان التتر أدركوا السلطان محمد المذكور فهرب وركب في المركب ولحقه التتر ورموه بالنشاب ونجا السلطان منهم وقد حصل له مرض ذات الجنب قال ووصل الى جزيرة في البحر وأقام بها فريدا طريدا لا يملك طارفا ولا تليدا والمرض يزداد وكان في أهل مازندران اناس يتقربون اليه بالما كول وما يشتهي فقال في بعض الايام انى اشهى يكون عندى فرس يرعى حول خيمتى وقد ضربت له خيمة صغيرة فاهدى اليه فرس أصفر وكان للسلطان محمد المذكور ثلاثون ألف جشار من الخيل وكان اذا أهدى اليه أحد شيئا وهو على تلك الحالة في الجزيرة من ما كول وغيره يطلق لذلك الشخص شيئا ولم يكن عنده من يكتب التواقيع فيتولى ذلك الرجل كتابة توقيعه بنفسه وكان يعطى مثل السكين والمنديل علامة باطلاق البلاد والاموال فلما تولى ابنه جلال الدين أمضى جميع ما أطلقه والده بالتواقيع والعلام ثم أدركت السلطان محمد المنية وهو بالجزيرة على تلك الحالة ففسله شمس الدين محمود بن بلاغ الجاويش ومقرب الدين مقدم الفراشين ولم يكن عنده ما يكفن به فكفن بقميصه ودفن بالجزيرة في سنة سبع عشرة وثمانية بعد ان كان باه مزدحم ملوك الارض وعظماؤها يشددون بجنابه ويتفاخرون بلتم ترابه ورقى الى درجة الملوكة جماعة من مماليكه وحاشيته فصار طشتداره وركبداره وسلحداره وجنداره وغيرهم من أرباب الوظائف كلهم ملوكا وكان في أعلامهم علامات سود يعرفون بها فعلاصة الدوادار الدواة والسلحدار القوس وعلامة الطشتدار المسينة والجمدار النفج وعلامة أمير اخور التعل وعلامة الجاويشية قبة ذهب وكان يمد السماط بين يديه ويأكل الناس ويرفع من الطعام الذى في صدر السماط الى بين يدي الا كابر اذا قعدوا على السماط للاكل وكانت الزبادى كلها ذهبية وفضية وكان السلطان محمد المذكور يختص بأمور لا يشاركه فيها أحد منها المجتر منشورا على رأسه اذا ركب ومنها اللكح وهى أنبوبة تتخذ من الذهب الاحمر بين أذنى مركوب السلطان يخرج منها المعرفة وتشد الى طرف اللجام ومنها الاعلام السود والسروج السود والنفج السود محمولة على اكتاف الجمدارية ولا تحمل لغيره على الكتف ومنها ان جنائبه كانت محرق قدامه وجنائب غيره من الملوك كانت تجر وراءهم ومنها ان اذنان خيله تلف من أوساطها مقدار شبرين ومنها الجلوس بين يديه على الركبتين لمن يريد مخاطبته قال المؤلف المذكور ثم سار جلال الدين بعد موت أبيه السلطان محمد من الجزيرة الى خوارزم ثم هرب من التتر ولحق بغزنة وجرى بينه وبين التتر من القتال فهرب جلال الدين من غزنة الى الهند فلحقه جنكزخان على ماء السند وتصافقا صبيحة يوم الاربعاء ثمان خلون من شوال سنة ثمان عشرة وثمانية وكانت الكرة أولا على جنكزخان ثم عادت على جلال الدين وحال بينهما الليل وولى جلال الدين منهزما وأسر ولد جلال

الدين وهو ابن سبع أوثمان سنين وقتل بين يدي جنكزخان صبوا ولما عاد جلال الدين الى حافة ماء السند كسير رأي والدته وأم ولده وجماعة من حرمه يصحن بالله عليك اقتلنا أو خلصنا من الاسر فأمر بهن ففرقن وهذه من عجائب البلايا ونوادير المصائب والرزايا ثم اقتحم جلال الدين وعسكره ذلك النهر العظيم فتجا منهم الى ذلك البر تقدير أربعة آلاف رجل حفاة عراة ورمي الموج جلال الدين مع ثلاثة من خواصه الى موضع بعيد وفقده أصحابه ثلاثة أيام وبقي أصحابه لفقده حائرين وفي تيه الفكر سائرين الى أن اتصل بهم جلال الدين فاعتدوا بمقدمه عيدا وظنوا انهم أنشوا خلقا جديدا ثم جرى بين جلال الدين وبين أهل تلك البلاد وقائع اتصرت فيها جلال الدين ووصل الى لهاوور من الهند ولما عزم جلال الدين على العود الى جهة العراق استتاب بهلوان أزبك على ما كان يملكه من بلاد الهند واستتاب معه حسن قراق ولقبه وقاملك وفي سنة سبع وعشرين وستمائة طرد وقاملك بهلوان أزبك واستولى وقاملك على ما كان يليه بهلوان من بلاد الهند ثم ان جلال الدين عاد من الهند ووصل الى كرمان في سنة احدى وعشرين وستمائة وقاسى هو وعسكره في البراري القاطعة بين كرمان والهند شدائد ووصل معه أربعة آلاف رجل بعضهم ركاب ابقار وبعضهم ركاب حمير ثم سار جلال الدين الى خورستان واستولى عليها ثم استولى على أذربيجان ثم استولى على كنجة وسائر بلاد أراكان ثم ان جلال الدين نقل أباه من الجزيرة الى قلعة أزدغن ودقنه بها ولما استولى التتر على القلعة المذكورة نبشوه وأحرقوه وهذا كان فعلهم في كل ملك عرفوا قبره فانهم نبشوا محودين سيكتكين من غزنة وأحرقوا عظامه ثم ذكر ما تقدمت الاشارة اليه من استيلاء جلال الدين على خلاط وغير ذلك ثم ذكر نزوله على جسر قريب آمد وارساله يستنجد الملك الاشرف ابن الملك العادل فلم ينجده وعزم جلال الدين على المسير الى أصفهان ثم اتقى عزمه عنه وبات بمنزله وشرب تلك ابيلة فسكر سكرًا فخاره دوار الرأس وتقطع الانقاس وأحاط التتر به وبمسكره مصبحين

فساهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب
ومن في كفه منهم قناة كمن في كفه منهم خضاب

وأحاطت اطلاب التتر بحركة جلال الدين وهونائم سكران فحمل بعض عسكره وهو ارخان وكشف التتر عن الحركة ودخل بعض الخواص وأخذ بيد جلال الدين وأخرجه وعليه طاقية بيضاء فاركه الفرس وساق ارخان مع جلال الدين وتبعه التتر فقال جلال الدين لارخان انفرد عني بحيث تشتغل التتر بتبع سوادك وكان ذلك خطأ منه فان ارخان تبعه جماعة من المسكر وصاروا تقدير أربعة آلاف فارس وقصد أصفهان واستولى عليها مدة ولما

انفرد جلال الدين عن ارخان ساق الى باسورة آمد فلم يمكن من الدخول الى آمد فسار الى قرية من قرى ميا فارقين طالبا شهاب الدين غازي ابن الملك العادل صاحب ميافارقين ثم لحقه التتر في تلك القرية فهرب جلال الدين الى جبل هناك وبه اكراد يتخطفون الناس فأخذوه وشلحوه وأرادوا قتله فقال جلال الدين لاحدهم اني أنا السلطان فاستبقني أجعلك ملكا فأخذه الكردي وأتى به الى امرأته وجعله عندها ومضى الكردي الى الجبل لاحضار ماله هناك فحضر شيخ كرجي ومعه حربة وقال للمرأة لم لا تقتلون هذا الخوارزمي فقالت المرأة لا سبيل الى ذلك فقد أمنه زوجي فقال الكردي انه السلطان وقد قتل لي أخا بخلاط خيرا منه وضربه بالحربة فقتله وكان جلال الدين أسيرا قصيرا تركي السارة والعبارة وكان يتكلم بالفارسية أيضا ويكتب الخليفة على مبدأ الامر على ما كان يكتبه به أبو خوارزم شاه محمد فكان يكتب خادمه المطواع منكبرني ثم بعد أخذ خلاط كاتبه بعبدته وكان يكتب الى ملك الروم وملوك مصر والشام اسمه واسم أبيه ولم يرض أن يكتب لاحد منهم خادمه أو أخوه أو غير ذلك وكانت علامته على تواقيعه النصر من الله وحده وكان اذا كاتب صاحب الموصل أو اشباهه يكتب له هذه العلامة تعظيما عن ذكر اسمه وكان يكتب العلامة بقلم غليظ وكان جلال الدين يخاطب بخزاوند عالم أي صاحب العالم وكان مقتله في منتصف شوال من هذه السنة أعنى سنة ثمان وعشرين وستمائة وهذا ما نقلناه من تاريخ محمد المنتقى وهو ممن كان في خدمة جلال الدين الى ان قتل وكان كاتب الانشاء الذي له وكان محظيا متقدما عنده

ذكر غير ذلك

(وفي هذه السنة) انتهى التاريخ الكامل تأليف الشيخ عز الدين علي المعروف بابن الاثير الجزري المنقول غالب هذا المختصر منه فانه ألفه من هبوط آدم الى سنة ثمان وعشرين وستمائة وتوفي عز الدين ابن الاثير المذكور في سنة ثلاثين وستمائة على ما سئذ كره ان شاء الله تعالى بعد آخر تاريخه بسنتين (وفيها) في ذي القعدة توفي بالقاهرة أبو الحسن يحيى بن عبد المعطى بن عبد النور الزواوى النحوى الحنفى كان أحد أئمة عصره في النحو واللغة وسكن دمشق زمانا طويلا وصنف تصانيف مفيدة منها منظومته الالفية المشهورة وكان مولده سنة أربع وستين وخمسمائة والزواوى منسوب الى زواوة وهي قبيلة كبيرة بظاهر بجاية من أعمال أفريقية (ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة) والسلطانان الكامل والاشرف بالديار المصرية والملك المظفر بحماة مالكا ومعهما المعرة وأخوه الملك الناصر قليج أرسلان بيكرين مالكا والعزيز محمد بن الظاهر غازي قد استقل بملك حلب والتتر قد استولوا على بلاد المعجم كلها والخليفة المستنصر بالعراق ثم ارتحل في هذه السنة

الملك الكامل وأخوه الملك الأشرف من ديار مصر وسارا الى البلاد الشرقية فسار الملك الكامل الى الشوبك واحتفل له الملك الناصر داود ابن المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن أيوب احتفالا عظيما بالضيافات والاقامات والتقدم وحصل بينهما الاتحاد التام وكان نزول الملك الكامل باللاجون قرب الكرك وهي منزلة الحجاج في العشر الاخير من شعبان هذه السنة ووصل اليه باللاجون صاحب حماة الملك المظفر محمود ملتقيا وسافر الناصر داود مع الملك الكامل بمسكوه الى دمشق واستصحب الملك الكامل معه ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب وجعل نائبه بمصر ولده وولي عهده الملك العادل سيف الدين ابا بكر ابن الملك الكامل ابن الملك العادل ابي بكر بن أيوب ثم سار الملك الكامل ونزل سلمية واجتمع معه ملوك أهل بيته في جمع عظيم ثم سار بهم الى آمد وحصرها وتسلمها من صاحبها الملك المسعود ابن الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق ومحمد بن قرا ارسلان المذكور هو الذي ملكه السلطان صلاح الدين آمد بعد انتزاعها من ابن نيسان وكان سبب انتزاع الملك الكامل آمد من الملك المسعود المذكور لسوء سيرة الملك المسعود وتعرضه لحريم الناس وكان له عجوز قوادة يقال لها الازاء كانت تؤلف بينه وبين نساء الناس الاكابر ونساء الملوك ولما نزل الملك المسعود الى خدمة الملك الكامل وسلم آمد وبلادها اليه ومن جملة معاقلها حصن كيفا وهو في غاية الحصانة أحسن الملك الكامل الى الملك المسعود وأعطاه أقطاعا جليلة بديار مصر ثم بدت منه أمور اعتقله الملك الكامل بسببها ولم يزل الملك المسعود معتقلا الى ان مات الملك الكامل فخرج من الاعتقال واتصل بحماة فاحسن اليه الملك المظفر محمود صاحب حماة ثم سافر الملك المسعود المذكور الى الشرق واتصل بالترققتلوه ولما تسلم الملك الكامل آمد وبلادها رتب فيها النواب من جهته وجعل فيها ولده الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل وجعل معه شمس الدين صواب العادلي وخرجت هذه السنة والملك الكامل بالشرق ولما خرج الملك الكامل من مصر في هذه السنة خرج صحبته بنتاه فاطمة خاتون زوجة الملك العزيز صاحب حلب وغازية خاتون زوجة الملك المظفر صاحب حماة بنتا الملك الكامل وحملت كل منهما الى بعلها واحتفل لدخولهما بحماة وحلب (وفي هذه السنة) ظنا توفي علي ابن رسول النائب على اليمن واستقر مكانه ولده عمر بن علي (ثم دخلت سنة ثلاثين وستائة) في هذه السنة رجع السلطان الملك الكامل من البلاد الشرقية بعد ترتيب أمورها وسار الى ديار مصر ورجع كل ملك الى بلده

ذكر استيلاء الملك العزيز محمد بن الظاهر صاحب حلب على شيزر

وكانت شيزر بيد شهاب الدين يوسف بن مسعود بن سابق الدين عثمان بن الداية وكان

سابق الدين عثمان بن الداية المذكور واخوته من أكابر أمراء نور الدين محمود بن زنكي ثم اعتقل الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين الشهيد سابق الدين عثمان ابن الداية وشمس الدين أخاه فانكر السلطان صلاح الدين عليه ذلك وجمعه حجة لقصد الشام واتزاعه من الملك الصالح اسمعيل فأنصل أولاد الداية بخدمة السلطان صلاح الدين وصاروا من أكبر أمراءه وكانت شيزر اقطاع سابق الدين المذكور فاقره السلطان صلاح الدين عليها وزاده أبا قيس لما قتل صاحبها حارديكن ثم ملك شيزر بعده ولده مسمود بن عثمان حتى مات وصارت لواده شهاب الدين يوسف المذكور الى هذه السنة فسار الملك العزيز صاحب حلب بإمر الملك الكامل وحاصر شيزر وقدم اليه وهو على حصارها الملك المظفر محمود صاحب حماة مساعدا له فسلم شهاب الدين يوسف شيزر الى الملك العزيز ونزل الى خدمته فتسلها في هذه السنة وهى الملك العزيز يحيى بن خالد بن قيسراني بقوله

يا مالكا عم اهل الارض نائله وخص احسانه الداني مع القاصي
لما رأته شيزر آيات نصر ك في ارجائها اقت العاصي الى العاصي

ثم ولى الملك العزيز على شيزر وأحسن الى الملك المظفر محمود صاحب حماة ورحل كل منهما الى بلده (وفي هذه السنة) استأذن الملك المظفر محمود صاحب حماة الملك الكامل في انتزاع بارين من أخيه قليج ارسلان لانه خشى ان يسلمها الى الفرنج لضعف قليج ارسلان عن مقاومتهم فاذن الملك الكامل له في ذلك فسار الملك المظفر من حماة وحاصر بارين واتزعا من أخيه قليج ارسلان ابن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولما نزل قليج ارسلان الى أخيه الملك المظفر أحسن اليه وسأله في الاقامة عنده بحماة فامتنع وسار الى مصر فبذل له الملك الكامل اقطاعا جليلا وأطلق له أملاك جده بدمشق ثم بدا منه مالا يليق من الكلام فاعتقله الملك الكامل الى ان مات قليج ارسلان المذكور في الحبس سنة خمس وثلاثين وستائة قبل موت الملك الكامل بايام

ذكر غير ذلك من الحوادث

في هذه السنة توفي مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين على كجك وقد تقدم ذكر ملكه اربل بعد موت أخيه نور الدين يوسف بن زين الدين على في سنة ست وثمانين وخمسمائة لما كانا في خدمة السلطان صلاح الدين في الجهاد بالساحل فبقي مالكا من تلك السنة الى هذه السنة ولما مات مظفر الدين المذكور لم يكن له ولد فوصى باربل وبلادها للخليفة المستنصر فتسلها الخليفة بعد موت مظفر الدين المذكور وكان مظفر الدين ملكا شجاعا وفيه عسف في استخراج الاموال من الرعيّة وكان يحتفل بمولد النبي

صلى الله عليه وسلم وينفق فيه الاموال الجليلة (وفيها) في شعبان توفي الشيخ عز الدين على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري ولد بجزيرة ابن عمر في رابع جمادى الاولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ونشأ بها ثم سار الى الموصل مع والده واخوته وسمع بها من أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي ومن في طبقةه وقدم بغداد مرارا حاجا ورسولا من صاحب الموصل وسمع من الشيخين يعيش بن صدقة وعبد الوهاب بن علي الصوفي وغيرهما ثم رحل الى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة ثم عاد الى الموصل وانقطع في بيته للتوفيز على العلم وكان اماما في علم الحديث وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وخيرا بانساب العرب وأخبارهم صنّف في التاريخ كتابا كبيرا سماه الكامل وهو المنقول منه غالب هذا المختصر ابتداء فيه من أول الزمان الى سنة ثمان وعشرين وستمائة وله كتاب أخبار الصحابة في ست مجلدات واختصر كتاب الانساب لسمعاني وهو الموجود في أيدي الناس دون كتاب السمعي وورد الى حلب في سنة ست وعشرين وستمائة ونزل عند الطواشي طغريل الاتابك بحلب فآكرمه اكراما زائدا ثم سافر الى دمشق سنة سبع وعشرين ثم عاد الى حلب في سنة ثمان وعشرين ثم توجه الى الموصل فتوفي بها في التاريخ المذكور ونسبة الجزيرة الى ابن عمر وهو رجل من أهل برقعيد من أعمال الموصل اسمه عبد العزيز بن عمر بن هذه المدينة فاضيفت اليه ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وستمائة في هذه السنة في المحرم توفي شهاب الدين طغريل الاتابك بحلب

ذكر مسير السلطان الملك الكامل من مصر الى قتال

كيقباز ملك بلاد الروم

في هذه السنة وقع من كيقباز بن كيوخسرو ملك بلاد الروم التعرض الى بلاد خلاط فرحل الملك الكامل بمساكره من مصر واجتمعت عليه الملوك من أهل بيته ونزل شمالا سلمية في شهر رمضان من هذه السنة ثم سار بجموعه ونزل على النهر الازرق في حدود بلد الروم وقد ضرب في عسكره سنة عشر دهليزا ستة عشر ملكا في خدمته منهم اخوته الملك الاشرف موسى صاحب دمشق والملك المظفر غازي صاحب ميافارقين والملك الحافظ ارسلان شاه صاحب قلعة جمبر والصالح اسمعيل اولاد الملك العادل والملك المعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين كان قد أرسله ابن أخيه الملك العزيز صاحب حلب مقدما على عسكر حلب الى خدمة السلطان الملك الكامل والملك الزاهر صاحب البيرة داود بن السلطان صلاح الدين وأخوه الملك الافضل موسى صاحب صميصات ابن السلطان صلاح الدين وكان قد ملكها بعد أخيه الملك الافضل على والملك المظفر محمود صاحب حماة ابن

الملك المنصور محمد والملك الصالح أحمد صاحب عينتاب ابن الملك الظاهر صاحب حلب
 والملك الناصر داود صاحب الكرك بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل والملك
 المجاهد شيركوه صاحب حمص بن محمد بن شيركوه وكان قد حفظ كيقباز ملك بلاد
 الروم الدربندات بالرجال والمقاتلة فلم يتمكن السلطان من الدخول الى بلاد الروم من
 جهة النهر الازرق وأرسل بمض العسكر الى حصن منصور وهو من بلاد كيقباز فهدموه
 ورحل السلطان وقطع الفرات وسار الى السويداء وقدم جاسته تقدير ألفين وخمسمائة
 فارس مع الملك المظفر صاحب حماة فسار الملك المظفر بهم الى خرتبرت وسار كيقباز
 ملك الروم اليهم واقتتلوا فانهمز العسكر الكاملى وانحصر الملك المظفر صاحب حماة في
 خرتبرت مع جملة من العسكر وجد كيقباز في حصارهم والملك الكامل بالسويداء وقد أحس
 من الملوك الذين في خدمته بالمخامرة والتقاعد فان شيركوه صاحب حمص سعى اليهم
 وقال ان السلطان ذكر انه متى ملك بلاد الروم فرقه على الملوك من أهل بيته عوض
 ما يديهم من الشام وياخذ الشام جميعه لينفرد بملك الشام ومصر فتقاعدوا عن القتال
 وفسدت نياتهم وعلم الملك الكامل بذلك فأمكنه التحرك الى قتال كيقباز لذلك ودام
 الحصار على الملك المظفر صاحب حماة فطلب الامان فامنه كيقباز ونزل اليه الملك المظفر
 فاكرمه كيقباز وخلع عليه ونادمه وتسلم كيقباز خرتبرت وأخذها من صاحبها وكان من
 الارتقية قرايب أصحاب ماردين وكان قد دخل في طاعة الملك الكامل وصارت خرتبرت
 من بلاد كيقباز وكان نزول المظفر صاحب حماة من خرتبرت يوم الاحد لسبع بقين من
 ذى القعدة وأقام عند كيقباز يومين ثم أطلقه وسار من عنده لخمس بقين من ذى القعدة
 من هذه السنة أعنى سنة احدى وثلاثين وستمائة ووصل بمن معه الى الملك الكامل وهو
 بالسويداء من بلاد آمد ففرح به وقوى نفرة السلطان الملك الكامل يومئذ من الناصر داود
 صاحب الكرك فالزمه بطلاق بنته فطلقها الناصر داود وأثبت الملك الكامل طلاقها منه
 (وفي هذه السنة) استتم بناء قلعة المعرة وكان قد أشار سيف الدين على بن أبى على
 الهذبانى على الملك المظفر صاحب حماة ببنائها فبناها وتمت الآن وشحنها بالرجال والسلاح
 ولم يكن ذلك مصلحة لان الحلبيين حاصروها فيما بعد وأخذوها وخربت المعرة بسببها
 (وفي هذه السنة) توفي سيف الدين الآمدى وكان فاضلا في العلوم العقلية والاصوليين
 وغيرها واسمه على بن أبى على بن محمد بن سالم الثعلبى وكان في مبتدأ أمره حنبليا ثم
 انتقل وصار فقيها شافعيا واشتغل بالاصول وصنف في أصول الفقه وأصول الدين
 والمعقولات عدة مصنفات وأقام بمصر مدة وتصدر في الجامع وفي المدرسة الملاصقة
 لتربة الشافعى وتعامل عليه الفقهاء الفضلاء وعملوا محضرا ونسبوه فيه الى انحلال العقيدة

ومذهب الفلاسفة وحملوا المحضر الى بعض الفقهاء الفضلاء ليكتب خطه حسبما وضعوا
خطوطهم به فكتب

حسدوا الفقى اذ لم ينالوا سميهِ فالتقوم أعداء له وخصوم

ولما جرى ذلك استمر الآمدى المذكور وسار الى حماة وأقام فيها مدة ثم عاد الى دمشق
حتى توفي بها في هذه السنة وكانت ولادته في سنة احدى وخمسين وخمسةائة (وفيها)
توفي صلاح الاربلى وكان فاضلا شاعرا أميراً محظيا عند الملكين الكامل والاشرف ابني
الملك العادل (ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وستائة) والملك الكامل بالبلاد الشرقية
وقد اتنى عزمه عن قصد بلاد الروم للتخاذل الذى حصل في عسكره ثم رحل وعاد الى
مصر وعاد كل واحد من الملوك الى بلده (وفيها) توفي الملك الزاهر داود صاحب البيرة
ابن السلطان صلاح الدين وكان قد مرض في العسكر الكاملى فحمل الى البيرة مريضا
وتوفي بها وملك البيرة بعده ابن أخيه الملك العزيز محمد صاحب حلب وكان الزاهر المذكور
شقيق الظاهر صاحب حلب (وفيها) توفي القاضي بهاء الدين بن شداد في صفر وكان
عمره نحو ثلاث وتسعين سنة وصحب السلطان صلاح الدين وكان قاضى عسكره ولما توفي
صلاح الدين كان عمر القاضي المذكور نحو خمسين سنة ونال القاضي بهاء الدين المذكور
من المنزلة عند أولاد صلاح الدين وعند الاتابك طغريل ما لم ينلها أحد ولم يكن في أيامه
من اسمه شداد بل لعل ذلك في نسب أمه فاشتهر به وغلب عليه وأصله من الموصل
وكان فاضلا دينيا وكان أقطاعه على الملك العزيز ما يزيد على مائة ألف درهم في السنة
(وفيها) لما سارت الملوك الى بلادهم من خدمة الملك الكامل وصل الملك المظفر صاحب
حماة ودخلها الخميس بقين من ربيع الاول من هذه السنة واتفق مولوده الملك المنصور
محمد بمد مقدمه يومين في الساعة الخامسة من يوم الخميس ليلتين بقيتا من ربيع الاول
من هذه السنة أعنى سنة اثنتين وثلاثين وستائة فتضاعف السرور بقدم الوالد والولد
قال الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد قصيدة طويلة في ذلك فمنها

غد الملك محروس الذرى والقواعد باشرف مولود لاشرف والد
حينما به يوم الخميس كأنه خميس بدل الناس في شخص واحد
وسميته باسم النبي محمد وجديه فاسم - توفي جميع المحامد

أى باسم جديهِ الملك الكامل محمد والد والدته والملك المنصور محمد صاحب حماة والد
والده ومنها

كانى به في سدة الملك جالسا وقد ساد في أوصافه كل سائد
ووافقك من أبناءه وبنينهم بانجم سعد نورها غير خامد

ألا أيها الملك المظفر دعوتى ستورى بهازندى ويشتد ساعدى

هنيئالك الملك الذى بقدمه ترحل عنا كل هم وماود

﴿ وفيها ﴾ لما تفرقت المساكر الكاملية قصد كيقباز بن كيخسرو صاحب بلاد الروم حران والرها وحاصرها واستولى عليهما وكانا للسلطان الملك الكامل (وفيها) توفي بالقاهرة القاسم بن عمر بن على الحموى المصرى الدار المعروف بابن الفارض وله أشعار جيدة منها قصيدته التى عملها على طريقة الفقراء وهى مقدار ستمائة بيت (ثم دخلت سنة ثلاث وتلاثين وستائة) فى هذه السنة سار الناصر داود من الكرك الى بغداد ملتجئا الى الخليفة المستنصر لما حصل عنده من الخوف من عمه الملك الكامل وقدم الى الخليفة تحفا عظيمة وجواهر نفيسة فاكرمه الخليفة المستنصر وخلع عليه وعلى أصحابه وكان الناصر داود يظن ان الخليفة يستحضره فى ملا من الناس كما استحضر مظفر الدين صاحب أربل فلم يحصل له ذلك وألح فى طلب ذلك من الخليفة فلم يجبه فعمل الناصر المذكور قصيدة بمدح المستنصر فيها ويعرض بصاحب أربل واستحضاره ويطلب الاسوة به وهى قصيدة طويلة منها

فأنت الامام العدل والمفرق الذى	به شرفت أسبابه ومناصبه
جمعت شيت المجد بعد افتراقه	وفرت جمع المال فأنهال كاتبه
ألا يا أمير المؤمنين ومن غدت	على كاهل الجوزاء تملو مراتبه
أبحسن فى شرع المعالى ودينها	وأنت الذى تعزى اليك مذاهبه
بأنى أخوض الدو والدو مقفر	سأريه مغبرة وسبابه
وقدرصد الاعداء لى كل مرصد	فكلهم نحوى تدب عقاربه

ومنها

وتسمح لى بالمال والجاه بغيرى	وما الجاه الا بعض ما أنت واهبه
ويأتيك غيرى من بلاد قريية	له الأمن فيها صاحب لا يجانبه
فيلقى دنوا منك لم ألق مثله	ويحظى وما أحظى بما أنا طالبه
وينظر من لآء قدسك نظرة	فيرجع والنور الامامى صاحبه
ولو كان يملونى بنفس ورتبة	وصدق ولاء لست فيه أصاقبه
لكنت أسلى النفس عما أرومه	وكنت أذود العين عما يراقبه
ولم يكنه مثلى ولو قلت انى	أزيد عليه لم يعب ذلك عائبه
وما أنا ممن يملأ المال عينه	ولا بسوى التقريب تقضى مآربه

وكان الخليفة متوقفا على استحضار الناصر داود رعاية لحاضر الملك الكامل فجمع بين

المصلحتين واستحضره ليلاً ثم عاد الملك الناصر الى الكرك (وفي هذه السنة) سار السلطان الملك الكامل من مصر الى البلاد الشرقية واسترجع حران والرها من يد كيقباد صاحب بلاد الروم وأمسك أجناد كيقباد ونوابه الذين كانوا بهم وما وقيدهم وأرسلهم الى مصر فلم يستحسن ذلك منه ثم عاد الملك الكامل الى دمشق وأقام عند أخيه الملك الاشرف حتى خرجت هذه السنة (وفي هذه السنة) توفي شرف الدين محمد بن نصر بن عنين الزرعي الشاعر المشهور وكان شاعراً مقلداً وكان يكثر هجو الناس عمل قصيدة خمسمائة بيت سماها مقراض الاعراض لم يسلم منها أحد من أهل دمشق ونفاه السلطان صلاح الدين الى اليمن فدمج صاحبها طفتكين بن أيوب وحصل له منه أموال كثيرة عمل بها ابن عنين متجراً وقدم به الى مصر وصاحبها حينئذ العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين فلما أخذت من ابن عنين زكاه مامعه على عادة التجار قال في العزيز

ما كل من يتسمى بالعزيز لها أهل ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيز بن بون في فعالهما هذاك يعطى وهذا يأخذ الصدقه -

ثم سار ابن عنين المذكور الى دمشق ولازم الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وتوفي عنده وتوفي بدمشق في هذه السنة وديوانه مشهور (ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستمائة) فيها عاد السلطان الملك الكامل الى الديار المصرية

ذكر وفاة الملك العزيز صاحب حلب

(وفي هذه السنة) كان قد خرج الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى حارم للصيد ورمى البندق واغتسل بماء بارد فخم ودخل الى حلب وقد قويت به الحمى واشتد مرضه وتوفي في ربيع الاول من هذه السنة وكان عمره ثلاث وعشرين سنة وشهوراً وكان حسن السيرة في رعيته ولما توفي تقرر في الملك بعده ولده الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد وعمره نحو سبع سنين وقام بتدبير الدولة شمس الدين لولو الارمني وعز الدين عمر بن مجلى وجمال الدولة اقبال الخاتوني والمرجع في الامور الى والدة الملك العزيز ضيفة خاتون بنت الملك العادل (وفي هذه السنة) توفي علاء الدين كيقباد بن كيخسرو صاحب بلاد الروم وملك بعده ابنه غياث الدين كيخسرو بن كيقباد بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلمش بن أرسلان بن سلاجوق (وفي هذه السنة) قويت الوحشة بين الملك الكامل وبين أخيه الملك الاشرف وكان ابتداءها ما فعله شيركوه صاحب حصص لما قصد الملك الكامل بلاد الروم فاتفق الملك الاشرف مع صاحبة حلب ضيفة خاتون

أخت الملك الكامل ومع باقي الملوك على خلاف الملك الكامل خلا الملك المظفر صاحب حماة فلما امتنع تهدده الملك الأشرف بقصد بلاده وانزاعها منه فقدم خوفا من ذلك الى دمشق وحلف الملك الأشرف ووافق على قتال الملك الكامل وكاتب الملك الأشرف كيخسرو صاحب بلاد الروم واتفق معه على قتال أخيه الملك الكامل ان خرج من مصر وأرسل الملك الأشرف يقول للناصر داود صاحب الكرك انك ان وافقتني جعلتك ولى عهدي وأوصيتك بدمشق وزوجتك بابنتي فلم يوافق الناصر على ذلك لسوء حظه ورحل الى الديار المصرية الى خدمة الملك الكامل وصار معه على ملوك الشام فسربه الملك الكامل وجدد عقده على ابنته عاشور التي طلقها منه واركب الناصر داود بسناجق السلطنة ووعد انه ينتزع دمشق من الملك الأشرف أخيه ويعطيه اياها وأمر الملك الكامل أمراء مصر وولده الملك العادل أبا بكر ابن الملك الكامل فحملوا الغاشية بين يدي الملك الناصر داود وبالغ في اكرامه (وفي هذه السنة) توجه عسكر حلب مع الملك المعظم توران شاه عم الملك العزيز فحاصروا بغراس وكان قد عمرها الداوية بمد ما فتحها السلطان صلاح الدين وخربها وأشرف عسكر حلب على أخذها ثم رحلوا عنها بسبب الهدنة مع صاحب انطاكية ثم ان الفرنج أغاروا على ربض دريساك وهي حينئذ لصاحب حلب فوقع بهم عسكر حلب وولى الفرنج منهزمين وكثر فيهم القتل والاسر وعاد عسكر حلب بالاسرى ورؤس الفرنج وكانت هذه الوقعة من أجل الوقائع (وفي هذه السنة) استخدم الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل وهو بالبلاد الشرقية وهي آمد وحصن كيفا وحران وغيرها نائباً عن أبيه الخوارزمية عسكر جلال الدين منكبرني فانهم بمد قتله ساروا الى كيقباز ملك بلاد الروم وخدموا عنده وكان فيهم عدة مقدمين مثل برك خان وكشلو خان وصاروخان وفرخان وردى خان * فلما مات كيقباز وتولى ابنه كيخسرو قبض على برك خان وهو أكبر مقدميهم ففارقت الخوارزمية حينئذ خدمته وساروا عن الروم ونهبوا ما كان على طريقهم فاستمالهم الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل واستأذن أباه في استخدامهم فاذن له واستخدمهم * ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستمائة * وقد استحكمت الوحشة بين الاخوين الكامل والأشرف وقد لحق الملك الأشرف الذرب وضعف بسببه وعهد بالملك الى أخيه الملك الصالح اسماعيل ابن الملك العادل صاحب بصرى

ذكر وفاة الملك الأشرف

(وفي هذه السنة) توفي الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب وكان قد مرض بالذرب واشتد به حتى توفي في المحرم من هذه السنة وتملك دمشق أخوه الصالح اسماعيل يعهد منه وكان مدة ملك الأشرف دمشق ثمان سنين

وشهوراً وعمره نحو ستين سنة وكان مفرط السخاء يطلق الاموال الجليلة النفيسة وكان ميمون النقية لم تهزم له راية وكان سعيداً ويتفق له أشياء خارقة للعقل وكان حسن العقيدة وبنى بدمشق قصوراً ومنتزهات حسنة وكان منهمكاً في اللذات وسماع الاغاني فلما مرض أقام عن ذلك وأقبل على الاستغفار الى ان توفي ودفن في تربته بجانب الجامع ولم يخاف من الاولاد الا بنتاً واحدة تزوجها الملك الجواد بونس بن مودود ابن الملك العادل وكان سبب الوحشة بينه وبين أخيه الملك الكامل بمد ما كان بينهما من المصافة ان الملك الاشرف لم يبق بيده غير دمشق وبلادها وكانت لا تفي بما يحتاجه وما يبذله وقت قدوم أخيه الملك الكامل الى دمشق وأيضاً لما فتح الملك الكامل آمد وبلادها لم يزد منها شيئاً وأيضاً بلغه ان الملك الكامل يريد ان يتفرد بمصر والشام ويتزع دمشق منه فتغير بسبب ذلك ولما استقر الملك الصالح اسماعيل في ملك دمشق كتب الى الملوك من أهله والى كيوخه وصاحب بلاد الروم في اتفاهم معه على أخيه الملك الكامل فوافقوه على ذلك الا الملك المظفر صاحب حماة وأرسل الملك المظفر رخصاً الى الملك الكامل يعرفه اتماءه اليه وانه انما وافق الملك الاشرف خوفاً منه فقبل الملك الكامل عذره وتحقق صدق وولائه ووعدته بانتزاع سلمية من صاحب حمص وتسليمها اليه

✽ ذكر مسير السلطان الملك الكامل الى دمشق

واستيلائه عليها ووفاته ✽

وما يتعلق بذلك ✽ لما بلغ الملك الكامل وفاة أخيه الملك الاشرف سار الى دمشق ومعه الناصر داود صاحب الكرك وهو لا يشك ان الملك الكامل يسلم اليه دمشق لما كان قد تقرر بينهما ✽ وأما الملك الصالح اسمعيل فانه استعد للحصار ووصل اليه نجدة الحلبيين وصاحب حمص ونازل الملك الكامل دمشق وأخرج الملك الصالح اسمعيل النفاطين فاحرق العقبية جميعها وما بها من خانات وأسواق وفي مدة الحصار وصل من عند صاحب حمص رجالة يزيدون على خمسين راجلاً نجدة للصالح اسمعيل وظفر بهم الملك الكامل فشقهم بين البساتين عن آخرهم وحال نزول الملك الكامل على دمشق أرسل توقيعه للملك المظفر صاحب حماة بسلمية فتسلمها الملك المظفر واستقرت نوابه بها وكان نزول الملك الكامل على دمشق في جمادى الاولى من هذه السنة في قوة الشتاء ثم سلم الملك الصالح اسمعيل دمشق الى أخيه الملك الكامل وتعوض عنها بمليك والباق مضافاً الى بصرى وكان قد ورد من الخليفة المستنصر محي الدين يوسف ابن الشيخ جمال الدين ابن الجوزي رسولا للتوفيق بين الملوك فتسلم الملك الكامل دمشق لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى وكان الملك الكامل شديد الحنق على شريكه صاحب حمص

فأمر العسكر فبرزوا لقصدهم وأرسل إلى صاحب حماة وأمره بالمسير إليها فبرز الملك المظفر من حماة ونزل على الرستن واشتد خوف شيركوه صاحب حمص ونخضع الملك الكامل وأرسل إليه نساءه ودخل على الملك الكامل فلم يلتفت إلى ذلك ثم بعد استقرار الملك الكامل في دمشق لم يلبث غير أيام حتى مرض واشتد مرضه وكان سببه أنه لما دخل قلعة دمشق أصابه زكام فدخل الحمام وسكب عليه ماء شديد الحرارة فاندفعت النزلة إلى معدته وتورمت منها وحصل له حمى ونهاه الأطباء عن القيء وخوفوه منه فلم يقبل وتقيأ فمات لوقته وعمره نحو ستين سنة وكانت وقاته لتسع بقين من رجب من هذه السنة أعقبت سنة خمس وثلاثين وستمائة وكان بين موته وموت أخيه الملك الأشرف نحو ستة أشهر وكانت مدة ملكه لمصر من حين مات أبوه عشرين سنة وكان بها نائباً قبل ذلك قريباً من عشرين سنة فحكم في مصر نائباً وملكاً نحو أربعين سنة وأشبه حاله حال معاوية بن أبي سفيان فإنه حكم في الشام نائباً نحو عشرين وملكاً نحو عشرين وكان الملك الكامل ملكاً جليلاً مهيباً حازماً حسن التدبير أمنت الطرق في أيامه وكان يباشر تدبير المملكة بنفسه واستوزر في أول ملكه وزيراً إليه صفي الدين بن شكر فلما مات ابن شكر لم يستوزر أحداً بعده وكان يخرج الملك الكامل بنفسه فينظر في أمور الجسور عند زيادة النيل واصلاحها فعمرت في أيامه ديار مصر ثم العمارة وكان محباً للعلماء ومجالسهم وكانت عنده مسائل غريبة في الفقه والنحو يتمتع بها الفضلاء إذا حضروا في خدمته وكان كثير السماع للاحاديث النبوية تقدم عنده بسببها الشيخ عمر بن دحية وبنو له دار الحديث بين القصرين في الجانب الغربي وكانت سوق الآداب والعلوم عنده نافذة رحمه الله تعالى وكان أولاد الشيخ صدر الدين بن حمويه من أكار دولته وهم الأمير نحر الدين ابن الشيخ واخوته عماد الدين وكال الدين ومعين الدين أولاد الشيخ المذكور وكل من أولاد الشيخ المذكور حاز فضيلتي السيف والقلم فكان يباشر التدريس ويتقدم على الجيش * ولما مات السلطان الملك الكامل بدمشق كان معه بها الملك الناصر داود صاحب الكرك فاتفق آراء الامراء على تخليف العسكر للملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل وهو حينئذ نائب أبيه بمصر فخلف له جميع العسكر وأقاموا في دمشق الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل أبو بكر بن أيوب نائباً عن الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل وتقدمت الامراء إلى الملك الناصر داود بالرحيل عن دمشق وهددوه ان أقام فرحل الملك الناصر داود إلى الكرك وتفرقت الساكنة فصار أكثرهم إلى مصر وتأخر مع الجواد يونس بعض العسكر ومقدمهم عماد الدين ابن الشيخ وبقى يباشر الامور مع الملك الجواد * ولما بلغ شيركوه صاحب

حصن وفاة الملك الكامل فرح فرحاً عظيماً وأتاه فرج ما كان يطمح نفسه به وأظهر سرورا عظيماً ولعب بالكرة على خلاف العادة وهو في عشر السبعين * وأما الملك المظفر صاحب حماة فإنه حزن لذلك حزناً عظيماً ورحل من الرستن وعاد إلى حماة وأقام فيها للعزاء وأرسل صاحب حصن أرنجج سلمية من نواب الملك المظفر وقطع القناة الواصلة من سلمية إلى حماة فبيست بساقيها ثم عزم على قطع النهر العاصي عن حماة فسد مخرجه من بحيرة قدس التي بظاهر حصن فبطلت نواعير حماة والطواحين وذهب ماء العاصي في أودية بجوانب البحيرة ثم لما لم يجد له الماء مسلكاً عاد فهدم ما عمله صاحب حصن وجرى كما كان أولاً وكذلك كان قد حصل لصاحب حلب ولعسكرها الخوف من الملك الكامل فلما بلغهم موته أمنوا من ذلك

ذكر استيلاء الحلبيين على المعرة وحصارهم حماة

ولما بلغ الحلبيين موت الكامل اتفقت آراؤهم على أخذ المعرة ثم أخذ حماة من الملك المظفر صاحب حماة لموافقته الملك الكامل على قصدهم ووصل عسكر حلب إلى المعرة وانتزعوها من يد الملك المظفر صاحب حماة وحاصروا قلعتها وخرجت المعرة حينئذ عن ملك الملك المظفر صاحب حماة ثم سار عسكر حلب ومقدمهم المعظم توران شاه بن صلاح الدين إلى حماة بعد استيلائهم على المعرة ونزلوا حماة وسها صاحبها الملك المظفر ونهب العسكر الحلبي بلاد حماة واستمر الحصار على حماة حتى خرجت هذه السنة (ذكر غير ذلك من الجوادث)

(في هذه السنة) عقد لسلطان الروم غياث الدين كيخسرو بن كيقباز بن كيخسرو العقد على غازية خاتون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب وهي صغيرة حينئذ وتولى القبول عن ملك بلاد الروم قاضي دوقات ثم عقد الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب العقد على أخت كيخسرو وهي ملكة خاتون بنت كيقباز بن كيخسرو بن قليج أرسلان وأم ملكة خاتون المذكورة بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكان قد زوجها الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بكيقباز المذكور وخطب لقيث الدين كيخسرو بحلب (وفيها) خرجت الخوارزمية عن طاعة الملك الصالح أيوب بعد موت أبيه الملك الكامل ونهبوا البلاد (وفيها) سار لولو صاحب الموصل وحاصر الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل بسنجار فإرسل الملك الصالح واسترضى الخوارزمية وبذل لهم حران والرها فمادوا إلى طاعته واتفق مع بدر الدين لولو صاحب الموصل فانهزم لولو وعسكره هزيمة قبيحة وغنم عسكر الملك الصالح منهم شيئاً كثيراً * (وفي هذه السنة) جرى بين الملك الناصر داود صاحب الكرك وبين الملك الجواد يونس المتولى على

دمشق مصاف بين جينين و نابلس اتصرف فيه الملك الجواد يونس وانهزم الملك الناصر داود هزيمة قبيحة وقوى الملك الجواد بسبب هذه الواقعة وتمكن من دمشق ونهب عسكر الملك الناصر وأثقاله (وفي أواخر) هذه السنة ولد والدى الملك الافضل نور الدين على ابن الملك المظفر صاحب حماة * (ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة) * في هذه السنة رحل عسكر حلب المحاصرة لحماة بعد مولد الملك الافضل وكان قد طالت مدة حصارهم لحماة وضجروا فتقدمت اليهم ضيفة خاتون صاحبة حلب بنت الملك العادل بالرحيل عنها فرحلوا وضاق الامر على الملك المظفر في هذا الحصار وانفق فيه أموالا كثيرة واستمرت بالمعرة في يد الحلبيين وسلمية في يد صاحب حصن ولم يبق بيد الملك المظفر غير حماة وبعرين * ولما جرى ذلك خاف الملك المظفر ان يخرج بعرين بسبب قلعته فتقدم بهدمها فهدمت الى الارض في هذه السنة

ذكر استيلاء الملك الصالح ايوب على دمشق

(وفي هذه السنة) في جمادى الآخرة استولى الملك الصالح ايوب ابن السلطان الملك الكامل على دمشق وأعمالها بتسليم الملك الجواد يونس وأخذ العوض عنها سنجار والرقعة وعانة وكان سبب ذلك ان الملك العادل ابن الملك الكامل صاحب مصر لما علم باستيلاء الملك الجواد على دمشق أرسل اليه عماد الدين ابن الشيخ ليتنزع دمشق منه وان يعوض عنها اقطاعاً بمصر فقال الجواد يونس الي تسليمها الى الملك الصالح حسبما ذكرناه وجهاز على عماد الدين ابن الشيخ من وقف له بقصة فلما أخذها عماد الدين منه ضربه ذلك الرجل بسكين فقتله * ولما وصل الملك الصالح ايوب الى دمشق وصل معه الملك المظفر صاحب حماة معاضدا له وكان قد لاقاه الى اثناء الطريق واستقر الملك الصالح ايوب المذكور في ملك دمشق وسار الجواد يونس الى البلاد الشرقية المذكورة فتسلمها * ولما استقر ملك الملك الصالح بدمشق وردت عليه كتب المصريين يستدعونه الى مصر ليملكها وسأله الملك المظفر صاحب حماة في منازلة حصن وأخذها من شيركوه فبرز الى الثنية وكان قد نازلت الخوارزمية وصاحب حماة حصن فارس شيركوه مالا كثيرا وفرقه في الخوارزمية فرحلوا عنه الى البلاد الشرقية ورحل صاحب حماة الى حماة ثم كر الملك الصالح عائدا الى دمشق طالبا مصر وسار من دمشق الى خربة اللصوص وعيد بها عيد رمضان ووصل اليه بعض عساكر مصر مقفزين * ولما خرج الملك الصالح من دمشق جعل نائبه فيها ولده الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك الصالح وشرع الملك الصالح يكتب عمه الصالح اسماعيل صاحب بعلبك ويستدعيه اليه وعمه اسماعيل المذكور يتحجج ويمتذر عن الحضور

ويظهر له انه معه وهو يعمل في الباطن على ملك دمشق وأخذها من الصالح أيوب وكان قد سافر الملك الناصر صاحب الكرك الى مصر واتفق مع الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل على قتال الملك الصالح أيوب ووصل أيضا في هذه السنة محيي الدين ابن الجوزي رسولا من الخليفة ليصلح بين الاخوين العادل صاحب مصر والصالح أيوب المستولي على دمشق وهذا محيي الدين هو الذي حضر ليصلح بين الكامل والاشرف فاتفق انه مات في حضوره في سنة أربع وثلاثين وخمس وثلاثين أربعة من السلاطين المظماء وهم الملك الكامل صاحب مصر وأخوه الاشرف صاحب دمشق والعزيب صاحب حاب وكيةباذ صاحب بلاد الروم فقال في ذلك ابن المسجف أحد شعراء دمشق

يا امام الهدى أبا جعفر المنه	صور يامن له الفخار الانيل
ما جرى من رسولك الآن محيي ال	دين في هذه البلاد قليل
جاء والارض بالسلاطين تزهي	وغدا والديار منهم طول
اقفر الروم والشام ومصر	أفهدا مفسل أم رسول

(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة) في هذه السنة في صفر سار الملك الصالح اسماعيل صاحب بعلبك ومعه شيركوه صاحب حمص بمجموعهما وهجما ودمشق وحصروا القلعة وتسلمها الصالح اسماعيل وقبض على المعيث فتح الدين عمر ابن الملك الصالح أيوب وكان الملك الصالح أيوب بتابلس لقصد الاستيلاء على ديار مصر وكان قد بلغه سعي عمه اسماعيل في الباطن وكان للصالح أيوب طيب يثق به يقال له الحكيم سعد الدين الدمشقي فارسه الصالح أيوب الى بعلبك ومعه قفص من حمام تابلس ليظالعه باخبار الصالح صاحب بعلبك وحال وصول الحكيم المذكور علم به صاحب بعلبك فاستحضره وأكرمه وسرق الحمام التي لتابلس وجعل موضعها حمام بعلبك ولم يشعر الطيب المذكور بذلك فصار الطيب المذكور يكتب ان عمك اسماعيل قد جمع وهو في نية قصد دمشق ويطبق فيقعد الطير ببعلبك فيأخذ الصالح اسماعيل البطافة ويزور على الحكيم ان عمك اسماعيل قد جمع ليعاضدك وهو واصل اليك ويسرجه على حمام تابلس فيعتمد الصالح أيوب على بطافة الحكيم ويترك مايرد اليه من غيره من الاخبار واتفق أيضا ان الملك المظفر صاحب حماة علم بسعي الصالح اسماعيل صاحب بعلبك في أخذ دمشق مع خلوها ممن يحفظها فجهز نائبه سيف الدين علي بن أبي علي ومعه جماعة من عسكر حماة وغيرهم وجهز معه من السلاح والمال شيئا كثيرا ليصل الى دمشق ويحفظها لصاحبها وأظهر الملك المظفر وابن أبي علي انهما قهما اختصما وان ابن أبي

على قد غضب واجتمع معه هذه الجماعة وقد قصدوا فراق صاحب حماة لانه يريد ان
يسلم حماة للفرنج كل ذلك خوفا من صاحب حمص شيركوه لئلا يقصد ابن أبي علي
ويمنعه فلم تخف عن شيركوه هذه الحيلة ولما وصل ابن أبي علي الى بحيرة حمص قصد
شيركوه وأظهر انه مصدقه فيما ذكر وسأله الدخول الى حمص ليضيفه وأخذ ابن أبي
علي معه وأرسل من استدعى باقي أصحاب ابن أبي علي الى الضيافة فممنهم من سمع ودخل
الى حمص ومنهم من هرب فسلم فلما حصلوا عنده بجمص قبض على ابن أبي علي وعلى
جميع من دخل حمص من الحمويين واستولى على جميع ما كان معهم من السلاح والخزانه
وبقي يعذبهم ويطلب منهم أموالهم حتى استصفاها ومات ابن أبي علي وغيره في حبسه
بجمص والذي سلم وبقي الى بعد موت شيركوه خاص ولما جرى ذلك ضعف الملك
المظفر صاحب حماة ضعفا كثيرا * وأما الملك الصالح أيوب فلما بلغه قصد عمه اسمعيل
دمشق رحل من نابلس الى الغور فبلغه استيلاء عمه على قلعة دمشق واعتقال ولده
المقيث عمر ففسدت نيات عساكره عليه وشرعت الامراء ومن معه من الملوك يحركون
نقاراتهم ويرحلون مفارقين الصالح أيوب الى الصالح اسمعيل بدمشق فلم يبق عند الصالح
أيوب بالغور غير عماليكه واستأذ داره حسام الدين ابن أبي علي وأصبح الملك الصالح
أيوب لا يدري ما يفعل ولاله موضع يقصده فقصد نابلس ونزل بها بمن بقي معه وسمع
الناصر داود بذلك وكان قد وصل من مصر الى الكرك فنزل بمسكركه وأمسك الملك
الصالح أيوب وأرسله الى الكرك واعتقله بها وأمر بالقيام في خدمته بكل ما يختاره ولما
اعتقل الصالح أيوب بالكرك تفرق عنه باقي أصحابه وعماليكه ولم يبق منهم معه غير
عدة يسيرة ولما جرى ذلك أرسل أخو الصالح الملك العادل أبو بكر صاحب مصر
يطلبه من الملك الناصر داود فلم يسامه الناصر داود فأرسل الملك العادل وتهدد
الملك الناصر باخذه بلاده فلم يلتفت الى ذلك

ذكر غير ذلك

(وفي هذه السنة) بعد اعتقال الملك الصالح بالكرك قصد الناصر داود القدس وكان
الفرنج قد عمروا قلعتهما بعد موت الملك الكامل فحاصرها وفتحها وخرب القلعة
وخرب برج داود أيضاً فانه لما خربت القدس أولاً لم يخرّب برج داود فخرّب في هذه
المرّة (وفي هذه السنة) توفي الملك المجاهد شيركوه صاحب حمص بن ناصر الدين محمد
ابن شيركوه بن شاذي وكانت مدة ملكه بجمص نحو ست وخمسين سنة لان صلاح
الدين ملكه حمص سنة احدى وثمانين وخمسمائة بعد موت أبيه محمد بن شيركوه وكان
عمره يومئذ نحو اثنتي عشرة سنة وكان شيركوه المذكور عسوقا لرعيته وملك حمص

بعده ولده الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه (وفي هذه السنة) استولى بدر الدين
لولو صاحب الموصل على سنجار وأخذها من الملك الجواد يونس بن مودود ابن
الملك العادل

ذكر خروج الملك الصالح أيوب من الاعتقال والقبض على أخيه الملك العادل صاحب مصر وملك الملك الصالح أيوب ديار مصر

(وفي هذه السنة) في أواخر رمضان أفرج الملك الناصر داود صاحب الكرك عن ابن
عمه الملك الصالح أيوب واجتمعت عليه مماليكه وكاتبه بها زهير وسار الناصر داود
ومحبته الصالح أيوب الى قبة الصخرة ونحالفها على ان تكون ديار مصر للصالح
ودمشق والبلاد الشرقية للناصر داود * ولما نملك الصالح أيوب لم يف للناصر بذلك
وكان يتأول في يمينه انه كان مكرها ثم سارا الى غزة * فلما بلغ العادل صاحب مصر
ظهور أمر أخيه الصالح عظم عليه وعلى والدته ذلك وبرز بعسكر مصر وتزل على
بليس لقصد الناصر داود والصالح أخيه وأرسل الى عمه الصالح اسمعيل المستولى على
دمشق ان يبرز ويقصدهما من جهة الشام وان يستأصلهما فسار الصالح اسمعيل بعساكر
دمشق ونزل الفوار فيينا الناصر داود والصالح أيوب في هذه الشدة وهما بين عسكرين
قد أحاطا بهما اذ ركبت جماعة من المماليك الاشرية ومقدمهم أيك الاسمر وأحاطوا
بدهليز الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل وقبضوا عليه وجملوه في خيمة صغيرة
وعليه من يحفظه وأرسلوا الى الملك الصالح أيوب يستدعونه فاتاه فرج لم يسمع بمثله
وسار الملك الصالح أيوب والملك الناصر داود الى مصر وبقي في كل يوم يلتقى الملك
الصالح فوج بمد فوج من الامراء والعسكر وكان القبض على الملك العادل ليلة الجمعة
تامن ذى القعدة من هذه السنة فكانت مدة ملكه نحو سنتين ودخل الملك الصالح
أيوب الى قلعة الجبل بكرة الاحد لست بقين من الشهر المذكور وزينت له البلاد وفرح
الناس بمقدمه وحصل للملك المظفر صاحب حماة من السرور والفرح بملك الملك
الصالح مصر مالا يمكن شرحه فانه مازال على ولائه حتى انه لما أمسك بالكرك كان يخطب
له بحماة وبلادها * ولما استقر الملك الصالح أيوب في ملك مصر ومحبته الناصر داود
حصل عند كل واحد منهما استشعار من صاحبه وخاف الناصر داود ان يقبض عليه
فطلب دستورا وتوجه الى بلاده الكرك وغيرها

(ذكر وفاة صاحب ماردين)

(في هذه السنة) وقيل في سنة ست وثلاثين توفي ناصر الدين ارتقى أرسلان ابن ايلغازي

ابن الهي بن تمر تاش بن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين وكان يلقب الملك المنصور
وملك المذكور ماردين بعد أخيه حسام الدين بولاق أرسلان حسبما تقدم ذكره في سنة
ثمانين وخمسائة وبقي ارتق أرسلان متغلبا عليه مملوك والده البقش حتى قتله ارتق أرسلان
في سنة احدى وستمائة واستقل ارتق أرسلان بملك ماردين حتى توفي في هذه السنة ولما
مات الملك المنصور ارتق أرسلان ملك بعده ابنه الملك السعيد نجم الدين غازي بن ارتق
أرسلان المذكور حتى توفي في سنة ثلاث وخمسين وستمائة ظننا ثم ملك بعده في السنة المذكورة
ابنه الملك المظفر قرا أرسلان بن غازي بن ارتق أرسلان وكانت وفاة المظفر قرا أرسلان
المذكور سنة احدى وتسعين وستمائة ظننا ثم ملك بعده والده الاكبر شمس الدين داود
ابن قرا أرسلان سنة وتسعة أشهر ثم توفي وملك بعده أخوه الملك المنصور نجم الدين
غازي بن قرا أرسلان في سنة ثلاث وتسعين وستمائة ظنا ونقلت وفيات المذكورين حسبما
هو مشروح من تقويم حل ماردين ذكر فيه تواريخ بني ارتق ولم أتحقق صحة ذلك
وسنذكر في سنة اثني عشرة وسبعمائة وفاة الملك المنصور غازي المذكور في سنة اثني
عشرة وسبعمائة ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستمائة) في هذه السنة
قبض الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل بعد استقراره في ملك مصر على أيك الاسمر
مقدم المماليك الاشرافية وعلى غيره من الامراء والمماليك الذين قبضوا على أخيه وأودعهم
الجبوس وأخذ في انشاء مماليكه وشرع الملك الصالح أيوب المذكور من هذه السنة في بناء
قلعة الجزيرة واتخذها مسكنا لنفسه (وفيها) نزل الملك الحافظ أرسلان شاه ابن الملك
المادل أبي بكر بن أيوب عن قلعة جعبر وبالس وسلمهما الى أخته ضيفة خاتون صاحبة حلب
وتسلم عوض ذلك اعزاز وبلادا معها تساوى مانزل عنه وكان سبب ذلك ان الملك الحافظ
المذكور أصابه فالج وخشى من أولاده وتغلبهم عليه ففعل ذلك لانه كان ببلاد قريبة الى
حلب لا يمكنهم التعرض اليه (وفي هذه السنة) كثرت الخوارزمية وفسادهم بعد مفارقة
الملك الصالح أيوب البلاد الشرقية وساروا الى قرب حلب فخرج اليهم عسكر حلب مع الملك
المعظم تورانشاه ابن صلاح الدين ووقع بينهم القتال فانهزم الحلييون هزيمة قبيحة وقتل
منهم خلق كثير منهم الملك الصالح ابن الملك الافضل ابن السلطان صلاح الدين وأسر
مقدم الجيش الملك المعظم المذكور واستولى الخوارزميون على ثقال الحليين وأسروا
منهم عدة كثيرة ثم كانوا يقتلون بعضهم ليشتري غيره نفسه منهم بماله فأخذوا بذلك شيئا
كثيرا ثم نزل الخوارزمية بمد ذلك على جبلان وكثر عيبتهم وفسادهم ونهبهم في بلاد حلب
وجعل أهل الحواضر والبلاد ودخلوا مدينة حلب واستعد أهلها للحصار وارتكب
الخوارزمية من الزنا والفواحش والقتل ما ارتكبوه الترت ثم سارت الخوارزمية الى منبج

وهجموها بالسيف يوم الخميس لتسع بقين من ربيع الاول من هذه السنة وفعلاوا من القتل والنهب مثل ما تقدم ذكره ثم رجعوا الى بلادهم وهي حران وما معها بمسدان أخرجوا بلد حلب

(ذكر عود الخوارزمية الى بلد حلب وغيرها)

ثم ان الخوارزمية رحلوا من حران وقطعوا الفرات من الرقة ووصلوا الى الجبول ثم الى تل اعزاز ثم الى سرمين ثم الى المعرة وهم ينهبون ما يجدونه فان الناس جفلوا من بين أيديهم وكان قد وصل الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص ومعه عسكر من عسكر الصالح اسمعيل المستولي على دمشق نجدة للجليين فاجتمع الحلييون مع صاحب حمص المذكور وقصدوا الخوارزمية واستمرت الخوارزمية على ما هم عليه من النهب حتى نزلوا على شيزر ونزل عسكر حلب على تل السلطان ثم رحلت الخوارزمية الى جهة حماة ولم يتعرضوا الى نهب لاتمام صاحبها الملك المظفر الى الملك الصالح أيوب ثم سارت الخوارزمية الى سلمية ثم الى الرصافة طالين الرقة وسار عسكر حلب من تل السلطان اليهم ولحقهم العرب فارمت الخوارزمية ما كان معهم من المكاسب وسيبوا الاسرى ووصلت الخوارزمية الى الفرات في أواخر شعبان في هذه السنة ولحقهم عسكر حلب وصاحب حمص ابراهيم قاطع صفيين فعمل لهم الخوارزمية ستائر ووقع القتال بينهم الى الليل فقطع الخوارزمية الفرات وساروا الى حران فسار عسكر حلب الى البيرة وقطعوا الفرات منها وقصدوا الخوارزمية واتبعوا قريب الرها لتسع بقين من رمضان هذه السنة فولى الخوارزمية منهزمين وركب صاحب حمص وعسكر حلب أقيتهم يقتلون ويأسرون الى ان حال الليل بينهم ثم سار عسكر حلب الى حران فاستولوا عليها وهربت الخوارزمية الى بلد عانة وبادر بدر الدين لولو صاحب الموصل الى نصيبين ودارا وكاتلا للخوارزمية فاستولى عليهما وخلص من كان بهما من الاسرى وكان منهم الملك المعظم توران شاه ابن السلطان صلاح الدين أسيرا في بلدة دارا من حين أسروه في كسرة الحليين فحمله بدر الدين لولو الى الموصل وقدمه ثيابا وتحفا وبعث به الى عسكر حلب واستولى عسكر حلب على الرقة والرها وسروج ورأس عين وما مع ذلك واستولى صاحب حمص المنصور ابراهيم على بلد الخابور ثم سار عسكر حلب ووصل اليهم نجدة من الروم وحاصروا الملك المعظم ابن الملك الصالح أيوب بآمد وتسلموها منه وتركوا له حصن كيفا وقلعة الهيثم ولم يزل ذلك يده حتى توفي أبوه الملك الصالح أيوب بمصر وسار اليها المعظم المذكور على ما سنده ان شاء الله تعالى وبقي ولد المعظم وهو الملك الموحد عبد الله ابن المعظم توران شاه ابن الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب

مالكا لحسن كيفا الى أيام التتر وطالت مدته بها

(ذكر ما كان من الملك الجواد يونس)

(في هذه السنة) كان هلاك الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل وصورة ماجرى له انه كان قد استولى بعد ملك دمشق على سنجار وعانة فباع عانة من الخليفة المستنصر بمال تسلمه منه وسار لولو صاحب الموصل وحاصر سنجار ويونس المذكور غائب عنها واستولى عليها ولم يبق بيد يونس من البلاد شئ فسار على البرية الى غزة وأرسل الى الملك الصالح أيوب صاحب مصر يسأله في المصير اليه فلم يجبه الى ذلك فسار يونس حينئذ ودخل الى عكا وأقام مع الفرنج فأرسل الصالح اسمعيل صاحب دمشق حينئذ وبذل مالا للفرنج وتسلم الملك الجواد يونس المذكور من الفرنج واعتقله ثم خنقه (وفي هذه السنة) ولي الملك الصالح أيوب الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام القضاء بمصر والوجه القبلي وكان عز الدين المذكور بدمشق فلما قوى خوف الصالح اسماعيل صاحب دمشق من ابن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر سلم الصالح اسماعيل صفد والشقيف الى الفرنج ليمضوه ويكونوا معه على ابن أخيه الصالح أيوب فعظم ذلك على المسلمين وأكثر الشيخ عز الدين بن عبد السلام التشنيع على الصالح اسمعيل بسبب ذلك وكذلك جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب ثم خافا من الصالح اسمعيل فسار عز الدين ابن عبد السلام الى مصر وتولى بها القضاء كرها وسار جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب الى الكرك وأقام عند الملك الناصر داود صاحب الكرك ونظم له مقدمته الكافية في النحو ثم بعد ذلك سافر ابن الحاجب الى الديار المصرية (ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمئة) والصالح اسمعيل صاحب دمشق والمنصور ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص وصاحبة حاب متفقون على عداوة الملك الصالح أيوب صاحب مصر ولم يوافقهم صاحب حماة على ذلك واخلص في الانتماء الى صاحب مصر (وفي هذه السنة) اتقمت الحوارزمية مع الملك المظفر غازي صاحب ميا فارقين ابن الملك العادل (وفيها) في شعبان أصاب جد الملك المظفر صاحب حماة الفالج وهو جالس بين أصحابه في قلعة حماة وتقي أياما لا يتكلم ولا يتحرك وكان ذلك في أواخر فصل الشتاء وأرجف الناس بموته وقام بتدبير المملكة مملوكه وأستاذ داره سيف الدين طغريل ثم خف مرض الملك المظفر وفتح عينيه وصار يتكلم باللفظة واللفظتين لا يكاد يفهم وكان العاطب الجانب الايمن منه وبهت اليه الصالح صاحب مصر طيبيا حاذقا نصرانياً يقال له النقيس ابن طايب فلم تنجح فيه المداواة واستمر على ذلك الى ان توفي بعد سنتين وكسر على ما سذكروه ان شاء الله تعالى (وفي هذه السنة) في ذى الحجة توفي الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه ابن الملك العادل بن أيوب باعزاز

وهي التي تموضها عن قلعة جبر ونقل الى حلب فدفن في الفردوس وتسلم نواب الملك
الناصر يوسف صاحب حلب قلعة اعزاز وأعمالها (وفيها) في شعبان توفي الشيخ الملامه
كمال الدين موسى بن يونس بن محمد بن منعه بن مالك الفقيه الشافعي كان امام وقته في
مذهب الشافعي وغيره وكان يشتغل الحنفيون عليه في مذهب أبي حنيفة ويحل الجامع
الكبير في مذهب أبي حنيفة وكان متقنا علم المنطق والطبيعي والاهلي وكان اماما مبرزاً في
العلم الرياضي واتفق المجسطي وأقليدس والموسيقى والحساب بأنواعه وكان أهل الذمة
يقرؤن عليه التوراة والانجيل وشرح لهم هذين الكتابين شرحاً يعترفون انهم لا يجدون
من يوضح لهم مثله وكان اماماً في العربية والتصريف وكان يقري كتاب سيويه والمفصل
وغيرهما وكذلك كان اماماً في التفسير والحديث وقدم الشيخ أمير الدين الابهرى واسمه
المفضل بن عمر بن المفضل الى الموصل واشتغل على الشيخ كمال الدين المذكور وكان
الشيخ أمير الدين الابهرى المذكور حينئذ اماماً مبرزاً في العلوم ومع ذلك يأخذ الكتاب
ويجلس بين يديه ويقرأ عليه قال القاضي شمس الدين ابن خلكان ولقد شاهدت بميني
أمير الدين الابهرى وهو يقرأ المجسطي على الشيخ كمال الدين بن يونس المذكور واستمر
سنين عديدة يشتغل عليه وكان الأثير اذ ذاك صاحب تصانيف يشتغل فيها الناس وقصد
تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح الفقيه الشافعي الشيخ كمال الدين
المذكور وسأله في أن يقرئه المنطق سرا وتردد ابن الصلاح الى الشيخ كمال الدين مدة
يقرأ عليه المنطق ولا يفهمه فقال له ابن يونس المذكور يافقيه المصلحة عندي ان تترك
الاشتغال بهذا الفن فقال له ابن الصلاح ولم ذلك فقال لان الناس يمتقدون فيك الخير وهم
ينسبون كل من اشتغل بهذا الفن الى فساد الاعتقاد فكانك تفسد عقائدهم فيك ولا
يصح لك من هذا الفن شيء فقبل ابن الصلاح اشارته وترك قراءته وكان الشيخ كمال
الدين بن يونس المذكور يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالباً عليه وكانت تهمته
غفلة لاستيلاء الفكرة عليه فعمل فيه بعضهم

أجـدك ان قد جاد بعد التمس
وعاطيته صباء من فيه مزجها
غزال بوصل لي وأصبح مونسى
كرقة شعري أو كدين ابن يونس

وكانت ولادته في صفر سنة احدى وخمسين وخمسمائة بالموصل وبها توفي في التاريخ المذكور
رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة أربعين وستمائة) وفي هذه السنة كان بين الخوارزمية
ومعهم الملك المظفر غازى صاحب ميافارقين وبين عسكر حلب ومعهم المنصور ابراهيم
صاحب حمص مصاف قريب الخابور عند المجدل في يوم الخميس لثلاث بقين من صفر
هذه السنة فولى المظفر غازى والخوارزمية منهزمين أقبح هزيمة ونهب منهم عسكر حلب

شياً كثيراً ونهبت وطاقت الخوارزمية ونساؤهم أيضاً ونزل الملك المنصور ابراهيم في خيمة الملك المظفر غازي واحتوى على خزائنه ووظاقه ووصل عسكر حلب وصاحب حصن الى حلب في مستهل جمادى الاولى مؤيد بن منصورين

ذكر وفاة الملكة ضيفة خاتون صاحبة حلب وهي والدة الملك العزيز

وفي هذه السنة في ليلة الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى توفيت ضيفة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكان مرضها قرحة في مرق البطن وحس ودفنت بقلعة حلب وكان مولدها سنة احدى أو اثنتين وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب حين كانت حلب لا يهاها الملك العادل قبل أن يتزعمها منه أخوه السلطان صلاح الدين ويعطيها ابنه الظاهر غازي فاتفق مولدها ووفاتها بقلعة حلب ولما ولدت كان عند أبيها الملك العادل ضيف فسامها ضيفة فكانت مدة عمرها نحو تسع وخمسين سنة وكان الملك الظاهر صاحب حلب قد تزوج قبل ضيفة خاتون باختها غازية وتوفيت فلما توفيت غازية تزوج باختها ضيفة خاتون المذكورة وكانت ضيفة خاتون قد ملكت حلب بعد وفاة ابنها الملك العزيز وتصرفت في الملك تصرف السلاطين وقامت بالملك أحسن قيام وكانت مدة ملكها نحو ست سنين ولما توفيت كان عمر ابن ابنها الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز نحو ثلاث عشرة سنة فاشهد عليه انه بلغ وحكم واستقل بمملكة حلب وما هو مضاف اليها والمرجع في الامور الى جمال الدين اقبال الاسود الحنصلي الخاتوني

ذكر وفاة المستنصر بالله

وفي هذه السنة توفي المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بن الظاهر محمد بن الامام الناصر أحمد بكرة الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة الا شهرا وكان حسن السيرة عادلا في الرعية وهو الذي بنى المدرسة ببغداد المسماة بالمستنصرية على شط دجلة من الجانب الشرقي مما يلي دار الخلافة وجعل لها أوقافا جليلة على أنواع البر ولما مات المستنصر اتفق آراء أرباب الدولة مثل الدوادار والشرايبي على تقليد الخلافة ولده عبد الله واقبوه المستنصر بالله وهو سابع ثلاثينهم وآخرهم وكنيته أبو أحمد بن المستنصر بالله منصور وكان عبد الله المستنصر ضعيف الرأي فاستبد كبار دولته بالامر وحسنوا له قطع الاجناد وجمع المال ومدارة التتر ففعل ذلك وقطع أكثر العساكر **ثم دخلت سنة احدى وأربعين وستمائة** في هذه السنة قصدت التتر بلاد غيات الدين كيخسرو بن كيقياد بن كيخسرو بن قليج أرسلان السلجوقي صاحب بلاد الروم فارسل واستنجد بالحليين فارسلوا اليه نجدة مع ناصح الدين الفارسي وجمع العساكر من كل جهة والتقى مع التتر فانهزمت عساكر الروم هزيمة قبيحة وقتل التتر وأسروا منهم

خلفا كثيرا وتحكمت التتر في البلاد واستولوا أيضا على خلاط وآمد وبلادهما وهرب
غياث الدين كيخسرو الى بعض المعاقل ثم أرسل الى التتر وطلب الامان ودخل في طاعتهم
ثم توفي غياث الدين كيخسرو المذكور بعد ذلك في سنة أربع وخمسين وستمائة حسبما
نذكره ان شاء الله تعالى وخاف صغيرين وهما ركن الدين وعز الدين ثم هرب عز
الدين الى قسطنطينية وبقي ركن الدين في الملك تحت حكم التتر والحاكم البرواناه معين
الدين سليمان والبرواناه لقبه وهو اسم الحاجب بالمعجمي ثم ان البرواناه قتل ركن الدين
وأقام في الملك ولد له صغيرا (وفيها) كانت المراسلة بين الصالح أيوب صاحب مصر
والصالح اسمعيل صاحب دمشق في الصلح وأن يطلق الصالح اسمعيل المغيث فتح الدين
عمر ابن الملك الصالح أيوب وحسام الدين بن أبي علي الهذلي وكانا معتقلين عند الملك
الصالح اسمعيل فاطلق حسام الدين بن أبي علي وجهزه الى مصر واستمر الملك المغيث
ابن الصالح أيوب في الاعتقال واتفق الصالح اسمعيل مع الناصر داود صاحب الكرك
واعترض بالفرنج ولما أيضا الى الفرنج عسقلان وطبرية فعمر الفرنج قلعتيها ولما أيضا
اليهم القدس بما فيه من المزارات قال القاضي جمال الدين بن واصل ومهرت اذ ذاك
بالقدس متوجها الى مصر ورأيت القسوس وقد جعلوا على الصخرة قناني الخمر للقربان
(ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وستمائة)

ذكر المصاف الذي كان بين عسكر مصر ومعهم الخوارزمية

وبين عسكر دمشق ومعهم الفرنج وصاحب حمص

في هذه السنة وصلت الخوارزمية الى غزة باستدعاء الملك الصالح أيوب لتصرتة على عمه
الصالح اسمعيل وكان مسيرهم على حارم والروج الى أطراف بلاد دمشق حتى وصلوا
الى غزة ووصل اليهم عدة كثيرة من العساكر المصرية مع ركن الدين يبرس مملوك
الملك الصالح أيوب وكان من أكبر مماليكه وهو الذي دخل معه الحبس لما حبس في
الكرك وأرسل الملك الصالح اسمعيل عسكر دمشق مع الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه
صاحب حمص وسار صاحب حمص جريدة ودخل عكا فاستدعى الفرنج على ما كان قد
وقع عليه اتفاقهم ووعدهم بجزء من بلاد مصر فخرجت الفرنج بالفارس والراجل
واجتمعوا أيضا بصاحب حمص وعسكر دمشق والكرك ولم يحضر الناصر داود ذلك
والتقى الفريقان بظاهر غزة فولى عسكر دمشق وصاحب حمص ابراهيم والفرنج منهزمين
وتبهم عسكر مصر والخوارزمية فقتلوا منهم خلقا عظيما واستولى الملك الصالح أيوب
صاحب مصر على غزة والسواحل والقدس ووصلت الاسرى والرؤس الى مصر ودقت
بها البشائر عدة أيام ثم أرسل الملك الصالح صاحب مصر باقى عسكر مصر مع معين

الدين ابن الشيخ واجتمع اليه من بالشام من عسكر مصر والحوارزمية وساروا الى دمشق وحاصروها وبها صاحبها الملك الصالح اسمعيل و ابراهيم بن شيركوه صاحب حصن وخرجت هذه السنة وهم محاصروها

ذكر وفاة صاحب حماة

في هذه السنة توفي جد الملك المظفر صاحب حماة تقي الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب يوم السبت ثامن جمادى الاولى من هذه السنة أعني سنة اثنتين وأربعين وستمائة وكانت مدة مملكته لخمسة عشر سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام كان منها مريضاً بالفالج سنتين وتسعة أشهر وأياماً وكانت وفاته وهو مفلوج بجمي حادة عرضت له وكان عمره ثلاثاً وأربعين سنة لان مولده سنة تسع وتسعين وخمس مائة وكان شهماً شجاعاً فطنا ذكياً وكان يحب أهل الفضائل والعلوم استخدم الشيخ علم الدين قيصر المعروف بتعاسيف وكان مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضية فبنى للملك المظفر المذكور ابراجاً بحمات وطاحونا على النهر العاصي وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم فيها جميع الكواكب المرصودة وعمات هذه الكرة بحمات قال القاضي جمال الدين بن واصل وساعدت الشيخ علم الدين على عملها وكان الملك المظفر يحضر ونحو رسمها ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها ولما مات الملك المظفر صاحب حماة ملك بعده ولده الملك المنصور محمد بن الملك المظفر محمود المذكور وعمره حينئذ عشر سنين وشهر واحد وثلاثة عشر يوماً والقائم بتدبير المملكة سيف الدين طغريل مملوك الملك المظفر ومشاركه الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد المعروف بشيخ الشيوخ والطواشي مرشد والوزير بهاء الدين بن التاج ومرجع الجميع الى والدة الملك المنصور غازية خاتون بنت الملك الكامل (وفيها) بلغ الملك الصالح نجم الدين أيوب وفاة ابنه الملك المغيث فتح الدين عمر في حبس الصالح اسمعيل صاحب دمشق فاشتد حزن الصالح أيوب عليه وحنقه على الصالح اسمعيل (وفي هذه السنة) توفي الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب ميافارقين واستقر بعده في ملكه ولده الملك الكامل ناصر الدين محمد بن غازي (وفيها) سير من حماة الشيخ تاج الدين أحمد بن محمد بن نصر الله المعروف ببنه بنى المغيرك رسولا الى الخليفة بغداد وصحبه مقدمة من السلطان الملك المنصور صاحب حماة (وفيها) توفي القاضي شهاب الدين ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن علي بن محمد الشافعي عرف بابن أبي الدم قاضي حماة وكان قد توجه في الرسالة الى بغداد فمضى في المرة وعاد الى حماة مريضاً فتوفي بها وهو الذي ألف التاريخ الكبير للمظفر وغيره (ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

وستامة) فيها سير الصالح اسمعيل وزيره أمين الدولة الذي كان سامريا وأسلم الى العراق
مستشفعا بالخليفة ليصلح بينه وبين ابن أخيه فلم يجب الخليفة الى ذلك وكان أمين الدولة
غالبا على الملك الصالح اسمعيل المذكور بحيث لا يخرج عن رأيه

ذكر استيلاء الملك الصالح أيوب على دمشق

وفيهما تسلم عسكر الملك الصالح أيوب ومقدمهم معين الدين ابن الشيخ دمشق من الصالح
اسمعيل بن الملك العادل وكان محصورا معه بدمشق ابراهيم بن شيركوه صاحب حصن
قتلم دمشق على أن يستقر بيد الملك الصالح اسمعيل بعلبك وبصرى والسواد ويستقر
بيد صاحب حصن حماه وما هو مضاف اليها فاجابها معين الدين ابن الشيخ الى ذلك ووصل
الى دمشق حسام الدين ابن أبي علي بمن كان معه من العسكر المصري واتفق بعد تسليم
دمشق ان معين الدين ابن الشيخ مرض وتوفي بها وبقي حسام الدين بن أبي علي نائبا
بدمشق للملك الصالح أيوب ثم ان الخوارزمية خرجوا عن طاعة الملك الصالح أيوب فانهم
كانوا يمتقدون انهم اذا كسروا الصالح اسمعيل وفتحوا دمشق يحصل لهم من البلاد
والاقتطاعات ما يرضى خاطرهم فلما لم يحصل لهم ذلك خرجوا عن طاعة الملك الصالح أيوب
وصاروا مع الملك الصالح اسمعيل وانضم اليهم الناصر داود صاحب الكرك وساروا الى
دمشق وحصروها وغلت بها الاقوات وقاسى أهلها شدة عظيمة لم يسمع بمثلا وقام حسام
الدين ابن أبي علي الهذباني في حفظ دمشق أتم قيام وخرجت السنة والامر على ذلك

ذكر غير ذلك من الحوادث

وفي هذه السنة قصدت التتر بغداد وخرجت عساكر بغداد للقائهم ولم يكن للتر بهم طاقة
فولى التتر منزهين على أعقابهم تحت الليل * وفي هذه السنة * توفيت ربيعة خاتون بنت
أيوب أخت السلطان صلاح الدين بدمشق بدار العقيق وكانت قد تجاوزت ثمانين سنة
وبنت مدرسة للحنابلة بجبل الصالحية (وفيها) توفي الشيخ تقي الدين عثمان بن عبد
الرحمن بن عثمان بن الصلاح الفقيه المحدث (وفيها) توفي علم الدين علي بن محمد بن عبد
الصمد السخاوي شرح قصيدة الشاطبي في القراءات وشرح المفصل للزمخشري وسمى
شرحه المفصل في شرح المفصل وله مجموع سماه كتاب سفر السعادة وسفير الاقادة ذكر
فيه مسائل مشكلة في النحو وعدة من آيات المعاني ولغة غريبة (وفي هذه السنة)
لما تسلم دمشق الملك الصالح أيوب تسلمت نواب الملك المنصور صاحب حماة سلمية
واتزعوها من صاحب حصن واستقرت سلمية في هذه السنة في ملك الملك المنصور
صاحب حماة (وفيها) توفي الشيخ موفق الدين أبو البقاء يعيش بن محمد بن علي الموصلي
الاصل الحلبي المولد والمنشأ النحوي ويعرف بابن الصائغ وكان طريقا حسن المحاضرة

شرح المفصل شرحا مستوفي ليس في الشروح مثله وله غير ذلك وولد في رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة بحلب وتوفي بها في التاريخ المذكور ودفن بالمقام (ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمائة)

ذكر كسرة الخوارزمية على القصب واستيلاء الصالح أيوب على بعلبك

كنا قد ذكرنا اتفاق الخوارزمية مع الصالح اسمعيل والناصر داود ومحاصرتهم دمشق وبها حسام الدين بن أبي علي ولما وقع ذلك اتفق الخليون والملك المنصور ابراهيم صاحب حمص وصاروا مع الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل وقصدوا الخوارزمية فرحلت الخوارزمية عن دمشق وساروا الى نحو الحليين وصاحب حمص والتقوا على القصب في هذه السنة فانهزمت الخوارزمية هزيمة قبيحة تشتت شملهم بعدها وقتل مقدمهم حسام الدين بركة خان وحمل رأسه الى حلب ومضت طائفة من الخوارزميين مع مقدمهم كشلو خان الخوارزمي فلحقوا بالتر وصاروا معهم وانقطع منهم جماعة وتفرقوا في الشام وخدموا به وكفى الله الناس شرهم ولما وصل خبر كسرتهم الى الملك الصالح أيوب بديار مصر فرح فرحا عظيما ودقت البشائر بمصر وزال ما كان عنده من الغيظ على ابراهيم صاحب حمص وحصل بينهما التصافي بسبب ذلك وأما الصالح اسمعيل فانه سار الى الملك الناصر يوسف صاحب حلب واستجار به وأرسل الصالح أيوب يطلبه فلم يسلمه الملك الناصر اليه ولما جرى ذلك رحل حسام الدين بن أبي علي الهذباني بمن عنده من العسكر بدمشق ونازل بعلبك وبها أولاد الصالح اسمعيل وحاصرها وتسلمها بالامان وحمل أولاد الصالح اسمعيل الى الملك الصالح أيوب بديار مصر فاعتقلوا هناك وكذلك بعث بامير الدولة وزير الملك الصالح اسمعيل وأستاذ داره ناصر الدين يغمور فاعتقلا بمصر أيضا وزينت القاهرة ومصر ودقت البشائر بهما لفتح بعلبك واتفق في هذه الايام وفاة صاحب عجلون وهو سيف الدين بن قليج فتسلم الملك الصالح أيوب عجلون أيضا ولما جرى ما ذكرناه أرسل الملك الصالح أيوب عسكرا مع الامير نخر الدين يوسف ابن الشيخ وكان نخر الدين ابن الشيخ قد اعتقله الملك العادل أبو بكر ابن الملك الكامل ثم لما ملك الملك الصالح أيوب مصر أفرج عنه وأمره بملازمة بيته فلازمه مدة ثم قدمه في هذه السنة على العسكر وجهزه الى حرب الملك الناصر داود صاحب الكرك فسار نخر الدين المذكور واستولى على جميع بلاد الملك الناصر وولى عليها وسار الى الكرك وحاصرها وخرب ضياعها وضعف الملك الناصر ضعفا بالغا ولم يبق يده غير الكرك وحدها

ذكر غير ذلك من الحوادث

في هذه السنة حبس الصالح أيوب مملوكه بيبرس وهو الذي كان معه لما اعتقل في الكرك وسببه ان بيبرس المذكور مال الى الخوارزمية والى الناصر داود وصار معهم على أستاذه لما جرده الى غزة كما تقدم ذكره فارسل أستاذه الصالح أيوب واستماله فوصل اليه فاعتقله في هذه السنة وكان آخر العهد به (وفيها) أرسل الملك المنصور ابراهيم صاحب حصن ابن شيركوه وطلب دستوراً من الملك الصالح أيوب ليصل الى بابه وينتظم في سلك خدمته وكان قد حصل براهيم المذكور السل وسار على تلك الحالة من حصن متوجهاً الى الديار المصرية ووصل الى دمشق فقوى به المرض وتوفي في دمشق فنقل الى حصن ودفن بها وملك بعده ولده الملك الاشرف مظفر الدين موسى ابن الملك المنصور ابراهيم المذكور (وفي هذه السنة) بعد فتوح دمشق وبعلبك استدعى الملك الصالح أيوب خدمة حسام الدين بن أبي علي الى مصر وأرسل موضعه نائباً بدمشق الامير جمال الدين بن مطروح ولما وصل حسام الدين بن أبي علي الى مصر استنابه الملك الصالح بها وسار الملك الصالح أيوب الى دمشق ثم سار منها الى بعلبك ثم عاد الى دمشق ووصل الى خدمة الملك الصالح أيوب بدمشق الملك المنصور محمد صاحب حماة والملك الاشرف موسى صاحب حصن فاكرمهما وقربهما ثم أعطاهما الدستور فعدا الى بلادهما واستمر الملك الصالح بالشام حتى خرجت هذه السنة (وفي هذه السنة) توفي عماد الدين داود بن موشك بالكرك وكان جامعاً لمكارم الاخلاق * (ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة) * وفيها عاد الملك الصالح نجم الدين أيوب من الشام الى الديار المصرية (وفيها) فتح نجر الدين ابن الشيخ قلعى عسقلان وطبرية والملك الصالح بالشام بعد محاصرتيها مدة وكنا قد ذكرنا تسليمهما الى الفرنج في سنة احدى وأربعين وستمائة فعمروهما واستمرتتا بأيدي الفرنج حتى فتحنا في هذه السنة (وفيها) سلم الاشرف صاحب حصن شميميس للملك الصالح أيوب فمظم ذلك على الحليين لئلا يحصل الطمع للملك الصالح في ملك باقى الشام (وفيها) توفي الملك العادل أبو بكر ابن السلطان الملك الكامل بالحبس وأمه الست السوداء تعرف بنت الفقيه نصر وكان مسجوناً من حين قبض عليه بيليس الى هذه الغاية فكان مدة مقامه بالسجن نحو ثمان سنين وكان عمره نحو ثلاثين سنة وخلف ولداً صغيراً وهو الملك المغيث فتح الدين عمر وهو الذي ملك الكرك فيما بعد ثم قتله الملك الظاهر بيبرس على ما سنذكره ان شاء الله تعالى (وفي هذه السنة) توجه الطواشي مرشد المنصورى ومجاهد الدين أمير جندار من حماة الى حلب وأحضرا بنت الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر صاحب حلب وهى عائشة خاتون زوج الملك المنصور

صاحب حماة وحضرت معها أمها فاطمة خاتون بنت السلطان الملك الكامل ابن الملك العادل ووصلت الى حماة في العشر الاوسط من رمضان من هذه السنة أعني سنة خمس وأربعين وستمائة ووصلت في تجمل عظيم واحتفل للقائها بحماسة احتفالا عظيما (وفي هذه السنة) توفي علاء الدين قرا سنقر الساقى العادلى أحد مماليك الملك العادل بن أيوب وصارت مماليكه بالولاء للملك الصالح أيوب ومنهم سيف الدين قلاوون الصالحى الذى صار له ملك مصر والشام على ما سئذ كره ان شاء الله تعالى (وفيها) توفي عمر بن محمد بن عبد الله المعروف بالشلوينى باشيلية كان فاضلا ماما في النحو شرح الجزولية وصنف في النحو غير ذلك وكان فيه مع هذه الفضيلة التامة بله وغفلة وكنيته أبو على والشلوينى نسبة الى شلوين وهو حصن منيع من حصون الاندلس من معاملة سواحل غرناطة على بحر الروم منه عمر الشلوينى المذكور هذا مانص عليه ابن سعيد المغربى في كتابه الكبير المسمى بالمغرب في أخبار أهل المغرب في المجلدة الخامسة عشرة بعد ذكر غرناطة قال وقد وصف حصن شلوين المذكور ومنه الشيخ أبو على عمر الشلوينى قال وقرأت عليه النحو وكان امام نحاة أهل المغرب وكان في طبقة أبي على الفارسى ومن هنا يتحقق ان الذى نقله القاضى شمس الدين ابن خلكان ومن تابعه ان الشلوين هو الايض الاشقر بلغة أهل الاندلس وهم محض لعدم وقوفهم على كتاب المغرب في حلى أهل المغرب المذكور (ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة) فيها أرسل الملك الناصر صاحب حلب عسكريا مع شمس الدين لولو الارمنى فحاصروا الملك الاشرف موسى بمحص مدة شهرين فسلم اليهم حصن وتموض عنها بتل باشر مضافا الى ما بيده من تدمر والرحبة ولما بلغ الملك الصالح نجم الدين أيوب ذلك شق عليه وسار الى الشام لارتجاع حصن من الحليين وكان قد حصل له مرض وورم في مابطنه ثم فتح وحصل منه ناصور ووصل الملك الصالح الى دمشق وأرسل عسكريا الى حصن مع حسام الدين ابن أبي على نحر الدين ابن الشيخ فنازلوا حصن وحاصروها ونصبوا عليها منجنيقا مغربيا يرمى بحجر زنتها مائة وأربعون رطلا بالشامى مع عدة منجنيقات أخر وكان الشتاء والبرد قويا واستمر عليها الحصار واتفق حينئذ وصول الخبر الى الملك الصالح وهو بدمشق بوصول الفرنج الى جهة دمياط وكان أيضا قد قوى مرضه ووصل أيضا نجم الدين الباذراى رسول الخليفة وسمى في الصلح بين الملك الصالح والحليين وان تستقر حصن بيد الحليين فاجاب الملك الصالح الى ذلك وأمر العسكر فرحلوا عن حصن بعد ان أشرفوا على أخذها ثم رحل الملك الصالح عن دمشق في محفة لقوة مرضه واستتاب بدمشق جمال الدين بن يمامور وعزل ابن مطروح وأرسل حسام الدين ابن أبي على قدما له يسبقه الى مصر وينوب عنه بها

(وفيها) في يوم الخميس السادس والعشرين من شوال من السنة المذكورة أعنى سنة ست وأربعين وستمائة توفي أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس المعروف بابن الحاجب الملقب جمال الدين وكان والده عمر حاجيا للامير عز الدين بن موسك الصلاحي وكان كрдيا واشتغل ولده أبو عمرو المذكور بالقاهرة في صغره بالقرآن والفقہ على مذهب مالك بن أنس وبالمرية وبرع في علومه وأتقنها ثم انتقل الى دمشق ودرس بجامعها واكب الخلق على الاشتغال عليه ثم عاد الى القاهرة ثم انتقل الى الاسكندرية فتوفي بها وكان مولد الشيخ أبي عمرو المذكور في أواخر سنة سبعين وخمسائة باسنا بليدة بالصعيد وكان الشيخ أبو عمرو المذكور متفنا في علوم شتى وكان الاغلب عليه علم العربية وأصول الفقه صنف في العربية مقدمته الكافية واختصر كتاب الاحكام للامدى في أصول الفقه فطبق ذكر هذين الكتابين أعنى الكافية ومختصره في أصول الفقه جميع البلاد خصوصا بلاد المعجم وأكب الناس على الاشتغال بهما الى زماننا هذا وله غيرهما عدة مصنفات (وفيها) أعنى في سنة ست وأربعين وستمائة توفي عز الدين أيك المعظمى في محبسه بالقاهرة وكان المذكور قد ملك صرخد في سنة ثمان وستمائة حسبما تقدم ذكره في السنة المذكورة وقال ابن خلكان انه ملك صرخد في سنة احدى عشرة وستمائة قال لان أستاذه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب حجج في السنة المذكورة وأخذ صرخد من صاحبها ابن قراجا وأعطاه مملوكه أيك المذكور والظاهر ان الاول أصح واستمرت في يد أيك الى سنة أربع وأربعين وستمائة فاخذها الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل من أيك المذكور وامسك أيك في السنة المذكورة وحمله الى القاهرة وحبسه في دار الطوائى صواب واستمر معتقلا بها حتى توفي معتقلا في هذه السنة في أوائل جمادى الاولى ودفن خارج باب النصر في تربة شمس الدولة ثم نقل الى الشام ودفن في تربة كان قد انشاها بظاهر دمشق على الشرف الاعلى مطلة على الميدان الاخضر الكبير رحمه الله تعالى هكذا نقلت ذلك من وفيات الاعيان (ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستمائة)

(ذكر ملك الفرنج دمياط ونزول الملك الصالح اشمون طنناخ)

وفي هذه السنة سار ريد افرانس وهو من أعظم ملوك الفرنج ويريد بلقتهم هو الملك أى ملك افرانس وافرانس امة عظيمة من امم الفرنج وكان جمع ريد افرانس نحو خمسين الف مقاتل وشتى في جزيرة قبرس ثم سار ووصل في هذه السنة الى دمياط وكان قد شعثها الملك الصالح بالآت عظيمة وذخائر وافرة وجعل فيها بنى كنانة وهم مشهورون بالشجاعة وكان قد أرسل الملك الصالح فخر الدين ابن الشيخ بجماعة كثيرة من العسكر

ليكونوا قبالة الفرنج بظاهر دمياط ولما وصلت الفرنج عبر فخر الدين ابن الشيخ من البر الغربي الى البر الشرقي ووصل الفرنج الى البر الغربي لتسع بقين من صفر هذه السنة ولما جرى ذلك هربت بنو كنانة وأهل دمياط منها واخلوا دمياط وتركوا أبوابها مفتحة فتملكها الفرنج بغير قتال واستولوا على ما بها من الذخائر والسلاحات وكان هذا من أعظم المصائب وعظم ذلك على الملك الصالح وأمر بشنق بنى كنانة فشنقوا عن آخرهم ووصل الملك الصالح الى المنصورة ونزل بها يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر هذه السنة وقد اشتد مرضه وهو السل والقرحة التي كانت به وقد ايس منه

(ذكر استيلاء الملك الصالح ايوب على الكرك)

وفي هذه السنة سار الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر ابن ايوب من الكرك الى حلب لما ضاقت عليه الامور مستنجرا بالملك الناصر صاحب حلب وكان قد بقي عند الناصر داود من الجوهر مقدار كثير قال كان يساوي مائة الف دينار اذا بيع بالهوان فلما وصل الى حلب سير الجوهر المذكور الى بغداد وأودعه عند الخليفة المستعصم ووصل اليه خط الخليفة بتسليمه فلم تقع عينه عليه بهد ذلك ولما سار الناصر داود عن الكرك استناب عليها ابنه عيسى ولقبه الملك المعظم وكان له ولدان آخران أكبر من عيسى المدكور هما الامجد حسن والظاهر شاذي فنضب الاخوان المذكوران من تقدم اخيهما عيسى عليهما وبعد سفر اييهما قبضا على أخيهما عيسى وتوجه الامجد حسن الى الملك الصالح ايوب وهو مريض على المنصورة وبذل له تسليم الكرك على اقطاع له ولاخيه بديار مصر فاحسن اليه الصالح ايوب واعطاهما اقطاعا أرضاهما وأرسل الى الكرك وتسلمها يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة من هذه السنة وفرح الملك الصالح بالكرك فرحا عظيما مع ما هو فيه من المرض لما كان في خاطره من صاحبها

(ذكر وفاة الملك الصالح ايوب)

وفي هذه السنة توفي الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل محمد بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب في ليلة الاحد لاربع عشرة ليلة مضت من شعبان هذه السنة أعني سنة سبع وأربعين وستمائة وكانت مدة مملكته للديار المصرية تسع سنين وثمانية أشهر وعشرين يوما وكان عمره نحو أربع وأربعين سنة وكان مهيبا عالي الهمة عفيفا طاهر اللسان والذيل شديد الوقار كثير الصمت وجمع من المماليك الترك ما لم يجتمع لغيره من أهل بيته حتى كان أكثر أمراء عسكره مماليكه ورتب جماعة من المماليك الترك حول دهليزه وسماهم البحرية وكان لا يجسر أن يخاطبه أحد الاجوابا ولا يتكلم أحد بحضوره ابتداء

وكانت القصص توضع بين يديه مع الخدام فيكتب بيده عليها وتخرج للموقمين وكان لا يستقل أحد من أهل دولته بأمر من الأمور إلا بعد مشاورته بالقصص وكان زاويا بالعمارة بنى قلعة الجزيرة وبنى الصالحية وهي بلدة بالساحل وبنى له بها قصورا للتصيد وبنى قصرا عظيما بين مصر والقاهرة يسمى بالكباش وكانت أم الملك الصالح أيوب المذكور جارية سوداء تسمى ورد المنى غشيا السلطان الملك الكامل فحملت بالملك الصالح وكان للملك الصالح ثلاثة أولاد أحدهم قح الدين عمر توفي في حبس الصالح اسماعيل وكان قد توفي ولده الآخر قبله ولم يكن قد بقى له غير المعظم تورانشاه بحسن كيفا ومات الملك الصالح ولم يوص بالملك الى أحد فلما توفي أحضرت شجر الدر وهي جارية الملك الصالح نحر الدين ابن الشيخ والطواشي جمال الدين محسنا وعرقهما بموت السلطان فكتما ذلك خوفا من الفرنج وجمعت شجر الدر الامراء وقالت لهم السلطان يأمركم أن تحلفوا له ثم من بعده لولده الملك المعظم تورانشاه المقيم بحسن كيفا وللأمير نحر الدين ابن الشيخ بآبكية المسكر وكتبت الى حسام الدين بن أبي علي وهو النائب بمصر بمثل ذلك فخلفت الامراء والاجناد والكبراء بالمسكرو بمصر وبالقاهرة على ذلك في العشر الاوسط من شعبان هذه السنة وكان بمد ذلك تخرج الكتب والمراسم وعليها علامة الملك الصالح وكان يكتبها خادم يقال له السهيلي فلا يشك أحد في انه خط السلطان فأرسل فخر الدين ابن الشيخ قاصدا لاحضار الملك المعظم من حصن كيفا ولما جرى ذلك شاع بين الناس موت السلطان ولكن أرباب الدولة لا يجسرون أن يتفوهوا بذلك وتقدم الفرنج عن دمياط الى المنصورة وجرى بينهم وبين المسلمين في مستهل رمضان من هذه السنة وقعة عظيمة استشهد فيها جماعة من كبار المسلمين ونزلت الفرنج بحر مساح ثم قربوا من المسلمين ثم ان الفرنج كبسوا المسلمين على المنصورة بكرة الثلاث لحمس ماضين من ذى القعدة وكان فخر الدين يوسف ابن الشيخ صدر الدين ابن حمويه في الحمام بالمنصورة فركب مسرعا وصادفه جماعة من الفرنج فقتلوه وكان سعيدا في الدنيا ومات شهيدا ثم حملت المسلمون والترك البحرية على الفرنج فردوهم على أعقابهم واستمرت بهم الهزيمة وأما الملك المعظم تورانشاه فانه سار من حصن كيفا ووصل الى دمشق في رمضان من هذه السنة وعيدها عيد الفطر ووصل الى المنصورة يوم الخميس لتسع بقين من ذى القعدة من هذه السنة أعنى سنة سبع وأربعين سوسنة ثم اشتد القتال بين المسلمين والفرنج برا وبحرا ووقعت مراكب المسلمين على الفرنج وأخذوا منهم اثنين وثلاثين مركبا منها تسع شوانى قضعت الفرنج لذلك وأرسلوا يطلبون القدس وبعض الساحل وأن يسلموا دمياط الى المسلمين فلم تقع الاجابة الى ذلك

(ذكر غير ذلك)

(وفي هذه السنة) وقع الحرب بين صاحب الموصل بدر الدين لولو وبين الملك الناصر صاحب حلب فأرسل اليه الملك الناصر عسكرا واتقوا مع المواصلة بظاهر نصيبين فانهزمت المواصلة هزيمة قبيحة واستولى الحليون على اقال لولو صاحب الموصل وخيمه وتسلم الحليون نصيبين وأخذوها من صاحب الموصل ثم ساروا الى دارا فتأزولوها وتسلموها وخربوها بعد حصار ثلاثة أشهر ثم تسلموا قرقيسيا وعادوا الى حلب (ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة)

﴿ ذكر هزيمة الفرنج وأسر ملكهم ﴾

لما أقام الفرنج قبالة المسلمين بالمنصورة فبیت أزوادهم وانقطع عنهم المدد من دمياط فان المسلمين قطعوا الطريق الواصل من دمياط اليهم فلم يبق لهم صبر على المقام فرحلوا ليلة الاربعاء لثلاث مضين من المحرم متوجهين الى دمياط وركب المسلمون اكتافهم ولما استقر صباح الاربعاء خالطهم المسلمون وبدلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وبلغت عدة القتلى من الفرنج ثلاثين ألفا على ما قيل وانحاز ريد افرانس ومن معه من الملوك الى بلد هناك وطلبوا الامان فأمهم الطواشي محسن الصالحى ثم احتيط عليهم وأحضروا الى المنصورة وقيد ريد افرانس وجعل في الدار التي كان ينزلها كاتب الانشاء نحر الدين بن لقمان ووكل به الطواشي صبيح المعظمي ولما جرى ذلك رسل الملك المعظم بالعساكر من المنصورة ونزل بفارسكور ونصب بها برج خشب للملك المعظم

(ذكر مقتل الملك المعظم)

(وفي هذه السنة) يوم الاثنين ليلة بقيت من المحرم قتل الملك المعظم تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وسبب ذلك ان المذكور أطرح جانب أمراء أبيه ومماليكه وكل منهم بلغه عنه من التهديد والوعيد مانفر قلبه منه واعتمد على بطائه الذين وصلوا معه من حصن كيفا وكانوا اطرافا أراذل فاجتمعت البحرية على قتله بعد نزوله بفارسكور وهجموا عليه بالسيوف وكان أول من ضربه ركن الدين يبرس الذي صار سلطانا فيما بعد على ماسند كره ان شاء الله تعالى فهرب الملك المعظم منهم الى البرج الخشب الذي نصب له بفارسكور على ما تقدم ذكره فأطلقوا في البرج النار فخرج الملك المعظم من البرج هاربا طالبا البحر ليركب في حراقة فخالوا بينه وبينها بالنشاب فطرح نفسه في البحر فأدر كوه وأتموا قتله في نهار الاثنين المذكور وكانت مدة اقامته في المملكة من حين وصوله الى الديار المصرية شهرين

وأياما ولما جرى ذلك اجتمعت الامراء واتفقوا على أن يقيموا شجر الدر زوجة الملك الصالح في المملكة وأن يكون عز الدين أيك الجاشنكير الصالحى المعروف بالتركانى اتابك المسكر وحلفوا على ذلك وخطب لشجر الدر على المنابر وضربت السكة باسمها وكان نقش السكة المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل وكانت شجر الدر قد ولدت من الملك الصالح ولدا ومات صغيرا وكان اسمه خليل فسميت والدة خليل وكانت صورة علامتها على المناشير والتواقيع والدة خليل ولما استقر ذلك وقع الحديث مع ريد افرنس في تسليم دمياط بالافراج عنه فتقدم ريد افرنس الى من بها من نوابه في تسليمها فسلموها وصعد اليها العلم السلطاني يوم الجمعة لثلاث مضيئين من صفر من هذه السنة أعنى سنة ثمان وأربعين وستمائة واطلق ريد افرنس فركب في البحر بمن سلم معه نهار السبت غد الجمعة المذكورة واقلموا الى عكا ووردت البشرى بهذا الفتح العظيم الى سائر الاقطار وفي واقعة ريد افرنس المذكورة يقول جمال الدين يحيى بن مطروح أياتا منها

قل للفرنسيس اذا جتته	مقال صدق عن قؤول نصيح
أتيت مصرا تبتغى ملكها	تحسب ان الزمر ياطبل ربح
وكل أصحابك أوردتهم	بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفا لا يرى منهم	غير قتيل أو أسير جريح
وقل لهم ان أضمروا عودة	لاخذ نار أولقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها	والقيد باقى والطواشي صييح

ثم عادت العساكر ودخلت القاهرة يوم الخميس تاسع صفر من السنة المذكورة وأرسل المصريون رسولا الى الامراء الذين بدمشق في موافقتهم على ذلك فلم يجيبوا اليه وكان الملك السعيد ابن الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل صاحب الصبية قد سلمها الى الملك الصالح أيوب فلما جرى ذلك قصد قلعة الصبية فسلمت اليه وكان من الملك السعيد ما سذكروه ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك الملك المغيث الكرك)

كان الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب قد أرسله الملك المعظم تورانشاه لما وصل الى الديار المصرية الى الشوبك واعتقله بها وكان النائب على الكرك والشوبك بدر الدين الصوابي الصالحى فلما جرى ما ذكرناه من قتل الملك المعظم ولما استقر عليه الحال بادر بدر الدين الصوابي المذكور فافرج عن المغيث وملكه القلمتين الكرك والشوبك وقام

في خدمته أتم قيام

(ذكر استيلاء الملك الناصر صاحب حلب على دمشق)

ولما جرى ما ذكرناه ولم يجب أمراء دمشق الى ذلك كاتب الامراء القيمرية الذين به الملك الناصر يوسف صاحب حلب ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين فسار اليهم وملك دمشق ودخلها في يوم السبت لثمان مضي من ربيع الآخر من هذه السنة ولما استقر الناصر المذكور في ملك دمشق خلع على جمال الدين ابن يغمور وعلى الامراء القيمرية به وأحسن اليهم واعتقل جماعة من الامراء عماليك الملك الصالح وعصت عليه بعلبك وعجلون وشميميس مدة مديدة ثم سلمت جميعها اليه ولما ورد الخبر بذلك الى مصر قبضوا على من عندهم من القيمرية وعلى كل من اتهم بالميل الى الحلبيين

(ذكر سلطنة أيبك التركماني)

ثم ان كبراء الدولة اتفقوا على اقامة عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحى في السلطنة لانه اذا استقر أمر المملكة في امرأة على ما هو عليه الحال تفسد الامور فأقاموا أيبك المذكور وركب بالسناجق السلطانية وحملت الغاشية بين يديه يوم السبت آخر ربيع الآخر من هذه السنة ولقب الملك المعز وأبطلت السكة والخطبة التي كانت باسم شجر الدر

(ذكر عقد السلطنة للملك الأشرف موسى ابن يوسف صاحب

اليمين المعروف باقسييس)

ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب * ثم اجتمعت الامراء واتفقوا على انه لا بد من اقامة شخص من بنى أيوب في السلطنة واجتمعوا على اقامة موسى المذكور ولقبوه الملك الأشرف وأن يكون أيبك التركماني اتابكه وأجلس الأشرف موسى المذكور في دست السلطنة وحضرت الامراء في خدمته يوم السبت لخمس مضي من جمادى الاولى من هذه السنة وكان بفترة حينئذ جماعة من عسكر مصر مقدمهم خاص ترك فسار اليهم عسكر دمشق فاندفعوا من غزة الى الصالحية بالسايح واتفقوا على طاعة المغيث صاحب الكرك وخطبوا له بالصالحية يوم الجمعة لاربع مضي من جمادى الآخرة من هذه السنة ولما جرى ذلك اتفق كبراء الدولة بمصر ونادوا بالقاهرة ومصر أن البلاد للخليفة المستعصم ثم جددت الايمان للملك الأشرف موسى بالسلطنة ولايبك التركماني بالاتابكية وفي يوم الاحد لخمس مضي من رجب رحل فارس الدين اقطاي الصالحى الجمدار متوجها الى جهة غزة ومعه تقدير ألفي فارس وكان اقطاي المذكور مقدم البحرية

فلما وصل الى غزة اندفع من كان بها من جهة الملك الناصر بين يديه

﴿ ذكر تخريب دمياط ﴾

(وفي هذه السنة) اتفق آراء أ كابر الدولة وهدموا سور دمياط في العشر الاخير من شعبان هذه السنة لما حصل للاميرين عليها من الشدة مرة بعد أخرى وبنوا مدينة بالقرب منها في البروسموها المنشية واسوار دمياط التي هدمت من عمارة المتوكل الخليفة العباسي
(ذكر القبض على الناصر داود)

(وفي هذه السنة) استهل شعبان قبض الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب على الناصر داود الذي كان صاحب الكرك وبثبه الى حص فاعتقل بها وذلك لاشياء بلغت الناصر يوسف عن المذكور خاف منها

(ذكر مسير السلطان الملك الناصر يوسف صاحب الشام الى الديار المصرية وكسرتة)

(وفي هذه السنة) سار الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز بعساكره من دمشق وصحبته من ملوك أهل بيته الصالح اسماعيل بن العادل بن أيوب والاشرف موسى صاحب حص وهو حينئذ صاحب تل باشر والرحبة وتدمر والمعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين وأخو المعظم المذكور نصره الدين والامجد حسن والظاهر شاذي ابنا الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى بن العادل بن أيوب وتقى الدين عباس ابن الملك العادل بن أيوب ومقدم الجيش شمس الدين لولو الارمني واليه تدير المملكة فرحلوا من دمشق يوم الاحد منتصف رمضان من هذه السنة ولما بلغ المصريين ذلك اهتموا لقتاله ودفعه وبرزوا الى الساج وتركوا الاشرف المسمى بالسلطان بقلعة الجبل وافرغ أيك التركاني حينئذ عن ولدي الصالح اسماعيل وهما المنصور ابراهيم والملك السعيد عبد الملك ابنا الصالح اسماعيل وكانا معتقلين من حين استيلاء الملك الصالح أيوب على بعلبك وخلع عليهما ليتوهم الناصر يوسف صاحب دمشق من أيهما الصالح اسماعيل والتقى العسكري المصري والشامي بالقرب من العباسية في يوم الخميس طائر ذي القعدة من هذه السنة فكانت الكسرة اول اعلى عسكر مصر نخامر جماعة من المماليك الترك العزيزية على الملك الناصر صاحب دمشق وثبت المعز أيك التركاني في جماعة قليلة من البحرية فانضاف جماعة من العزيزية مماليك والد الملك الناصر الى ايك التركاني ولما انكسرت المصريون وتبعهم العساكر الشامية ولم يشكوا في النصر بقى الملك الناصر تحت السناجق السلطانية مع جماعة يسيرة من المتعممين لا يتحرك من موضعه فحمل المعز التركاني بمن معه عليه فولى الملك الناصر

منهزما طالبا جهة الشام ثم حمل أيبك التركاني المذكور على طاب شمس الدين لولو فهزمهم وأخذ شمس الدين لولو أسيرا فضربت عنقه بين يديه وكذلك أسر الامبرضياء الدين القيمرى فضربت عنقه وأسرو يومئذ الملك الصالح اسماعيل والاشرف صاحب حمص والمعظم تورانشاه بن صلاح الدين بن أيوب وأخوه نصره الدين ووصل عسكر الملك الناصر في أثر المهزمين الى العباسية وضربوا بها دهليز الملك الناصر وهم لا يشكون ان الهزيمة تمت على المصريين فلما بلغهم هروب الملك الناصر اختلفت آراؤهم فمنهم من أشار بالدخول الى القاهرة وتملكها ولو فعلوه لما كان بقي مع أيبك التركاني من يقاتلهم به وكان هرب فان غالب المصريين المهزمين وصلوا الى الصعيد ومنهم من أشار بالرجوع الى الشام وكان معهم تاج الملوك بن المعظم وهو مجروح وكانت الوقعة يوم الخميس ووصل المهزمون من المصريين الى القاهرة في غد الوقعة نهار الجمعة فلم يشك أهل مصر في ملك الملك الناصر ديار مصر وخطب له في الجمعة المذكورة بقلعة الجبل ومصر * وأما القاهرة فلم يقم فيها في ذلك النهار خطبة لاحد ثم وردت اليهم البشرى بانتصار البحرية ودخل أيبك التركاني والبحرية الى القاهرة يوم السبت ثمانى عشر ذى القعدة ومعه الصالح اسمعيل تحت الاحتياط وغيره من المعتقلين فحبسوا بقلعة الجبل وعقب ذلك اخرج أيبك التركاني أمين الدولة وزير الصالح اسماعيل واستاذ داره يغمور وكانا معتقلين من حين استيلاء الصالح أيوب على بعلبك فشنقهما على باب قلعة الجبل رابع عشر ذى القعدة وفي ليلة الاحد السابع والعشرين من ذى القعدة هجم جماعة على الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن الملك العادل بن أيوب وهو يمص قصب سكر وأخرجوه الى ظاهر قلعة الجبل من جهة القرافة فقتلوه ودفن هناك وعمره قريب من خمسين سنة وكانت أمه رومية من حظايا الملك العادل (وفي هذه السنة) بمد هزيمة الملك الناصر صاحب الشام سار فارس الدين اقطاي بثلاثة آلاف فارس الى غزة فاستولى عليها ثم عاد الى الديار المصرية

ذكر قتل صاحب اليمن

(وفي هذه السنة) وثب على الملك المنصور عمر صاحب اليمن جماعة من مماليكه فقتلوه وهو عمر بن علي بن رسول وكان والده علي بن رسول استاذ دار الملك المسعود ابن السلطان الملك الكامل * فلما سار الملك المسعود قاصدا الشام ومات بمكة على ما تقدم ذكره استتاب استاذ داره علي بن رسول المذكور باليمن فاستقر نائبا بها لبني أيوب وكان لعلي المذكور اخوة فاحضروا الى مصر وأخذوا رهائن خوفا من تغلب علي بن رسول على اليمن واستمر المذكور نائبا باليمن حتى مات قبل سنة ثلاثين

وستمائة واستولى على اليمن بعده ولده عمر بن علي المذكور على ما كان عليه ابوه من النيابة فارسل من مصر اعمامه ليمزلوه ويكونوا نوابا موضعه فلما وصلوا الي اليمن قبض عمر المذكور عليهم واعتقلهم واستقل عمر المذكور بملك اليمن يومئذ وتلقب بالملك المنصور واستكثر من المماليك الترك فقتلوه في هذه السنة أعنى سنة ثمان وأربعين وستمائة واستقر بعده في ملك اليمن ابنه يوسف بن عمر وتلقب بالملك المظفر وصفا له ملك اليمن وطالت أيام مملكته على ما سطره ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمائة) فيها توفي صاحب محبي الدين بن مطروح وكان متقدما عند الملك الصالح أيوب كان يتولي له لما كان الصالح بالشرق نظر الجيش ثم استعمله على دمشق ثم عزله وولى ابن يغمور وكان ابن مطروح المذكور فاضلا في النثر والنظم فن شعره

عاقته فسكرت من طيب الشذا	غصن رطيب بالنسيم قد اغتذا
نشوان ما شرب المدام وانما	أمسى بخمر رضا به متنبذا
جاء العذول يلومني من بعد ما	أخذ الغرام على فيه مأخذا
لأرعى لا اتسنى لا انتهى	عن حبه فليهد فيه من هذى
ان عشت عشت على الغرام وان امت	وجدا به وصباية يا حبيذا

(وفيها) حزز الملك الناصر يوسف صاحب الشام عسكريا الى غزة وخرج المصريون الى الساحل وأقاموا كذلك حتى خرجت هذه السنة (وفيها) توفي علم الدين قيصر ابن أبي القاسم بن عبد الغنى بن مسافر الفقيه الحنفي المقرئ المعروف بتعاسيف وكان اماما في العلوم الرياضية اشتغل بالديار المصرية والشام ثم سار الى الموصل وقرأ على الشيخ كمال الدين موسى بن يونس علم الموسيقى ثم عاد الى الشام وتوفي بدمشق في شهر رجب من السنة المذكورة ومولده سنة أربع وسبعين وخمسمائة باصفون من شرقي صعيد مصر (ثم دخلت سنة خمسين وستمائة) ولم يقع لنا فيها ما يصلح ان يؤرخ (ثم دخلت سنة احدى وخمسين وستمائة) فيها استقر الصلح بين الملك الناصر يوسف صاحب الشام وبين البحرية بصر على ان يكون للمصريين الى نهر الاردن وللملك الناصر ما وراء ذلك وكان نجم الدين البادراي رسول الخليفة هو الذي حضر من جهة الخليفة وأصلح بينهم على ذلك ورجع كل منهم الى مقره (وفيها) قطع أيك التركماني خبز حسام الدين ابن أبي الهذباتي فطلب دستوراً فاعطيه وسار الى الشام فاستخدمه الملك الناصر يوسف بدمشق

ذكر احوال الناصر صاحب الكرك

وفيها أفرج الملك الناصر يوسف عن الملك الناصر داود بن المعظم الذي كان صاحب

الكرك وكان قد اعتقله بقلعة حصن وذلك بشفاعة الخليفة المستعصم فيه فافرج عنه وأمره أن لا يسكن في بلاده فرحل الناصر داود المذكور الى جهة بغداد فلم يتمكنوا من الوصول اليها وطلب وديعته الجوهر فتموه اياها وكتب الملك الناصر يوسف الى ملوك الاطراف انهم لا يأووه ولا يميروه فبقى الناصر داود في جهات عانة والحديشة وضافت به الاحوال وبمن معه وانضم اليه جماعة من غزبه فبقوا يرحلون وينزلون جميعاً ثم لما قوى عليهم الحر ولم يبق بالبرية عشب قصدوا ازوار الفرات يقاسون بقى الليل وهو اجر النهار وكان معه أولاده وكان لولده الظاهر شاذى فهد فكان يتصيد في النهار ما يزيد على عشرة غزلان وكان يمضى للملك الناصر داود وأصحابه أياما لا يطعمون غير لحوم الغزلان واتفق ان الاشرف صاحب تل باشروا وتدمر والرحبة يومئذ أرسل الى الناصر داود مركبين موسقين دقيقا وشعيرا فأرسل صاحب دمشق وتهدده على ذلك ثم ان الناصر داود قصد مكانا للشرايى واستجار به فرتب له الثمرايى شيئاً دون كفايته وأذن له في النزول بالانبار وبينها وبين بغداد ثلاثة أيام والناصر داود مع ذلك يتضرع الى الخليفة المستعصم فلا يجيب ضارته ويطلب وديعته فلا يرد لطفه ولا يجيبه الا بالمطاطلة والمطاولة وكانت مدة مقامه متنقلا في الصحارى مع غزبه قريب ثلاثة أشهر ثم بعد ذلك أرسل الخليفة وتشفع فيه عند الملك الناصر فأذن له في العود الى دمشق ورتب له مائة ألف درهم على بحيرة قامية وغيرها فلم يتحصل له من ذلك الا دون ثلاثين ألف درهم (وفي هذه السنة) وصلت الاخبار من مكة بأن نارا ظهرت من عدن وبعض جبالها بحيث كانت تظهر في الليل ويرتفع منها في النهار دخان عظيم (ثم دخات سنة اثنتين وخمسين وستمائة)

ذكر دولة الحفصيين ملوك تونس

وانما ذكرناها في هذه السنة لانها كانت توسطة لمدة ملكهم وهو ما نقلناه من الشيخ الفاضل ركن الدين بن قوبع التونسي قال والحفصيون أولهم أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاى وهنتاة بتائين مثنائين من فوقهما قبيلة من المصامدة ويزعمون انهم قرشيون من بنى عدى بن كعب رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان أبو حفص المذكور من أكبر أصحاب ابن تومرت بعد عبد المؤمن وتولى عبد الواحد بن أبى حفص افريقية نيابة عن بنى عبد المؤمن في سنة ثلاث وستمائة ومات سلخ الحجة سنة ثمان عشرة وستمائة فتولى أبو الملاء من بنى عبد المؤمن ثم توفي فعادت افريقية الى ولاية الحفصيين وتولى منهم عبد الله بن عبد الواحد بن أبى حفص في سنة ثلاث وعشرين وستمائة * ولما تولى ولى أخاه أبا زكريا يحيى قابس وأخاه أبا ابراهيم اسحق بلاد

الجريد ثم خرج على عبد الله وهو على قابس أصحابه ورجوه وطرده وولوا موضعه أحاه
أبا زكريا بن عبد الواحد سنة اثنتين وستين فقم بنو عبد المؤمن على أبي زكريا ذلك
فاسقط أبو زكريا اسم عبد المؤمن من الخطبة وبقي اسم المهدي وخلع طاعة بني عبد
المؤمن وتملك افريقية وخطب لنفسه بالامير المرنضى واتسعت مملكته وفتح تلمسان
والقرب الاوسط وبلاد الجريد والزاب وبقي كذلك حتى توفي على بوننة سنة سبع وأربعين
وستمائة وأنشأ في تونس بنايات عظيمة شامخة وكان عالما بالادب وخلف أربعة بنين
وهم أبو عبد الله محمد وأبو اسحق ابراهيم وأبو حفص عمر وأبو بكر وكنيته أبو يحيى
وخلف أخوين وهما أبو ابراهيم اسحق ومحمد الاحياني ابني عبد الواحد بن أبي
حفص وكان محمد الاحياني المذكور صالحا منقطعاً يتبرك به ثم تولى بعده ابنه أبو عبد
الله محمد بن ابي زكريا ثم سمي عمه أبو ابراهيم في خلعه نخلع وبايع لاخته محمد الاحياني
الزاهد على كره منه لذلك فجمع أبو عبد الله محمد الخلويع أصحابه في يوم خلعه وشد
على عميه فقهرهما وقتلهما واستقر في ملكه وتلق وخطب لنفسه بالمستنصر بالله أمير
المؤمنين أنى عبد الله محمد ابن الامراء الراشدين وفي أيامه في سنة ثمان وستين
وستمائة وصل الفرنسيين الى افريقية بجموع الفرنج وأشرفت افريقية على الذهاب
فقصمه الله ومات الفرنسيين وتفرقت تلك الجموع وفي أيامه خافه أخوه أبو اسحق
ابراهيم بن أبي زكريا فهرب ثم أقام بتلمسان وتقى المستنصر المذكور كذلك حتى توفي
ليلة حادي عشر ذي الحجة سنة خمس وسبعين وستمائة فملك ابنه يحيى بن محمد بن أبي
زكريا وتلقب بالواثق بالله أمير المؤمنين وكان ضعيف الرأي فتحرك عليه عما أبو
اسحق ابراهيم الذي هرب وأقام بتلمسان وغلب على الواثق نخلع نفسه واستقر أبو
اسحق ابراهيم في المملكة في ربيع الاول سنة ثمان وسبعين وستمائة وخطب لنفسه
بالامير المجاهد وترك زى الحفصيين وأقام على زى زناتة وعكف على الشرب وفرق
المملكة على أولاده فوثبت أولاده على الواثق الخلويع وذبحوه وذبحوا معه ولديه الفضل
والطيب ابني يحيى الواثق المذكور وسلم للواثق ابن صغير تلقب أبا عصيد لانهم
يصنعون للنساء عصيدة فيها أدوية ويهدى منها للجيران وعملت أم الصبي ذلك فللقب
ولدها بأبي عصيدة ثم ظهر انسان ادعى انه لفضل بن الواثق الذي ذبح مع ابنه واجتمعت
عليه الناس وقصد أبا اسحق ابراهيم وقهره فهرب أبو اسحق الى بجاية وبها ابنه أبو
فارس عبد العزيز بن ابراهيم فترك أبو فارس أباه بجاية وسار بأخويه وجمعه الى الداعي
بتونس والتقى الجمعان فانهزم عسكر بجاية وقتل أبو فارس وثلاثة من اخوته ونجاله أخ
اسمه يحيى بن ابراهيم وعمه أبو حفص عمر بن أبي زكريا ولما هزم الداعي عسكر

بجاية وقتل المذكورين أرسل الى بجاية من قتل ابا اسحق ابراهيم وجاء برأسه ثم تحدث الناس بدعوة الداعي واجتمعت العرب على عمر ابن أبي زكريا بعد هروبه من المعركة وقوى أمره وقصد الداعي ثانيا بتونس وقهره واستتر الداعي في دور بعض التحار بتونس ثم أحضر واعترف بنسبه وضربت عنقه فكان الداعي المذكور من أهل بجاية واسمه أحمد بن مرزوق بن أبي عمار وكان أبوه يتجر الى بلاد السودان وكان الداعي المذكور محارفاً قصيفاً وسار الى ديار مصر ونزل بدار الحديث الكاملة ثم عاد الى المغرب فلما مر على طرابلس كان هناك شخص أسود يسمى نصيراً كان خصيصاً بالوائق المخلوع قد هرب لما جرى للوائق ماجرى وكان في أحمد الداعي بعض الشبه من الفضل ابن الوائق فدر مع نصير المذكور الامر فشهد له انه الفضل بن الوائق فاجتمعت عليه العرب وكان منه ما ذكرناه حتى قتل وكان الداعي يخطب له بالخليفة الامام المنصور بالله القائم بحق الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أبي العباس الفضل ولما استقر أبو حفص عمر في المملكة وقتل الداعي تلقب بالمستنصر بالله أمير المؤمنين وهو المستنصر الثاني * ولما استقر في المملكة سار ابن أخيه يحيى بن ابراهيم بن أبي زكريا الذي سلم من المعركة الى بجاية وملكها وتلقب بالمنتخب لاجلاء دين الله أمير المؤمنين واستمر المستنصر الثاني أبو حفص عمر بن أبي زكريا في مملكته حتى توفي في اوائل المحرم سنة خمس وتسعين وستمائة ولما اشتد مرضه بايع لابن له صغيراً اجتمعت الفقهاء وقالوا له أنت صائر الى الله وتولية مثل هذا لا يحل فابطل بيعته وأخرج ولد الوائق المخلوع الذي كان صغيراً وسلم من الذبح الملقب بأبي عصيدة وبويع صبيحة موت أبي حفص عمر الملقب بالمستنصر وكان اسم أبي عصيدة المذكور أبا عبد الله محمد وتلقب أبو عصيدة بالمستنصر أيضاً وهو المستنصر الثالث وتوفي في أيامه صاحب بجاية المنتخب يحيى بن ابراهيم بن أبي زكريا وملك بعده بجاية ابنه خالد بن يحيى وبقي أبو عصيدة لذلك حتى توفي سنة تسع وسبعمائة فلك بعده شخص من الحفصيين يقال له أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب ابن تومرت وأقام في الملك ثمانية عشر يوماً ثم وصل خالد بن المنتخب صاحب بجاية ودخل تونس وقتل أبا بكر المذكور في سنة تسع وسبعمائة ولما جرت ذلك كان زكريا الاحياني بمصر فسار مع عسكر السلطان الملك الناصر خلد الله ملكه الى طرابلس الغرب وبايمه العرب وسار الى تونس فخلع خالد بن المنتخب وحبس ثم قتل قصاصاً بأبي بكر بن عبد الرحمن المقدم المذكور واستقر الاحياني في ملك افريقية وهو ابن يحيى زكريا بن أحمد بن محمد الزاهد الاحياني بن عبد الواحد بن أبي

حفص صاحب ابن توصرت ثم تحرك عـلى اللحياني أخو خالد وهو أبو بكر بن يحيى
المنتخب فهرب اللحياني الى ديار مصر وأقام بالاسكندرية وملك أبو بكر المذكور تونس
وما معها خلا طرابلس والمهدية فانه بعد هروب اللحياني بايع ابنه محمد بن اللحياني
لنفسه واقتل مع أبي بكر فهزمه أبو بكر واستقر محمد بن اللحياني بالمهدية وله معها
طرابلس وكان استيلاء أبي بكر وهروب اللحياني الى ديار مصر في سنة تسع عشرة
وسبعمائة وأقام اللحياني في اسكندرية ثم وردت عليه مكاتبات من تونس في ذى القعدة
سنة احدى وعشرين وسبعمائة الى الاسكندرية يذكرون فيها ان أبا بكر مملك
تونس المذكور قد هرب وترك البلاد وأن الناس قد اجتمعوا على طاعة اللحياني وبايعوا
نائبه وهو محمد بن أبي بكر من الحفصيين وهو صهر زكريا اللحياني المذكور وهم
في انتظار وصول اللحياني الى مملكته أقول وقد بقيت مملكة أفريقية فهرب منها لضعفها
بسبب استيلاء العرب عليها

﴿ ذكر مقتل اقطاي ﴾

(في هذه السنة) اغتال الملك المعز أيك التركاني المستولى على مصر خوشداه اقطاي
الجدار وأوقف له في بعض دهاليز الدور التي بقلعة الجبل ثلاثة ممالك هم قطز وبهادر
وسنجر القنمي فلما مر بهم فارس الدين اقطاي ضربوه بسيفهم فقتلوه ولما علمت البحرية
بذلك هربوا من ديار مصر الى الشام وكان الفارس اقطاي يمنع أيك من الاستقلال
بالسلطنة وكان الاسم للملك الاشرف موسى بن يوسف بن يوسف ابن الملك الكامل محمد بن الملك
العادل أبي بكر ابن أيوب فلما قتل اقطاي استقل المعز التركاني بالسلطنة وأبطل الاشرف
موسى المذكور منها بالكلية وبعث به الى عماته القطيبات وموسى المذكور آخر من خطب
له من بيت أيوب بالسلطنة في مصر وكان انقضاء دولتهم من الديار المصرية في هذه السنة
على ما شرحناه ووصلت البحرية الى الملك الناصر يوسف صاحب الشام وأطمعوه في ملك
مصر فرحل من دمشق بمسكر ونزل عمقا من الغور وأرسل الى غزة عسكريا فتلوا بها
وبرز المعز أيك صاحب مصر الى العباسية وخرجت السنة وهم على ذلك (وفيها) قدمت
ملكة خاتون بنت كيقباز ملك بلاد الروم الى زوجها الملك الناصر يوسف صاحب الشام
(وفيها) ولي الملك المنصور صاحب حماة قضاء حماة للقاضي شمس الدين ابراهيم بن هبة
الله بن البارزي بعد عزل القاضي المحي حمزة بن محمد (ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين
وسبعمائة) فيها عزمتم العزيزية المقيمون مع المعز أيك على القبض عليه وعلم بذلك واستعد
لهم فهربوا من مخيمهم على العباسية على حمية واحتيط على وطاقاتهم جميعها (وفي هذه
السنة) مثنى نجم الدين الباذراي في الصلح بين المصريين والشاميين واتفق الحال أن

يكون للملك الناصر الشام جميعه الى العريش ويكون الحد بين القاضى وهو بين الوردية والعريش وييد المعز أيبك الديار المصرية وانفصل الحال على ذلك ورجع كل الى بلده (وفي هذه السنة) أو التي قبلها تزوج المعز أيبك شجر الدر أم خليل التي خطب لها بالسلطنة في ديار مصر (وفيها) طاب الملك الناصر داود من الملك الناصر يوسف دستوراً الى العراق بسبب طلب وديعته من الخليفة وهي الجواهر الذي تقدم ذكره وأن يمضى الى الحج فأذن له الناصر يوسف في ذلك فسار الناصر داود الى كربلاء ثم مضى منها الى الحج ولما رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم تعلق في استار الحجر الشريفة بمحضور الناس وقال اشهدوا ان هذا مقامي من رسول الله صلى الله عليه وسلم داخلا عليه مستشفعاً به الى ابن عمه المستعصم في أن يرد على وديعتي فأعظم الناس ذلك وجرت عبراتهم وارتفع بكاؤهم وكتب بصورة ماجرى مشروح ورفع الى أمير الحاج كيخسرو وذلك يوم السبت الثامن والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة وتوجه الناصر داود مع الحاج العراقي وأقام ببغداد (ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستمائة) فيهامات كيخسرو ملك بلاد الروم وأقيم في السلطنة ولداه الصغيران عز الدين كيكاووس وركن الدين قليج أرسلان (وفيها) توجه كمال الدين المعروف بابن العديم رسولا من الملك الناصر يوسف صاحب الشام الى الخليفة المستعصم وصحبتة بتقديمه جليلة وطلب خلعة من الخليفة لمخدومه ووصل من جهة المعز أيبك صاحب مصر شمس الدين سنقر الافرع وهو من مماليك المظفر غازى صاحب ميافارقين الى بغداد بتقديمه جليلة وسعى في إعطيل خلعة الناصر يوسف صاحب دمشق فبقى الخليفة متحيراً ثم انه أحضر سكيناً من الياشم كبيرة وقال الخليفة لوزيره أعط هذه السكين رسول صاحب الشام علامة منى في ان له خلعة عندي في وقت آخر وأما في هذا الوقت فلا يمكنى فأخذ كمال الدين بن العديم السكين وطاد الى الناصر يوسف بغير خلعة

﴿ ذكر غير ذلك ﴾

(فيها) جرى للناصر داود مع الخليفة ما صورته انه لما أقام ببغداد بعد وصوله مع الحاج واستشفاعه بالنبي صلى الله عليه وسلم في رده وديعته أرسل الخليفة المستعصم من حاسب الناصر داود المذكور على ما وصله في ترده الى بغداد من المضيف مثل اللحم والخبز والحطب والعليف والتبن وغير ذلك ونمن عليه ذلك باغلى الأمان وأرسل اليه شيئاً نزرأ وألزمه أن يكتب خطه بقبض وديعته وانه ما بقى يستحق عند الخليفة شيئاً فكتب خطه بذلك كرها وسار عن بغداد وأقام مع العرب ثم أرسل اليه الناصر يوسف بن العزيز ابن غازى بن يوسف صاحب الشام فطيب قلبه وحلف له فقدم الناصر داود الى دمشق

ونزل بالصالحية (وفي هذه السنة) يوم الاحد ثالث شوال توفي سيف الدين طغرل
مملوك الملك المظفر محمود صاحب حماة وكان قد زوجه المظفر المذكور بأخته وقام
بتدبير مملكة حماة بعد وفاة الملك المظفر حتى توفي في التاريخ المذكور (ثم دخلت سنة
خمس وخمسين وستمائة)

(ذكر قتل المعز أيك التركماني)

(وفي هذه السنة) في يوم الثلاث الثالث والعشرين من ربيع الاول قتل الملك المعز أيك
التركماني الجاشنكير الصالحى قتلته امرأته شجر الدر التي كانت امرأة أستاذه الملك الصالح
أيوب وهي التي خطب لها بالسلطنة في ديار مصر وكان سبب ذلك انه بلغها ان المعز أيك
المذكور قد خطب بنت بدر الدين لولو صاحب الموصل ويريد أن يتزوجها فقتلته في
الحمام بعد عوده من لعب الكرة في النهار المذكور وكان الذي قتله سنجر الجوجرى
مملوك الطواشي محسن والخدام حسبما اتفقت معهم عليه شجر الدر وأرسلت في تلك
الليلة أصبح المعز أيك وخاتمه الى الامير عز الدين الحلبي الكبير وطلبت منه أن يقوم بالامر
فلم يجسر على ذلك ولما ظهر الخبر أراد ممالك المعز أيك قتل شجر الدر فخماها الممالك
الصالحية فاتفقت الكلمة على اقامة نور الدين على ابن الملك المعز أيك ولقبوه الملك المنصور
وعمره يومئذ خمس عشرة سنة ونقلت شجر الدر من دار السلطنة الى البرج الاحمر
وصلبوا الخدام الذين اتفقوا معها على قتل المعز أيك وهرب سنجر الجوجرى ثم ظفروا
به وصلبوه واحتيط على الصاحب بهاء الدين على بن جنا لكونه وزير شجر الدر وأخذ
خطه بستين ألف دينار وفي يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر من هذه السنة اتفقت ممالك
المعز أيك مثل سيف الدين قطز وسنجر الغتمى وهادر وقبضوا على علم الدين سنجر
الحلبي وكان قد صار اتابكا للملك المنصور نور الدين ابن الملك على المعز أيك ورتبوا
في اتابكية المذكور اقطاعى المستعرب الصالحى (وفي سادس عشر) ربيع الآخر من
السنة المذكورة قتلت شجر الدر والقيت خارج البرج فحملت الى تربة كانت قد عملتها
فدفنت فيها وكانت تركية الجنس وفيل كانت أرمنية وكانت مع الملك الصالح في
الاعتقال بالكرك وولدت منه ولدا اسمه خليل مات صغيرا وبعد أيام من ذلك خنق
شرف الدين الفاضلى

✽ ذكر مفارقة البحرية الملك الناصر يوسف صاحب

الشام ابن الملك العزيز ✽

(وفي هذه السنة) نقل الى الناصر يوسف ان البحرية يريدون أن يفتكوا به فاستوحش

خاطره منهم وتقدم اليهم بالانزاح عن دمشق فساروا الى غزة واتموا الى الملك المغيث قتح الدين عمر ابن الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل وانزعج أهل مصر لقدم البحرية الى غزة وبرزوا الى العباسية ووصل من البحرية جماعة مقفزين الى القاهرة منهم عز الدين الاثرم فاكرموهم وأفرجوا عن أملاك الاثرم ولما فارق البحرية الناصر صاحب الشام أرسل عسكرياً في أثرهم فكبس البحرية ذلك العسكر ونالوا منه ثم ان عسكر الناصر بعد الكبسة كسروا البحرية فانهزموا الى البلقاء والى زعز ملتجئين الى الملك المغيث صاحب الكرك فانفق فيهم المغيث أموالاً جليلاً وأطعموه في ملك مصر فجهزهم بما احتاجوه وسارت البحرية الى جهة مصر وخرجت عساکر مصر لقتالهم والتقى المصريون مع البحرية وعسكر المغيث بكرة السبت منتصف القعدة من هذه السنة فانهمز عسكر المغيث والبحرية وفيهم يبرس البندقارى المسمى بمد ذلك بالملك الظاهر الى جهة الكرك

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) ووصل من الخليفة المستعصم الخلعة والطوق والتقليد الى الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز (وفيها) استجار الناصر داود بن نجم الدين الباذراى في أن يتوجه صحبته الى بغداد فأخذ صحبته وتوصل الناصر يوسف صاحب دمشق الى منعه عن ذلك فلم يتهياً له وسار الناصر داود مع الباذراى الى قرقيسيا فاخره الباذراى ليشاور عليه فأقام الناصر داود في قرقيسيا ينتظر الاذن بالقدوم الى بغداد فلم يؤذن له وطال مقامه فسافر الى البرية وقصد تيه بنى اسرائيل وأقام مع عرب تلك البلاد (وفي هذه السنة) أو التي قبما ظهرت نار بالحرة عند مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان لها بالليل ضوء عظيم يظهر من مسافة بعيدة جدا ولعابها النار التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم من علامات الساعة فقال نار تظهر بالحجاز تضيء منها أعناق الابل ببصرى ثم اتفق ان الخدام بحرم النبي صلى الله عليه وسلم وقع منهم في بعض الليالى تفريط فاشتعلت النار في المسجد الشريف واحترقت سقوفه ومنبر النبي صلى الله عليه وسلم وتألم الناس لذلك (ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة)

﴿ ذكر استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية ﴾

في أول هذه السنة - بعد هولاكو ملك التتر بغداد وملكها في العشرين من المحرم وقتل الخليفة المستعصم بالله وسبب ذلك ان وزير الخليفة مؤيد الدين ابن العلقمى كان رافضياً وكان أهل الكرخ أيضاً روافض فحرت فتنة بين السنية والشيمة ببغداد على جارى عاداتهم فأمر أبو بكر ابن الخليفة وركى الدين الدوادار العسكر فنهبوا الكرخ وهتكوا النساء وركبوا منهن الفواحش فمظم ذلك على الوزير ابن العلقمى وكاتب التتر وأطعمهم في ملك بغداد

وكان عسكر بغداد يبلغ مائة ألف فارس فقط منهم المستعصم ليحمل الى التتر متحصلا اقطاعا لهم
 وصار عسكر بغداد دون عشرين ألف فارس وأرسل ابن الملقمى الى التتر أخاه يستدعيهم
 فساروا قاصدين بغداد في جحفل عظيم وخرج عسكر الخليفة لقتالهم ومقدمهم ركن
 الدين الدوادار والتقوا على مرحلتين من بغداد واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عسكر الخليفة
 ودخل بعضهم بغداد وسار بعضهم الى جهة الشام ونزل هولاء على بغداد من الجانب الشرق
 ونزل باجو وهو مقدم كبير في الجانب الغربى على قرية قبالة دار الخلافة وخرج مؤيد
 الدين الوزير ابن الملقمى الى هولاء فوثق منه لنفسه وعاد الى الخليفة المستعصم
 وقال ان هولاء كوا يبيك في الخلافة كما فعل بسطان الروم ويريد ان يزوج ابنته من
 ابنك أبى بكر وحسن له الخروج الى هولاء فخرج اليه المستعصم في جمع من أكابر
 أصحابه فانزل في خيمة ثم استدعى الوزير الفقهاء والامائل فاجتمع هناك جميع سادات
 بغداد والمدرسون وكان منهم محبى الدين بن الجوزى وأولاده وكذلك بقى يخرج الى
 التتر طائفة بعد طائفة * فلما تكاملوا قتلهم التتر عن آخرهم ثم مدوا الجسر وعدى
 باجو ومن معه وبنلوا السيف في بغداد وهجموا دار الخلافة وقتلوا كل من كان فيها
 من الاشراف ولم يسل الا من كان صغيرا فأخذ أسيرا ودام القتل والنهب في بغداد نحو
 أربعين يوماً ثم نودى بالامان * وأما الخليفة فانهم قتلوه ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله
 فقبل خنق وقيل وضع في عدل ورفسوه حتى مات وقيل غرق في دجلة والله أعلم
 بحقيقة ذلك وكان هذا المستعصم وهو عبد الله أبو أحمد بن المستنصر أبى جعفر منصور
 ابن محمد الطاهر ابن الامام الناصر أحمد وقد تقدم ذكر باقى نسبه عند ذكر وفاة الامام
 الناصر ضعيف الراى قد غلب عليه أمره دولته لسوء تدبيره تولى الخلافة بعد موت
 أبيه المستنصر في سنة أربعين وستمائة وكانت مدة خلافته نحو ست عشرة سنة تقريباً
 وهو آخر الخلفاء العباسيين وكان ابتداء دولتهم في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهى السنة
 التى بويغ فيها السفاح بالخلافة وقتل فيها مروان الحمار آخر خلفاء بنى أمية وكانت
 مدة ملكهم خمسمائة سنة وأربما وعشرين سنة تقريباً وعدة خلفائهم سبعة وثلاثون
 خليفة حكى القاضى جمال الدين بن واصل قال لقد أخبرنى من أثق به انه وقف على
 كتاب عتيق فيه ماصورته ان على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بلغ بعض خلفاء
 بنى أمية عنه انه يقول ان الخلافة تصير الى ولده قاصر الاموى يعلى بن عبد الله فحمل
 على حمل وطيف به وضرب وكان يقال عند ضربه هذا جزاء من يفتري ويقول ان
 الخلافة تكون في ولده فكان على بن عبد الله المذكور رحمه الله يقول أى والله لتكون
 الخلافة في ولدى لا تزال فيهم حتى يأتيهم المليح من خراسان فينزعهما منهم ثم فوقع

مصدق ذلك وهو ورود هولاكو وازالته ملك بنى العباس

ذكر الواقعة بين المغيث صاحب الكرك وعسكر مصر

كان قد انضمت البحرية الى المغيث بن العادل بن الكامل ونزل من الكرك وخيم بغزة وجمع الجموع وسار الى مصر في دست السلطنة وخرجت عساكر مصر مع عماليك الملك المعز أيبك وأكبرهم سيف الدين قطز الذي صار صاحب مصر والقتمى وبهادر والتقى الفريقان فكانت الكسرة على المغيث ومن معه فولى منهزما الى الكرك في أسوأ حال ونهبت أقاليمه وداهليزه

ذكر وفاة الناصر داود

وفي هذه السنة ١٢١٠ أعتى سنة ست وخمسين وستمائة في ليلة السبت السادس والعشرين من جمادى الأولى توفي الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بظاهر دمشق في قرية يقال لها البويضا ومولده سنة ثلاث وستمائة فكان عمره نحو ثلاث وخمسين سنة وكنا قد ذكرنا أخباره في سنة خمس وخمسين وانه توجه الى تيه بنى اسرائيل وصار مع عرب تلك البلاد وبلغ المغيث صاحب الكرك وصوله الى تلك الجهة فخشي منه وأرسل اليه قبض عليه وحمله الى بلد الشوبك وأمر بحفر مطمورة ليحبسه فيها وبقي الملك الناصر المذكور محسوكا والمطمورة تحفر قدامه ليحبس فيها فينما هو على تلك الحال اذ ورد رسول الخليفة المستعصم يطلبه من بغداد لما قصده التتر ليقدمه على بعض العساكر الملتقى التتر ١٢١٠ فلما ورد رسول الخليفة الى دمشق جهزوه الى المغيث صاحب الكرك ووصل الرسول الى موضع الملك الناصر قبل أن يتم المطمورة فاخذه وسار به الى جهة دمشق فبلغ الرسول استيلاء التتر على بغداد وقتل الخليفة فتركه الرسول ومضى لشأنه فسار الناصر داود الى البويضا وهي قرية شرقي دمشق وأقام بها ولحق الناس في الشام في تلك المدة طاعون مات منه الناصر داود المذكور في التاريخ المذكور وخرج الملك الناصر يوسف صاحب دمشق الى البويضا وأظهر عليه الحزن والتأسف ونقله ودفنه بالصاحلية في تربة والده المعظم وكان الناصر داود قاضيا ناظما نارا وقرأ العلوم العقلية على الشيخ شمس الدين عبد الحميد الحسرو شاهی تلميذ الامام نجر الدين الرازي وللناصر داود المذكور أشعار جيدة قد تقدم ذكر بعضها ومن شعره أيضا

عيون عن السحر المبين تبين	لها عند تحريك القلوب سكون
تصول بيض وهي سود فرنداها	ذبول قنور والجفون جفون
اذا مارأت قلباً خلياً من الهوى	تقول له كن مغرماً فيكون

(وله أيضاً)

طرفي وقلبي قاتل وشهيد ودمي غلى خديك منه شهود
 اما وجبك لست أضمر سلوة عن صبوتي ودع القواد يبيد
 منى بطيفك بعد مامنع الكرى عن ناظري البعد والتسويد
 ومن العجائب ان قلبك لم يلن لي والحديد ألانه داود
 ومما كتب به في أثناء مكاتبتة الى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام وكان

قد أغارت الفرنج على نابلس في أيام الملك الصالح أيوب صاحب مصر
 أياليت أمي أيم طول عمرها فلم يقضها ربي لمولى ولا بعل
 وباليتهما لما قضاهما لسيد لييب أريب طيب الفرع والاصل
 قضاهما من اللاتي خلقن عواقرا فباشرت يوما بأثني ولاخل
 وباليتهما ما غدت بي حاملا أصيبت بما احتفت عليه من الحمل
 وباليتهما لما ولدت وأصبحت تشد الى الشدقيات بالرحل
 لحقت باسلافي فكنت ضجيمهم ولم أر في الاسلام ما فيه من خل؟

ذكر وفاة صاحبة غازية خاتون والدة الملك

المنصور صاحب حماة

(وفي هذه السنة) في ذي القعدة توفيت صاحبة غازية خاتون بنت السلطان الملك
 الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بقلمة حماة رحما الله تعالى وكان قدومها
 الى حماة في سنة تسع وعشرين وستمائة وولد لها من الملك المظفر محمود صاحب حماة
 ثلاث بنين مات أحدهم صغيرا وكان اسمه عمر وتبقى الملك المنصور محمد صاحب حماة
 وأخوه والد الملك الافضل على وولد لها منه ثلاث بنات أيضا توفيت الكبرى منهن وكان
 اسمها ملكة خاتون قبل وفاة والدتها بقليل وتوفيت الصغرى وهي دنيا خاتون بعد
 وفاة أخيها الملك المنصور وسنذكر وفاة الباقيين في مواضعها ان شاء الله تعالى وكانت
 صاحبة غازية المذكورة من أحسن النساء سيرة وزهدا وعبادة وحفظت الملك لولدها
 الملك المنصور حتى كبر وسلمته اليه قبل وفاتها رحما الله تعالى

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(وفي هذه السنة) قصدت التتر ميا فارقين بعد استيلائهم على بغداد وكان صاحب
 ميا فارقين حينئذ الملك الكامل محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك
 العادل أبي بكر بن أيوب وكان قد ملكها بعد وفاة أبيه في سنة اثنتين وأربعين وستمائة

فحاصره التتر وضايقوا ميا فارقين مضايقة شديدة وصبر أهل ميا فارقين مع الكامل محمد المذكور على الجوع الشديد ودام ذلك حتى كان منه ما سئد كره ان شاء الله تعالى (وفيها) اشتد الوباء بالشام خصوصاً بدمشق حتى لم يوجد مفسل للموتى (وفيها) أرسل الملك الناصر يوسف صاحب دمشق ولده الملك العزيز محمد وصحبه زين الدين محمد المعروف بالحافظى وهو من أهل قرية عقربا من بلد دمشق بتحف وتقادم الى هولاء ملك التتر وصانعه لعله بهجزه عن ملتقى التتر (وفيها) توفي الصاحب بهاء الدين زهير بن محمد بن على بن يحيى المهلبى كاتب ابناء الملك الصالح أيوب ومولد البها زهير بوادى نخلة من مكة سنة احدى وثمانين وخمسمائة وفي آخر عمره انكشف حاله وباع موجوده وكتبه وأقام في بيته في القاهرة حتى أدركته وفاته بسبب الوباء العام في يوم الاحد رابع ذى القعدة من هذه السنة أعني سنة ست وخمسين وستمائة ودفن بالقرافة الصغرى وكان كريم الطباع غزير المروءة فاضلاً حسن النظم وشعره مشهور كثير فمن شعره وهو وزن مخترع ليس بخرجة العروض أبيات منها

يامن لعبت به شمول	مألطف هذه الشمائل
مولاي يحق لى بأنى	عن حبك في الهوى أقاتل
ها عبدك واقفا ذليلاً	بالباب بمد كنف سائل
من وصلك بالقليل يرضى	والطل من الحبيب وابل

(وفي هذه السنة) توفي بمصر الشيخ ركن الدين عبد العظيم شيخ دار الحديث وكان من أئمة الحديث المشهورين (وفيها) توفي الشيخ شمس الدين يوسف سبط جمال الدين بن الجوزى وكان من الوعاظ الفضلاء الف تاريخاً جامعاً سماه مرآة الزمان (وفيها) توفي سيف الدين على بن سابق الدين قزل المعروف بابن المشد وكان أميراً مقدماً في دولة الملك الناصر يوسف صاحب الشام وله شعر حسن فنه

باكر كؤس المدام واشرب	واستجل وجه الحبيب وأطرب
ولا تحف للهوم داء	فهى دواء له محرب
من يد ساق له رضاب	كالشهد لكن جناه أعذب

(وفيها) كان بين البحرية بعد هزيمتهم من المصريين وبين عسكر الملك الناصر يوسف صاحب دمشق ومقدمهم الامير مجير الدين بن أبى زكريا مصاف بظاهر غزة انهزم فيه عسكر الناصر يوسف وأسر مجير الدين المذكور وقوى أمر البحرية بعد هذه الكسرة وأكثروا العبث والفساد (ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة) فيها سار عز الدين كيكاووس وركن الدين قليج أرسلان ابنا كيخسرو بن كيقباز الى خدمة

هولاكو وأقام معه مدة ثم عاد إلى بلادهما

ذكر وفاة بدر الدين صاحب الموصل

(في هذه السنة) توفي بدر الدين لولو صاحب الموصل وكان يلقب الملك الرحيم وكان عمره قد جاوز ثمانين سنة * ولما مات ملك بعده الموصل ولده الملك الصالح بن لولو وملك سنحار ولده الآخر علاء الدين بن لولو وكان بدر الدين قد صانع هولاكو ودخل في طاعته وحمل إليه الأموال ووصل إلى خدمة هولاكو بعد أخذ بغداد ببلاد أذربيجان وكان صحبة لولو الشريف العلوي ابن صلاحية فقبل أن لولو سعى به إلى هولاكو فقتل الشريف المذكور * ولما عاد لولو إلى الموصل لم يطل مقامه بها حتى ماتت وطالت أيام بدر الدين لولو في ملك الموصل فإنه كان القائم بأمر استاذة أرسلان شاه بن مسعود ابن مودود بن زنكي بن أقسنقر وقام بتدبير ولده الملك القاهر بن أرسلان شاه ولما توفي الملك القاهر بن أرسلان شاه في سنة خمس عشرة وستمائة انفرد لولو بتدبير المملكة وأقام ولدى القاهر الصغيرين واحداً بعد واحد واستبد بملك الموصل وبلادها ثلاث وأربعين سنة تقريباً ولم يزل في ملكه سعيداً لم تطرفه آفة ولم يختل ملكه نظام

ذكر منازلة الملك الناصر يوسف صاحب الشام الكرك

(وفي هذه السنة) لما جرى من البحرية ما ذكرناه من كسر عسكر الناصر يوسف سار الناصر المذكور من دمشق بنفسه وعساكره وسار في صحبته الملك المنصور صاحب حماة بمسكوه إلى جهة الكرك وأقام على بركة زيزا محاصراً الملك المغيث صاحب الكرك بسبب حمايته للبحرية ووصل إلى الملك الناصر رسول الملك المغيث صاحب الكرك والقبطية بنت الملك المفضل قطب الدين ابن الملك العادل يتضرعون إلى الملك الناصر ويطلبون رضاه عن الملك المغيث فلم يجب إلى ذلك إلا بشرط أن يقبض المغيث على من عنده من البحرية فأجاب المغيث إلى ذلك وعلم بالحال ركن الدين بيبرس البندقداري فهرب في جماعة من البحرية ووصل بهم إلى الملك الناصر يوسف فأحسن إليهم وقبض المغيث على من بقي عنده من البحرية ومن جملة من سقرا لا شقروا وسكروا وبرامق وأرسلهم على الجمال إلى الملك الناصر فبعث بهم إلى حلب فاعتقلوا بها واستقر الصلح بين الملك الناصر وبين الملك المغيث صاحب الكرك وكان مدة مقام الملك الناصر بالمسافر على ركة زيزا ما يزيد على شهرين بقليل ثم عاد إلى دمشق وأعطى الملك المنصور صاحب حماة دستوراً فعاد إلى بلده

ذكر سلطنة قطز

(وفي أواخر هذه السنة) أعنى سنة سبع وخمسين وستمائة في أوائل ذى الحجة قبض سيف الدين قطز على ولد استاذه الملك المنصور نور الدين على بن المعز أيبك وحلعه من السلطنة وكان علم الدين الغتمى وسيف الدين بهادر وهما من كبار المعزية غائبين في رمى البندق فانتهز قطز الفرصة في غيبتهما وفعل ذلك ولما قدم الغتمى وبهادر المذكوران قبض عليهما قطز أيضاً واستقر قطز في ملك الديار المصرية وتلمب بالملك المظفر وكان رسول الملك الناصر يوسف صاحب الشام وهو كمال الدين المعروف بابن العديم قد قدم الى مصر في أيام الملك المنصور على بن أيبك مستنجداً على التتر واتفق خلع على المذكور وولاية قطز بمحضرة كمال الدين بن العديم * ولما استقر قطز في السلطنة أعاد جواب الملك الناصر يوسف أنه يتجده ولا يقعد عن نصرته وعاد ابن العديم بذلك

ذكر مولد الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور صاحب حماة

(وفي هذه السنة) أعنى سنة سبع وخمسين وستمائة في الساعة العاشرة من ليلة الاحد خامس عشر المحرم وثاني عشر كانون الثاني ولد محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولقبوه الملك المظفر بلقب جده وأم الملك المظفر محمود المذكور طائشة خاتون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وهما الشيخ شرف الدين عبد العزيز المعروف بشيخ الشيوخ الملك المنصور صاحب حماة بقصيدة طويلة منها

ابشر على رغم العدى والحسد بأجل مولود وأكرم مولد
بالنعمه الفراء بل بالدولة الزهراء بل بالمفخر المتجدد
واقاك بدرا كاملا في ليلة طلعت عليك نجومها بالاسعد
ما بين محمود المظفر اسفرت عنه وما بين العزيز محمد

ذكر قصد هولاء الشام

(وفي هذه السنة) قدم هولاء الى البلاد التي شرقي الفرات ونازل حران وملكها واستولى على البلاد الجزرية وأرسل ولده سموط بن هولاء الى الشام فوصل الى ظاهر حلب في العشر الاخير من ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة سبع وخمسين وستمائة وكان الحاكم في حلب الملك المعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين نائباً عن

ابن أخيه الملك الناصر يوسف نخرج عسكر حلب لقتالهم وخرج الملك المعظم ولم يكن من رأيه الخروج اليهم وأمكن لهم التتر في باب الى المعروف بباب الله وتقاتلوا عند باقوسا فاندفع التتر قدامهم حتى خرجوا عن البلد ثم عادوا عليهم وهرب المسلمون طالين المدينة والتتر يقتلون فيهم حتى دخلوا البلد واحتق في أبواب البلد جماعة من المهزمين ثم رحل التتر الى اعزاز فقتلوهما بالامان (ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة)

ذكر ما كان من الملك الناصر عند قصد التتر حلب

ولما بلغ الملك الناصر يوسف صاحب الشام قصد التتر حلب برز من دمشق الى برزه في أواخر السنة الماضية وجفل الناس من بين يدي التتر وسار من حماة الى دمشق الملك المنصور صاحب حماة ونزل معه ببرزه وكان هناك مع الناصر يوسف بيبرس البندقدارى من حين هرب من الكرك والتجأ الى الناصر فاجتمع عند الملك الناصر عند برزه أمم عظيمة من العساكر والجفال ولما دخلت هذه السنة والملك الناصر ببرزه بلغه ان جماعة من مماليكه قد عزموا على اغتياله والفتك به فهرب الملك الناصر من الدهليز الى قلعة دمشق وبلغ مماليكه الذين قصدوا ذلك علمه بهم فهربوا على حية الى جهة غزة وكذلك سار بيبرس البندقدارى الى جهة غزة وأشاع المماليك الناصرية انهم لم يقصدوا قتل الملك الناصر وانما كان قصدهم أن يقبضوا عليه ويسلطوا أخاه الملك الظاهر غازى ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين لشهامته * ولما جرى ذلك هرب الملك الظاهر المذكور خوفاً من أخيه الملك الناصر وكان الظاهر المذكور شقيق الناصر أمهما أم ولد تركية ووصل الملك الظاهر غازى الى غزة واجتمع عليه من بها من العسكر وأقاموه سلطانا * ولما جرى ذلك كاتب بيبرس البندقدارى الملك المظفر قطز صاحب مصر فبذل له الامان ووعد الوعود الجميلة فنارق بيبرس البندقدارى الشاميين وسار الى مصر في جماعة من أصحابه فأقبل عليه الملك المظفر قطز وأنزله في دار الوزارة وأقطعه قلوب وأعمالها

ذكر استيلاء التتر على حلب وعلى الشام جميعه ومسير الملك الناصر

عن دمشق ووصول عساكره الى مصر وانفراد الملك الناصر عنهم *

(في هذه السنة) أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة في يوم الاحد تاسع صفر كان استيلاء التتر على حلب وسيبه ان هولاء كوا عبر الفرات بمجموعه ونازل حلب وأرسل هولاء كوا الى الملك المعظم تورانشاه بن صلاح الدين نائب السلطنة بحلب يقول له انكم تضعفون عن لقاء المغل ونحن قصدنا الملك الناصر والعساكر فاجعلوا لنا عندكم بحلب

شحنة وبالقلعة شحنة وتوجه نحن الى المسكر فان سكنت الكسرة على عسكر الاسلام كانت البلاد لنا وتكونون قد حقنتم دماء المسلمين وان كانت الكسرة علينا كنتم مخبرين في الشحنةين ان شتم طردتموهما وان شتم قتلتموهما فلم يجب الملك المعظم الى ذلك وقال ليس لكم عندنا الا السيف وسكان رسول هولاء كو اليهم في ذلك صاحب ارزن الروم فتمعجب من هذا الجواب وتألم لما علم من هلاك أهل حلب بسبب ذلك وأحاط التتر بحلب ثانی صفر وهجموا التواتر في غد ذلك اليوم وقتل من المسلمين جماعة كثيرة وعمن قتل أسد الدين ابن الملك الزاهر بن صلاح الدين واشتدت مضايقة التتر للبلد وهجموه من عند حمام حمدان في ذيل قلعة الشريف في يوم الاحد تاسع صفر وبنلوا السيف في المسلمين وصعد الى القلعة خلق عظيم ودام القتل والنهب من نهار الاحد المذكور الى الجمعة رابع عشر صفر المذكور فأمر هولاء كو برفع السيف ونودي بالامان ولم يسلم من أهل حلب الا من التجأ الى دار شهاب الدين ابن عمرون ودار نجم الدين أخى مردكين ودار البازيد ودار علم الدين قيصر الموصل والحائكة التي فيها زين الدين الصوفي وكنيسة اليهود وذلك لهرمانات كانت بأيديهم وقيل انه سلم بهذه الاماكن ما يزيد على خمسين ألف نفس ونازل التتر القلعة وحاصروها وبها الملك المعظم ومن التجأ اليها من العسكر واستمر الحصار عليها وكان من ذلك ما سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر غير ذلك من أحوال حماة وأحوال الملك الناصر بعد أخذ حلب)

كان قد تأخر بحماة الطواشي مرشد لما سار صاحب حماة الى دمشق فلما بلغ أهل حماة فتح حلب توجه الطواشي مرشد من حماة الى عند الملك المنصور صاحب حماة بدمشق ووصل كبار حماة الى حلب ومهم مفاتيح حماة وحملوها الى هولاء كو وطلبوا منه الامان لاهل حماة وشحنة يكون عندهم فأمنهم هولاء كو وأرسل الى حماة شحنة رجلا أعجميا كان يدعى انه من ذرية خالد بن الوليد يقال له خسرو شاه فقدم خسرو شاه الى حماة وتولاها وأمن الرعية وكان بقلعة حماة مجاهد الدين قياز أمير جندار فسلم القلعة اليه ودخل في طاعة التتر ولما بلغ الملك الناصر بدمشق أخذ حلب رحل من دمشق بمن بقي معه من العسكر الى جهة الديار المصرية وفي صحبته الملك المنصور صاحب حماة وأقام بنابلس أياما ورحل عنها وترك فيها الامير مجير الدين بن أبي زكري والامير علي بن شجاع ومعهما جماعة من العسكر ثم سار الملك الناصر الى غزة فانضم اليه ممالكة الذين كانوا أرادوا قتله وكذلك اصطلح معه أخوه الملك الظاهر غازي وانضم اليه وبعد مسير الملك الناصر عن نابلس وصل التتر اليها وكبسوا العسكر الذين بها وقتلوا مجير الدين والامير

على بن شجاع وكانا أميرين جليلين فاضلين وكان البحرية قد قبضوا عليهما واعتقلوهما بالكرك وافرغ عنهما المغيث لما وقع الصلح بينه وبين الناصر ولما بلغ الملك الناصر وهو بفزة ماجرى من كبسة التتر لنا بلس رحل من غزة الى العريش وسير القاضى برهان الدين ابن الحضرمي رسولا الى الملك المظفر قطز صاحب مصر يطلب منه المماضدة ثم سار الملك الناصر والملك المنصور صاحب حماة والعسكر ووصلوا الى قطية فجرى بها فتنة بين التركاني والاكراد الشهرزورية ووقع نهب في الجفال وخاف الملك الناصر أن يدخل مصر فيقبض عليه فتأخر في قطية ورحلت العساكر والملك المنصور صاحب حماة الى مصر وتأخر مع الملك الناصر جماعة يسيرة منهم أخوه الظاهر غازي والملك الصالح بن شيركوه صاحب حصص وشهاب الدين القيمري ثم سار الملك الناصر بمن تأخر معه من قطية الى جهة تيه بني اسرائيل ولما وصلت العساكر الى مصر التقاهم الملك المظفر قطز بالصالحية وطيب قلوبهم وأرسل الى الملك المنصور صاحب حماة سنجقا والتقاء ملتقى حسنا وطيب قلبه ودخل القاهرة وأما التتر فأنهم استولوا على دمشق وعلى سائر الشام الى غزة واستقرت شحائهم بهذه البلاد

(ذكر استيلاء التتر على قلعة حلب والمنجذات بالشام)

أما قلعة حلب فوثب جماعة من أهلها في مدة الحصار على صفى الدين بن طرزه رئيس حلب وعلى نجم الدين أحمد بن عبد العزيز بن أحمد بن القاضى نجم الدين بن أبي عصرون فقتلوهما لانهم آثمواهما بما عاوا طاة التتر واستمر الحصار على القلعة واشتدت مضايقة التتر لها نحو شهر ثم سلمت بالامان في يوم الاثنين الحادى عشر من ربيع الاول من هذه السنة ولما نزل أهلها بالامان وكان فيها جماعة من البحرية الذين حبسهم الملك الناصر ففهم سكر وبرامق وسنقر الاشقر فسلمهم هولاء كوههم وباقى الترك الى رجل من التتر يقال له سلطان حق وهو رجل من أكابر القبيجاق هرب من التتر لما غلبت على القبيجاق وقدم الى حلب فأحسن اليه الملك الناصر فلم تطب له تلك البلاد فعاد الى التتر وأما العوام والغرباء فقتلوا الى أما كن الحمى التي قدمنا ذكرها وأمر هولاء كوه أن يمضى كل من سلم الى داره ومملكه وأن لا يعارض وجمل النائب بحلب عماد الدين القزويني ووصل الى هولاء كوه على حلب الملك الاشرف صاحب حصص موسى بن ابراهيم بن شيركوه وكان قد انفرد الاشرف المذكور عن المسلمين لما توجه الملك الناصر الى جهة مصر ووصل الى هولاء كوه بحلب فأكرمه هولاء كوه وأعاد عليه حصص وكان قد أخذها منه الملك الناصر صاحب حلب في سنة ست وأربعين وستائة وعوضه عنها تل باشر على ما تقدم ذكره فعادت الية في هذه السنة واستقر ملكه بها وقدم أيضا هولاء كوه وهو نازل على حلب محيى الدين بن الزكي

من دمشق فاقبل عليه هولاء وخلص عليه وولاه قضاء الشام ولما عاد ابن الزكي المذكور الى دمشق لبس خلعة هولاء كو وكانت مذهبة وجمع الفقهاء وغيرهم من أكابر دمشق وقرأ عليهم تقليد هولاء كو واستقر في القضاء ثم رحل هولاء كو الى حارم وطلب تسليمها فامتنعوا أن يسلموها لغير نحر الدين والى قلعة حلب فاحضره هولاء كو وسلموها اليه فغضب هولاء كو من ذلك وأمر بهم فقتل أهل حارم عن آخرهم وسبي النساء ثم رحل هولاء كو بعد ذلك وعاد الى الشرق وأمر عماد الدين القزويني بالرحيل الى بغداد فسار إليها وجعل مكانه بحلب رجلاً أعجمياً وأمر هولاء كو بحراب أسوار قلعة حلب وأسوار المدينة فخرت عن آخرها وأعطى هولاء كو الأشرف موسى صاحب حصن الدستور ففارقه ووصل الى حماة ونزل في الدار البارز وأخذ في خراب سور قلعة حماة بتقدم هولاء كو اليه بذلك فخربت أسوارها وأحرقت زردخاتها وبيعت الكتب التي كانت بدار السلطنة بقلعة حماة بأبخس الأثمان وأما أسوار مدينة حماة فلم تخرب لأنه كان بحماة رجل يقال له إبراهيم بن الأفرنجية ضامن الجهة المفردة بذل لخسرو شاه جملة كثيرة من المال وقال الفرنج قريب منا بحصن الأكراد ومضى خربت أسوار المدينة لا يقدر أهلها على المقام فيها فأخذ منه المال ولم يتعرض لخراب أسوار المدينة وكان قد أمر هولاء كو الأشرف موسى صاحب حصن بحراب قلعة حماة أيضاً فلم يخرب منها الا شيئاً قليلاً لأنها مدينته وأما دمشق فانهم لما ملكوا المدينة بالأمان لم يتعرضوا الى قتل ولا نهب وعصت قلعة دمشق عليهم فحاصرها التتر وجرى على أهل دمشق بسبب عصيان القلعة شدة عظيمة وضايقوا القلعة وأقاموا عليها المجانيق ثم تسلموها بالأمان في منتصف جمادى الأولى من هذه السنة ونهبوا جميع ما فيها وجدوا في خراب أسوار القلعة واعدام ما بها من الزردخانات والآلات ثم توجهوا الى بعلبك ونازلوا قلعتها

(ذكر استيلاء التتر على ميا فارقين وقتل الملك الكامل صاحبها)

(وفي هذه السنة) أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة استولى التتر على ميا فارقين وقد تقدم ذكر نزولهم عليها ومحاصرتها في سنة ست وخمسين واستمر الحصار عليهم مدة سنتين حتى قويت أزوادهم وفتى أهلها بالبواب وبالقتل وصاحبها الملك الكامل محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب مصابراً ثابتاً وضعف من عنده عن القتال فاستولى التتر عليها وقتلوا صاحبها الملك الكامل المذكور وحلوا رأسه على رمح وطيف به في البلاد وصروا به على حلب وحماة ووصلوا به الى دمشق في سابع عشرين جمادى الأولى من هذه السنة أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة وطافوا به في دمشق بالمغانى والطبول وعلق رأس المذكور في شبكة بسور باب الفراديس الى ان عادت دمشق الى المسلمين فدفن بمشهد الحسين داخل باب الفراديس وفيه يقول الشيخ شهاب الدين

ابن أبي شامة أياً ما منها

ابن غازي غزى وجاهد قوماً انحنوا في العراق والمشرقين
 طاهراً عالياً ومات شهيداً بعد صبر عليهم عامين
 لم يشنه اذ طيف بالرأس منه وله اسوة برأس الحسين
 ثم واروا في مشهد الرأس ذاك الرأس واستعجبوا من الحالين
 ذكر اتصال الملك الناصر بالتر واستيلائهم على عجلون

وغيرها من قلاع الشام

أما الملك الناصر يوسف فانه لما انفرد عن العسكر من قطية وسار الى تيه بني اسرائيل
 بقي متحيراً الى أين يتوجه وعزم على التوجه الى الحجاز وكان له طبردار كردي اسمه
 حسين فحس له المضي الى التتر وقصده هولاً كواقترا بقوله ونزل بركة زيرا وسار حسين
 الكردي الى كتبغا نائب هولاً كوا وعرفه بموضع الملك الناصر فأرسل كتبغا اليه وقبض
 عليه وأحضره الى عجلون وكانت بعد عاصية فأمرهم الملك الناصر بتسليمها فسلمت اليهم
 فهدموها وكنا قد ذكرنا حصار التتر لبعليك فتسلموها قبيل تسليم عجلون وخرّبوا قلعها
 أيضاً وكان بالصبيبة صاحبها الملك السعيد ابن الملك العزيز ابن الملك العادل فلم الصبيبة
 اليهم وصار الملك السعيد المذكور معهم وأعلن بالفسق والفجور وسفك دماء المسلمين
 وأما الملك الناصر يوسف فان كتبغا بعث به الى هولاً كوا فوصل الى دمشق ثم الى حماة وبها
 الاشرف صاحب حصن نخرج الى لقائه هو وخسر وشاه النائب بحمارة ثم سار الى حلب فلما
 عاينها الملك الناصر وما قد حل بها وبأهلها تضاعف تألمه وأنشد

يمز علينا ان نرى ربكم يلى وكانت به آيات حسنكم تلى

ثم سار الى الاردن فاقبل عليه هولاً كوا ووعدته برده الى مملكته وكان منه ما سنذكره
 ان شاء الله تعالى

ذكر غير ذلك

وفي خامس عشر شعبان من هذه السنة أخرج التتر من الاعتقال نقيب قلعة دمشق وواليتها
 وضربوا أعناقها بداريا واشتهر عند أهل دمشق خروج المساكر من مصر لقتال التتر
 فأوقعوا بالنصارى وكانوا قد استطالوا على المسلمين بدق النواقيس وادخال الحمر الى
 الجامع فنهبهم المسلمون في سابع عشرين رمضان من هذه السنة وأخربوا كنيسة مريم
 وكانت كنيسة عظيمة وكانت كنيسة مريم في جانب دمشق الذي فتحه خالد بن الوليد
 بالسيف فبقيت بيد المسلمين وكان ملاصق الجامع كنيسة وهي من الجانب الذي فتحه أبو

عبدة بالامان فبقيت بأيدي النصارى فلما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة خرب الكنيسة الملاصقة للجامع واطافها اليه ولم يموض النصارى عنها فلما ولي عمر بن عبدالعزيز عوضهم بكنيسة مريم عن تلك الكنيسة فعمروها عمارة عظيمة وبقيت كذلك حتى خربها المسلمون في التاريخ المذكور

(ذكر هزيمة التتر وقتل كتبغا)

(وفي هذه السنة) أعق سنة ثمان وخمسين وستمائة كانت هزيمة التتر في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان على عين جالوت وكان من حديثها انه لما اجتمعت المساكر الاسلامية بمصر عزم الملك المظفر قطز بمملكه المعز أيبك على الخروج الى الشام لقتال التتر وسار من مصر بالمساكر الاسلامية وصحبته الملك المنصور محمد صاحب حماة وأخوه الملك الافضل على وكان مسيره من الديار المصرية في أوائل رمضان من هذه السنة ولما بلغ كتبغا وهو نائب هولاء على الشام ومقدم التتر مسير المساكر الاسلامية اليه صحبة الملك المظفر قطز جمع من في الشام من التتر وسار الي لقاء المسلمين وكان الملك السعيد صاحب الصبية ابن الملك العزيز ابن الملك العادل بن أيوب صحبة كتبغا وتقارب الجمعان في الغور والتقوا يوم الجمعة المذكور فانهزمت التتر هزيمة قبيحة وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبغا واستؤسرا بنه وتعلق من سلم من التتر برؤس الجبال وتبعتهم المسلمون فاقنوم وهرب من سلم منهم الى الشرق وجرد قطز ركن الدين بيبرس البندقدارى في أثرهم فتبعهم المسلمون الى أطراف البلاد الشرقية وكان أيضا في صحبة التتر الملك الاشرف موسى صاحب حمص ففارقهم وطلب الامان من المظفر قطز فأمنه ووصل اليه فآكرمه وأقره على ما يده وهو حمص ومضافاتها وأما الملك السعيد صاحب الصبية فاه أمسك أسيرا وأحضر بين يدي الملك المظفر قطز فأمر به فضربت عنقه بسبب ما كان المذكور قد اعتمده من السفك والفسق ولما انقضى أمر المصاف أحسن المظفر قطز الى الملك المنصور صاحب حماة وأقره على حماة وبارين وأعاد اليه المعرة وكانت في أيدي الحليين من حين استولوا عليها في سنة خمس وثلاثين وستائة وأخذ سلمية منه وأعطاه أمير العرب وأتم الملك المظفر السير بالمساكر وصحبته الملك المنصور صاحب حماة حتى دخل دمشق وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم فان القلوب كانت قد يشتت من النصر على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام ولأنهم ما قصدوا أقبليا الا فتحوه ولا عسكرا الى هزموه فابتهجت الرعايا بالنصرة عليهم وبقدوم الملك المظفر قطز الى الشام وفي يوم دخوله دمشق أمر بشنق جماعة من المنتسبين الى التتر فشنقوا وكان من جلنهم حسين الكردي طيردار الملك الناصر يوسف وهو الذي أوقع الملك الناصر في أيدي التتر

وفي هذه النسرة وقدم قطز الى الشام يقول بعض الشعراء

هلك الكفر في الشام جميعا واستجد الاسلام بعد دحوضه
بالمليك المظفر الملك الار وع سيف الاسلام عندنهوضه
ملك جاءنا به - زم وحزم فاعتزنا بسمره وببيضه
أوجب الله شكر ذاك علينا دائما مثل واجبات فروضه

ثم أعطى الملك المظفر قطز صاحب حماة الملك المنصور الدستور فقدم الملك المنصور قدامه مملوكه ونائبه مبارز الدين أقوش المنصور الى حماة ثم سار الملك المنصور وأخوه الملك الافضل ووصلا الى حماة ولما استقر الملك المنصور بحماة قبض على جماعة كانوا مع التتر واعتقلهم وهنا الشيخ شرف الدين شيخ الشيوخ المنصور بهذا النصر العظيم وبعود المعرة بقعيدة منها

رعت العدى فضمت تل عروشها ولقيتها فأخذت تل جيوشها
نازلت أملاك التتار فأنزلت عن فحلها قسرا وعن أكديشها
ففسدا سيفك في رقاب كاتها حصد المناجل في يبيس حشيشها
فقت الملوك ببذل ما تحويه اذ حتمت خزائنها على منقوشها

ومنها

وطويت عن مصر فسيح مراحل ماين بركتها وبين عريشها
حتى حفظت على العباد بلادها من رومها الاقصى الى أحبوشها
فرشت حماة لوطي بملك خدها فوطئت عين الشمس من مفروشها
وضربت سكتها التي أخلصتها عما يشوب التقدم من مغشوشها
وكذا المعرة اذ ملكت قيادها دهشت سرورا سار في مدهوشها
طربت برجمتها اليك كأنما سكرت بجمرة حاسها أو حيشها
لازلت تنعش بالنوال فقيرها وتنال أقصى الاجر من منعوشها

وكان خسرو شاه قد سافر من حماة الى جهة الشرق لما بلغه كسرة التتر ثم جهز الملك المظفر قطز عسكرا الى حلب لحفظها ورتب أيضا شمس الدين أقوش البرلى العزيزي أميرا بالسواحل وغزة ورتب معه جماعة من العزيزية وكان البرلى المذكور من ممالك الملك العزيز محمد صاحب حلب وسار في جهة العزيزية مع ولده الملك الناصر يوسف الى قتال المصريين وخامر البرلى وجماعة من العزيزية على ابن أستاذهم الملك الناصر وصاروا مع أيك التركاني صاحب مصر ثم انهم قعدوا اغتيال المعز أيك التركاني المذكور وعلم بهم فقبض على بعضهم وهرب بعضهم وكان البرلى المذكور من جملة من سلم وهرب الى الشام

فلمّا وصل الى الملك الناصر اعتقله بقلعة مجبلون فلما توجه الملك الناصر بالعسكر الى القور مندفا من بين يدي التتر أخرج البرلى من حبس مجبلون وطيب خاطره فلما هرب الملك الناصر من قطية دخل شمس الدين أقوش البرلى المذكور مع العساكر الى مصر فأحسن اليه الملك المظفر قطز وولاه الآن السواحل وغزة فلما استقر بدمشق على ما ذكرناه وكان مقر البرلى لما تولى هذه الاعمال بنابلس تارة وبيت جبرين أخرى ثم ان الملك المظفر قطز فوض نيابة السلطنة بدمشق الى الامير علم الدين سنجر الحلبي وهو الذي كان اتابكا لعلي بن الممزر أيك وفوض نيابة السلطنة بحلب الى الملك السعيد بن بدر الدين لولو صاحب الموصل وكان المذكور قد وصل الى الملك الناصر يوسف صاحب الشام ودخل مع العساكر الى مصر وصار مع المظفر قطز ففوض اليه نيابة السلطنة بحلب وكان سببه ان أخاه الملك الصالح بن لولو قد صار صاحب الموصل بعد أبيه فولاه حلب ليكاتبه أخوه بأخبار التتر ولما استقر السعيد المذكور في نيابة حلب سار سيرة رديثة وكان دأبه التحيل على أخذ مال الرعية

(ذكر عود الملك المظفر قطز الى جهة الديار المصرية ومقتله)

ولما قرر الملك المظفر قطز المعزى المذكور أمر الشام على ما شرحناه سار من دمشق الى جهة البلاد المصرية وكان قد اتفق بيبرس البندقدارى الصالحى مع انص مملوك نجم الدين الرومى الصالحى والهارونى وعلم الدين صفى أغلى على قتل المظفر قطز وساروا معه يتوقعون الفرصة فلما وصل قطز الى القصير بطرف الرمل وبينه وبين الصالحية مرحلة وقد سبق الدهليز والعسكر الى الصالحية فينا قطز يسير اذ قامت أرنب بين يديه فساق عليها وساق هؤلاء المذكورون معه فلما بعدوا تقدم اليه انص وشفع عند الملك المظفر قطز في انسان فأجابه الى ذلك فاهوى لتقبيل يده وقبض عليها فحمل عليه بيبرس البندقدارى الصالحى حينئذ وضربه بالسيف واجتمعوا عليه ورموه عن فرسه ثم قتلوه بالنشاب وذلك في سابع عشر ذى القعدة من هذه السنة فكانت مدة ملكه أحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وساق بيبرس وأولئك المذكورون بعد مقتله حتى وصلوا الى الدهليز بالصالحية

(ذكر سلطنته بيبرس البندقدارى المذكور)

ولما وصل ركن الدين بيبرس المذكور هو والجماعة الذين قتلوا الملك المظفر قطز الى الدهليز كما ذكرناه وكان عند الدهليز نائب السلطنة فارس الدين اقطاعى المستعرب وهو الذى صار اتابكا لعلي بن الممزر أيك بعد الحلبي فلما تسلطن قطز أقره على نيابة السلطنة فلما وصل بيبرس البندقدارى مع الجماعة الذين قتلوا قطز الى الدهليز سألهم اقطاعى المستعرب المذكور وقال من قتله منكم فقال له بيبرس انا قال له اقطاعى ياخوند اجلس في

مرتبة السلطنة فجلس واستدعت المساكر لتحليف فحلفوا له في اليوم الذي قتل فيه قطز وهو سابع عشر ذي القعدة من هذه السنة أعني سنة ثمان وخمسين وسبعمائة واستقر يبرس في السلطنة وتلقب بالملك القاهر ركن الذين يبرس الصالحى ثم بعد ذلك غير لقبه عن الملك القاهر وتلقب بالملك الظاهر لانه بلغه ان القاهر لقب غير مبارك ما تلقب به أحد فطالت مدته وكان الملك الظاهر المذكور قد سأل من قطز النياية بحجاب فلم يجبه اليها ليكون ما قدره الله تعالى ولما حلف الناس للملك الظاهر المذكور بالصالحية ساق في جماعة من أصحابه وسبق العسكر الى قلعة الجبل ففتحت له ودخلها واستقرت قدمه في المملكة وكان قد زينت مصر والقاهرة لمقدم قطز فاستمرت الزينة لسلطنة يبرس المذكور وكان مقتل قطز وسلطنة يبرس في سابع عشر ذي القعدة من هذه السنة

﴿ ذكر إعادة عمارة قلعة دمشق ﴾

(وفي هذه السنة) في العشر الاخير من ذي القعدة شرع الامير علم الدين سنجر الحلبي نائب السلطنة بدمشق في عمارة قلعة دمشق وجمع لها الصناع وكبراء الدولة والناس وعملوا فيها حتى النساء أيضاً وكان عند الناس بذلك سرور عظيم

(ذكر سلطنة الحلبي بدمشق)

كان علم الدين سنجر الحلبي قد استنابه الملك المظفر قطز بدمشق على ما تقدم ذكره فلما جرى ما ذكرناه من قتل قطز وسلطنة الملك الظاهر جمع الحلبي الناس وحلفهم لنفسه بالسلطنة وذلك في العشر الاول من ذي الحجة من هذه السنة أعني سنة ثمان وخمسين وسبعمائة فأجابه الناس الى ذلك وحلفوا له ولم يتأخر عنه احد ولقب نفسه الملك المجاهد وخطب له بالسلطنة وضربت السكة باسمه وكاتب الملك المنصور صاحب حماة في ذلك فلم يجبه وقال صاحب حماة أنا مع من يملك الديار المصرية كأننا من كان

(ذكر قبض عسكر حلب على الملك السعيد ابن صاحب الموصل)

وعود التتر الى الشام

وكان الملك السعيد قد قرره قطز بحلب وحرد منه جماعة من العزيزية والناصرية وكان ردىء السيرة وقد أبغضه العسكر وبلغ الملك السعيد المذكور مسير التتر الى البيرة فجرد الى جهتهم جماعة قليلة من العسكر وقدم عليهم سابق الدين أمير مجلس الناصري فأشار عليه كبراء العزيزية والناصرية بان هذا ما هو مصلحة وان هؤلاء قليلون فيحصل الطمع بسببهم في البلاد فلم يلتفت الى ذلك وأصر على مسيرهم فسار سابق الدين أمير مجلس الناصري بمن معه حتى قاربوا البيرة فوقع عليهم التتر فهرب منهم ودخل البيرة بعد ان قتل غالب من كان

معه فازداد غيظ الامراء على الملك السعيد بسبب ذلك فاجتمعوا وقبضوا عليه ونهبوا وطاقه وكان قد برز الى باب الى المعروف بباب الله ولما استولوا على خزائنه لم يجدوا فيها مالا طائلا فهددوه بالمذاب ان لم يقر لهم بماله فقبض من تحت اشجار حائط دار بيايلى جملة من المال قيل كانت خمسين ألف دينار مصرية ففرقت في الامراء وحمل الملك السعيد المذكور الى الشفر وبكاس معتقلا ثم لما اندفع العسكر من بين يدي التتر على ماسنذ كره افرجوا عنه ولما جرى ذلك اتفقت العزيزية والناصرية وقدموا عليهم الامير حسام الدين الجوكندار العزيزي ثم سارت التتر الى حلب فاندفع حسام الدين الجوكندار والعسكر الذين معه بين أيديهم الى جهة حماة ووصل التتر الى حلب في أواخر هذه السنة أعنى سنة ثمان وخمسين وستائة وملكوها وأخرجوا أهلها الى قرينيا واسمها مقر الانبياء فسامها العامة قرينيا ولما اجتمع المسلمون بقرينيا بذل التتر فيهم السيف فاقنوا غالبهم وسلم القليل منهم ووصل حسام الدين الجوكندار ومن موه الى حماة فضيفهم الملك المنصور محمد صاحب حماة وهو مستشعر خائف من غدرهم ثم رحلوا من حماة الى حمص فلما قارب التتر حماة خرج منها الملك المنصور صاحبها وصحبته أخوه الملك الافضل على والامير مبارز الدين وباقي العسكر واجتمعوا بحمص مع باقي العساكر الى ان خرجت هذه السنة (ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستائة)

(ذكر كسرة التتر على حمص)

وفي يوم الجمعة خامس المحرم من هذه السنة كانت كسرة التتر على حمص وكان من حديثها ان التتر لما قدموا في آخر السنة الماضية الى الشام اندفعت العزيزية والناصرية من بين أيديهم وكذلك الملك المنصور صاحب حماة ووصلوا الى حمص واجتمع بهم الملك الاشرف صاحب حمص ووقع اتفاقهم على ملتي التتر وسارت التتر اليهم والتقوا بظاهر حمص في نهار الجمعة المذكور وكان التتر أكثر من المسلمين بكثير ففتح الله تعالى على المسلمين بالنصر وولى التتر منهزمين وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون منهم كيف شاؤا ووصل الملك المنصور الى حماة بعد هذه الوقعة وانضم من سلم من التتر الى باقى جماعتهم وكانوا نازلين قرب سلمية واجتمعوا ونزلوا على حماة وبها صاحبها الملك المنصور وأخوه الملك الافضل والعسكر وأقام التتر على حماة يوما واحدا ثم رحلوا عن حماة وأراد الملك المنصور بعد رحيل التتر المسير الى دمشق فنعمه العامة من ذلك حتى استوثقوا منه انه يعود اليهم عن قريب فسافر هو وأخوه الملك الافضل في جماعة قليلة وبقي الطواشى مرشد في باقى العسكر بحماة ووصل المنصور بمن معه الى دمشق وكذلك توجه الملك الاشرف صاحب حمص الى دمشق وأما حسام الدين الجوكندار العزيزي فتوجه أيضاً بمن في صحبته ولم

يدخل دمشق ونزل بالمرج ثم سار الى مصر وأقام صاحب حماة وصاحب حمص بدمشق في دورهما والحاكم بها يومئذ سنجر الحلبي الملقب بالسلطان الملك المجاهد وقد اضطرب أمره ولذلك أقام صاحب حماة وصاحب حمص بدمشق ولم يدخلوا في طاعته لضعفه وتلاشى أمره وأما التتر فساروا عن حماة الى قامية وكان قد وصل الى قامية سيف الدين الدنبلي الاشرفي ومعه جماعة فأقام بقلمة قامية وبقي يغير على التتر فرحلوا عن قامية وتوجهوا الى الشرق

(ذكر القبض على سنجر الحلبي الملقب بالملك المجاهد)

(وفي هذه السنة) جهز الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر عسكريا مع علاء الدين البندقدار وهو أستاذ الملك الظاهر لقتال علم الدين سنجر الحلبي المستولى على دمشق فوصلوا الى دمشق في ثالث عشر صفر من هذه السنة ولما وصل عسكري مصر الى دمشق خرج اليهم الحلبي لقتالهم وكان صاحب حماة وصاحب حمص مقيمين بدمشق لم يخرجوا مع الحلبي لقتالهم ولأطاعاه لا اضطراب أمر الحلبي واقتتل معهم بظاهر دمشق في ثالث عشر صفر من هذه السنة أعنى سنة تسع وخمسين وسبعمائة فولى الحلبي وأصحابه منهزمين ودخل الى قلعة دمشق الى ان جنه الليل فهرب من قلعة دمشق الى جهة بعلبك فبعه العسكر وقبضوا عليه وحمل الى الديار المصرية فاعتقل ثم أطلق واستقرت دمشق في ملك الملك الظاهر بيبرس وأقيمت له الخطبة بها وبغيرها من الشام مثل حماة وحلب وحمص وغيرها واستقر ايدكين البندقدار الصالحى في دمشق لتدبير أمورها ولما استقر الحال على ذلك رحل الملك المنصور صاحب حماة والاشرف صاحب حمص وعادا الى بلادهما واستقرا بها

* (ذكر خروج البرلى عن طاعة الملك الظاهر بيبرس واستيلائه على حلب) *

(وفي هذه السنة) بعد استقرار علاء الدين ايدكين البندقدار في دمشق ورد عليه مرسوم الملك الظاهر بيبرس بالقبض على بهاء الدين بغدى الاشرفي وعلى شمس الدين أقوش البرلى وغيرهما من العزيزية والناصرية وبقي علاء الدين ايدكين متوقفا ذلك فتوجه بغدى الى علاء الدين ايدكين فحال دخوله عليه قبض على بغدى المذكور فاجتمعت العزيزية والناصرية الى أقوش البرلى وخرجوا من دمشق ليلا على حية ونزلوا بالمرج وكان أقوش البرلى قد ولاء المظفر قطز غزة والسواحل على ما قدمنا ذكره فلما جهز الملك الظاهر أستاذه البندقدار الى قتال الحلبي أرسل الى البرلى وأمره أن ينضم اليه فسار البرلى مع البندقدار وأقام بدمشق فلما قبض على بغدى خرج البرلى الى المرج وأرسل علاء الدين

ايدكين البندقدارى الى البرلى يطيب قلبه ويخلف له فلم يلتفت الى ذلك وسار البرلى الى حمص وطلب من صاحبها الاشرف موسى أن يوافقه على العصيان فلم يجبه الى ذلك ثم توجه الى حماة وأرسل يقول للملك المنصور صاحب حماة انه لم يبق من البيت الايوبى غيرك وقم لتصير معك وتملكك البلاد فلم يلتفت الملك المنصور الى ذلك ورده ردا قبيحا فاغتاز البرلى ونزل على حماة واحرق زرع بيدر العشر وسار الي شيزر ثم الى جهة حلب وكان علاء الدين ايدكين البندقدارما استقر بدمشق قد جهز عسكريا صحبة نحر الدين الحمصى للكشف عن البيرة فان التتر كانوا قد نازلوها فلما قدم البرلى الى حلب كان بها نحر الدين الحمصى المذكور فقال له البرلى نحن في طاعة الملك الظاهر فتمضى الى السلطان وتساله أن يتركنى ومن في صحبتي مقيمين بهذا الطرف وتكون تحت طاعته من غير أن يكلفنى وطىء بساطه فسار الحمصى الى جهة مصر ليؤدى هذه الرسالة فلما سار عن حلب تمكن البرلى واحتاط على ما في حلب من الحواصل واستبد بالامر وجمع العرب والتركان واستعد لقتال عسكري مصر ولما توجه نحر الدين الحمصى لذلك التقي في الرمل جمال الدين الحممدى الصالحى متوجها بمن معه من عسكري مصر لقتال البرلى وامسأكه فأرسل الحمصى عرف الملك الظاهر بما طلبه البرلى فأرسل الملك الظاهر ينكر على نحر الدين الحمصى المذكور ويأمره بالانضمام الى الحممدى والمسير الى قتال البرلى فعاد من وقته ثم رضى الملك الظاهر عن علم الدين سنجر الحلبي وجهزه وراء الحممدى في جمع من العسكري ثم أردفه بعز الدين الدمياطى في جمع آخر وسار الجميع الى جهة البرلى وساروا الى حلب وطرده عنها وانقضت السنة والامر على ذلك

(ذكر مقتل الملك الناصر يوسف)

(وفي هذه السنة) ورد الخبر بمقتل الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وعقد عزاء بجوامع دمشق في سابع جمادى الاولى من هذه السنة أعنى سنة تسع وخمسين وستمائة وصورة الحال في قتله انه لما وصل الى هولاءكو على ما قدمنا ذكره وعده برده الى ملكه وأقام عند هولاءكو مدة * فلما بلغ هولاءكو كسرة عسكريه بعين جالوت وقتل كتبغا ثم كسرة عسكريه على حمص ثانيا غضب من ذلك وأحضر الملك الناصر المذكور وأخاه الملك الظاهر غازى وقال له أنت قلت ان عسكري الشام في طاعتك فقدرت بي وقتلت المغل فقال الملك الناصر لو كنت بالشام ما ضرب أحد في وجه عسكريك بالسيف ومن يكون ببلاد توريز كيف يحكم على بلاد الشام فاستوفي هولاءكو لعنه الله ناصجا وضربه به فقال الملك الناصر ياخوند الصنعية فهاه أخوه الظاهر وقال قد حضرت ثم رماه

بفردة ثانية فقتله ثم أمر بضرب رقاب الباقيين فقتلوا الظاهر أخا الملك الناصر والملك
 الناصح ابن صاحب حصص والجماعة الذين كانوا معهم وابتقبوا الملك العزيز ابن الملك
 الناصر لانه كان صغيرا فبقي عندهم مدة طويلة وأحسنوا اليه ثم مات وكان قد تولى
 الملك الناصر المذكور مملكة حلب بعد موت أبيه العزيز وعمره سبع سنين وأقامت جدته
 ضيفة خاتون بنت الملك العادل بتدبير مملكته واستقل بالملك بعد وفاتها في سنة أربعين
 وستمائة وعمره ثلاث عشرة سنة ووزاد ملكه على ملك أبيه وجدته فانه ملك مثل حران والرها
 والرقه ورأس عين وما مع ذلك من البلاد وملك حصص ثم ملك دمشق وبعليك والاغوار
 والسواحل الى غزة وعظم شأنه وكسر عساكر مصر وخطب له بمصر وبقلمنة الجليل
 على الوجه الذي تقدم ذكره وكان قد غلب على الديار المصرية لولا هزيمته وقتل مدير
 دولته شمس الدين لولو الارمني ومخاضرة مماليك أبيه العزيزية وكان يذبح في مطبخه
 كل يوم أربعمائة رأس غنم وكانت سماطاته وتجمله في الغاية القصوى وكان حليما
 وتجاوز به الحلم الى حد أضر بالمملكة فانه لما أمنت قطاع الطريق في أيام مملكته من
 القتل والقطع تجاوزوا الحد في الفساد بالمملكة وانقطعت الطرق في أيامه وبقي لا يقدر
 المسافر على السفر من دمشق الى حماة وغيرها الا برفقة من المسكر وكثر طمع العرب
 والتركان في أيامه وكثرت الحرامية وكانوا يكبسون الدور ومع ذلك اذا حضر القاتل
 الى بين يدي الملك الناصر المذكور يقول الحى خير من الميت ويطلقه فأدى ذلك الى
 انقطاع الطرقات وانتشار الحرامية والمفسدين وكان على ذهن الناصر المذكور شيء كثير
 من الادب والشعر ويروى له أشعار كثيرة منها

فوالله لو قطعت قلبي تأسفا وجرعتنى كاسات دمعى دماصرقا
 لما زادنى الاهوى ومحبة ولا أخذت روحى سواك لهاالفا

وبنى بدمشق مدرسة قريب الجامع تعرف بالناصرية ووقف عليها وقفها جليلا وبني
 بالصالحية تربة غرم عليها جملا مستكثرة فدفن فيها كرمون وهو بعض أمراء التتر وكانت
 منية الملك الناصر ببلاد المعجم وكان مولد الناصر المذكور في سنة سبع وعشرين وستمائة
 فيكون عمره اثنتين وثلاثين سنة تقريبا

ذكر مبايعة شخص بالخلافة واثبات نسبه

(وفي هذه السنة) في رجب قدم الى مصر جماعة من العرب ومعهم شخص أسود
 اللون اسمه أحمد زعموا انه ابن الامام الظاهر بالله محمد ابن الامام الناصر وانه خرج
 من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر فعقد الملك الظاهر بيبرس مجلسا حضر فيه
 جماعة من الاكابر منهم الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام والقاضى تاج الدين

عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الاعز فشهد أولئك العرب ان هذا الشخص المذكور هو ابن الظاهر محمد ابن الامام الناصر فيكون عم المستعصم وأقام القاضي جماعة من الشهود اجتمعوا بأولئك العرب وسمعوا شهادتهم ثم شهدوا بالنسب بحكم الاستفاضة فثبت القاضي تاج الدين نسب أحمد المذكور ولقب المستعصم بالله أبا القاسم أحمد بن الظاهر بالله محمد وبايعه الملك الظاهر والناس بالخلافة واهتم الملك الظاهر بأمره وعمل له الدهاليز والجدارية وآلات الخلافة واستخدم له عسكريا وغرم على تجهيزه جملا طائلة قيل ان قدر ماغرمه عليه ألف ألف دينار وكانت العامة تلقب الخليفة المذكور بالزراييني وبرز الملك الظاهر والخليفة الاسود المذكور في رمضان من هذه السنة وتوجها الى دمشق وكان في كل منزلة يمضي الملك الظاهر الى دهليزه الخاص به ولما وصلا الى دمشق نزل الملك الظاهر بالقلمنة ونزل الخليفة في جبل الصالحية ونزل حول الخليفة أمراؤه وأجناده ثم جهز الخليفة بعسكره الى جهة بغداد طمعا في انه يستولي على بغداد ويجمع عليه الناس فسار الخليفة الاسود بعسكره من دمشق وركب الملك الظاهر وودعه ووصاه بالتأني في الامور ثم عاد الملك الظاهر الى دمشق من توديع الخليفة ثم سار الى الديار المصرية ودخلها في سابع عشر ذي الحجة من هذه السنة ووصلت اليه كتب الخليفة بالديار المصرية انه قد استولى على عانة والحديثة وولى عليهما وان كتب أهل العراق وصلت اليه يستحثونه على الوصول اليهم ثم قبل أن يصل الى بغداد وصلت اليه التتر وقتلوا الخليفة المذكور وقتلوا غالب أصحابه ونهبوا ما كان معه وجاءت الاخبار بذلك

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) لما سار الملك الظاهر الى الشام أمر القاضي شمس الدين بن خلكان فصار في صحبته من مصر الى الشام فمزل عن قضاء دمشق نجم الدين بن صدر الدين ابن سنا الدولة وكان قطز قد عزل الحى بن الزكى الذى ولاء هولاء كوا القضاء وولى ابن سنا الدولة فمزله الملك الظاهر في هذه السنة وولى القضاء شمس الدين بن خلكان (وفيها) قدم أولاد صاحب الموصل وهم الملك الصالح اسمعيل ثم أخوه الملك المجاهد اسحق صاحب جزيرة ابن عمر ثم أخوه الملك المظفر على صاحب سنجار أولاد لولو فاحسن الملك الظاهر اليهم وأعطاهم الاقطاعات الجبلية بالديار المصرية واستمروا في أرغد عيش في طول مدة الملك الظاهر (وفيها) في ربيع الآخر وردت الاخبار من ناحية عكا ان سبع جزائر في البحر خسف بها وبأهلها وبقي أهل عكا لابسين السواد وهم يكون ويستفرون من الذنوب بزعمهم (وفيها) جهز الملك الظاهر بيبرس

بدر الدين الايدمرى فتسلم الشوبك في سلخ ذى الحجة من هذه السنة أعق سنة تسع
 وخمسين وستمائة وأخذها من الملك المغيث صاحب الكرك (ثم دخلت سنة ستين
 وستمائة) في هذه السنة في نصف رجب وردت جماعة من مماليك الخليفة المستعصم
 البغاددة وكانوا قد تأخروا في العراق بعد استيلاء التتر على بغداد وقتل الخليفة وكان
 مقدمهم يقال له شمس الدين سلار فاحسن الملك الظاهر بيبرس ملتقاهم وعين لهم
 الاقطاعات بالديار المصرية (وفيها) في رجب أيضا وصل الى خدمة الملك الظاهر بيبرس
 بالديار المصرية عماد الدين بن مظفر الدين صاحب صهيون رسولا من أخيه سيف
 الدين صاحب صهيون وصحبه هدية جليلة فقبلها الملك الظاهر وأحسن اليه (وفيها)
 جهز الملك الظاهر عسكريا الى جاب وكان مقدمهم شمس الدين سنقر الرومي فامنت
 بلاد حلب وعادت الى الصلاح ثم تقدم الملك الظاهر بيبرس الى سنقر الرومي والى
 صاحب حماة الملك المنصور والى صاحب حمص الملك الاشرف موسى أن يسيروا الى
 انطاكية وبلادها للاغارة عليها فساروا اليها ونهبوا بلادها وضايقوها ثم عادوا فوجهت
 الساكر المصرية صحبة سنقر الرومي الى مصر ووصلوا اليها في تاسع عشرين رمضان
 من هذه السنة ومعهما ماينوف عن ثلثمائة أسير فقابلهم الملك الظاهر بالاحسان والانعام
 (وفيها) لما ضاقت على اقوش البرلى البلاد وأخذت منه حلب ولم يبق بيده غير
 البيرة دخل في طاعة الملك الظاهر وسار اليه فكتب الملك الظاهر الى اتنواب بالاحسان
 اليه وترتيب الاقامات له في الطرقات حتى وصل الى الديار المصرية في ثاني الحجة من
 هذه السنة أعق سنة ستين فتلقاه الملك الظاهر وبالغ في الاحسان اليه وأكثره العطاء
 فسأل اقوش البرلى من الملك الظاهر أن يقبل منه البيرة فلم يفعل وما زال يعاوده حتى
 قبلها وبقي اقوش البرلى العزيز المذكور مع الملك الظاهر الى أن تغير عليه وقبضه في
 رجب سنة احدى وستين وستمائة فكان آخر العهد به (وفيها) في ذى القعدة قبض
 الملك الظاهر على نائبه بدمشق وهو علاء الدين طيبرس الوزيري وكان قد تولى دمشق
 بعد مسير علاء الدين ايدكين البندقدارى عنها وسبب القبض عليه انه بلغ الملك الظاهر
 عنه أمور كرهها فارسل اليه عسكريا مع عز الدين الدمياطى وغيره من الامراء فلما
 وصلوا الى دمشق خرج طيبرس لتلقيهم فقبضوا عليه وقيده وأرسلوه الى مصر فحبسه
 الملك الظاهر واستمر الحاج طيبرس في الحبس سنة وشهرا وكانت مدة ولايته بدمشق
 سنة وشهرا أيضا وكان طيبرس المذكور ردى السيرة في أهل دمشق حتى نزع عنها
 جماعة كثيرة من ظلمه وحكم في دمشق بعد قبض طيبرس المذكور علاء الدين ايدغدى
 الحاج الركنى ثم استناب الملك الظاهر على دمشق الامير جمال الدين اقوش النحبي

الصالحى (وفيها) في يوم الخميس في أواخر ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة ستين وستمائة جلس الملك الظاهر مجلساً عاماً وأحضر شخصاً كان قد قدم الى الديار المصرية في سنة تسع وخمسين وستمائة من نسل بنى العباس يسمى أحمد بعد ان أثبت نسبه وبأيمه بالخلافة ولقب أحمد المذكور الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين * وقد اختلف في نسبه فالذى هو مشهور بمصر عند نسبة مصر انه أحمد بن حسن بن أبى بكر ابن الامير أبى على القبي ابن الامير حسن بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر وقد مر نسب المستظهر مع جملة خلفاء بنى العباس وأما عند الشرفاء العباسيين السلمانيين في درج نسبهم الثابت فقالوا هو أحمد بن أبى بكر على بن أبى بكر أحمد ابن الامام المسترشد الفضل ابن المستظهر * ولما أثبت الملك الظاهر نسب المذكور نزله في برج محترزاً عليه وأشرك له الدعاء في الخطبة لاغير ذلك (وفيها) جهز الملك المنصور صاحب حماة شيخ الشيوخ شرف الدين الانصارى رسولا الى الملك الظاهر ووصل شيخ الشيوخ المذكور فوجد الملك الظاهر عاتباً على صاحب حماة لاشتغاله عن مصالح المسلمين باللهو وأنكر الملك الظاهر على الشيخ شرف الدين ذلك ثم انصلح خاطره وحمله ماطيب به قلب صاحبه الملك المنصور ثم عاد الى حماة (وفيها) توفي الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقى الامام في مذهب الشافعى وله مصنفات جليلة في المذهب وكانت وفاته بمصر رحمه الله تعالى (وفيها) في ذى الحجة توفي صاحب كمال الدين عمر بن عبد العزيز المعروف بابن العديم انتهت اليه رياسة أصحاب أبى حنيفة وكان فاضلاً كبير القدر ألف تاريخ حلب وغيره من المصنفات وكان قد قدم الى مصر لما جفل الناس من التتر ثم عاد بعد خراب حلب اليها * فلما نظر ما فعله التتر من خراب حلب وقتل أهلها بعد تلك العمارة قال في ذلك قصيدة طويلة منها

هو الدهر ما تبنيه كفاك يهدم	وان رمت اوصافاً لديه فتظلم
أباد ملوك الفرس جمعا وقيصرا	وأصمت لدى فرسانها منه أسهم
وأفنى بنى أيوب مع كثر جمعهم	وما منهم الا ملك معظم
وملك بنى العباس زال ولم يدع	لهم أثرا من بعدهم وهم هم
واعتابهم أضحت تداس وعهدا	تباس بأفواه الملوك وتلم
وعن حلب ماشئت قل من عجائب	أحل بها يا صاح ان كنت تعلم

(ومنها)

فياللك من يوم شديد لغامه	وقد أصبحت فيه المساجد تهدم
وقد درست تلك المدارس وارتمت	مصاحفها فوق الترى وهى ضخم

وهي طويلة وآخرها

ولكنما لله في ذا مشيئة

فيفعل فينا ما يشاء ويحكم

(ثم دخلت سنة احدى وستين وستمائة)

ذكر مسير الملك الظاهر الى الشام

(في هذه السنة) في حادى عشر ربيع الآخر سار الملك الظاهر ببس من الديار المصرية الى الشام فلاقته والدة الملك المغيث عمر صاحب الكرك بغزة وتوثقت لابنها الملك المغيث من الملك الظاهر بالامان وأحسن اليها ثم توجهت الى الكرك وتوجه معها شرف الدين الجاكي المهتمدار يرسم حمل الاقامات الى الطرقات يرسم الملك المغيث ثم سار الملك الظاهر من غزة ووصل الى الطور في ثمانى عشر جمادى الاولى من هذه السنة ووصل اليه على الطور الاشرف موسى صاحب حصص في نصف الشهر المذكور فاحسن اليه الملك الظاهر وأكرمه

(ذكر حضور الملك المغيث صاحب الكرك وقلته

واستيلاء الملك الظاهر ببس على الكرك

(وفي هذه السنة) كان مقتل الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل أبى بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب الكرك وسببه انه كان في قلب الملك الظاهر ببس منه غليظ عظيم لامور كانت بينهما قيل ان المغيث المذكور أكره امرأة الملك الظاهر ببس لما قبض المغيث على البحرية وأرسلهم الى الناصر يوسف صاحب دمشق وهرب الملك الظاهر ببس المذكور وبقيت امرأته في الكرك والله أعلم بحقيقة ذلك وكان من حديث مقتله ان الملك الظاهر ببس مازال يجتهد على حضور المغيث المذكور وحلف لوالده على غزاة كما تقدم ذكره وكان عند المغيث شخص يسمى الامجد وكان يبعثه في الرستيلة الى الملك الظاهر فكان الظاهر يبالغ في اكرامه وتقريبه فاغتر الامجد بذلك وما زال على محبته الملك المغيث حتى أحضره الى الملك الظاهر حكى لى شرف الدين بن مزهر وكان ابن مزهر المذكور ناظر خزانة المغيث قال لما عزم المغيث على التوجه الى خدمة الملك الظاهر لم يكن قد بقي بنجزاته شئ من المال ولا القماش وكان لوالده حواصل بالبلاد فبعناها بأربعة وعشرين ألف درهم واشترينا باثنى عشر ألف درهم خلعا من دمشق وجعلنا في صناديق الخزانة الاثنى عشر الالف الاخرى ونزل المغيث من الكرك وأنا والامجد وجماعة من أصحابه معه في خدمته قال وشرعت البريدية تصل الى الملك المغيث في

كل يوم بمكاتبات الملك الظاهر ويرسل أصحابهم مثل غزلان ونحوها والمغيث يخلع عليهم حتى نفد ما كان بالحزنة من الخلع * ومن جملة ما كتب اليه في بعض المكاتبات المملوك ينشد في قدوم مولانا

خليلي هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من مولى تمشى الى عبد

قال وكان الخوف في قلب المغيث شديدا من الملك الظاهر * قال ابن مزهر المذكور ففأخني في شيء من ذلك بالليل فقلت له احلف الى انك لا تقول للامجد ما أقوله لك حتى أنصحك فخاف لي فقات له أخرج الساعة من تحت الحام وارك حجرتك التحيلة ولا يصبح لك الصباح الا وأنت قد وصلت الى الكرك قمصى فيه ولا تفكر بأحد قال ابن مزهر ففأخني وتحدث مع الامجد في شيء من ذلك فقال له الامجد هذا رأى ابن مزهر اياك من ذلك وسار المغيث حتى وصل الى بيسان فركب الملك الظاهر بمساكره والتقاء في يوم السبت السابع والعشرين من جمادى الاولى من هذه السنة فلما شاهد المغيث الملك الظاهر ترحل فتمه الملك الظاهر وأركبه وساق الى جانبه وقد تغير وجه الملك الظاهر فلما قارب الدهليز أفرد الملك المغيث عنه وأنزله في خيمة وقبض عليه وأرسله معتقلا الى مصر فكان آخر العهد به قيل انه حمل الى امرأة الملك الظاهر ببيرس بقلمة الجبل فاصرت جواربها فقتلته بالقباقيب ثم قبض الملك الظاهر على جميع أصحاب المغيث ومن جلتهم ابن مزهر المذكور ثم بعد ذلك أفرج عنهم انتهى كلام ابن مزهر * ولما التقى الملك الظاهر ببيرس الملك المغيث المذكور وقبض عليه أحضر الفقهاء والقضاة وأوقفهم على مكاتبات من التتر الى الملك المغيث أجوبة عما كتب اليهم به في اطماعهم في ملك مصر والشام وكتب بذلك مشروح وأثبت على الحكام وكان الملك المغيث المذكور ولد يقبل له الملك العزيز أعطاه الملك الظاهر اقطاعاً بديار مصر وأحسن اليه ثم جهز الملك الظاهر بدر الدين اليسرى الشمسى وعز الدين استاذ الدار الى الكرك فسلمها في يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة أعنى سنة احدى وستين وستمائة ثم سار الملك الظاهر ووصل الى الكرك ورتب أمورها ثم عاد الى الديار المصرية فوصل اليها في سابع عشر رجب من هذه السنة

ذكر الاغارة على عكا وغيرها

(وفي هذه السنة) لما كان الملك الظاهر نازلا على الطور أرسل عسكريا هدموا كنيسة الناصرة وهي من أكبر مواطن عبادات النصارى لان منها خرج دين النصرانية وأغاروا على عكا وبلادها فغنموا وعادوا ثم ركب الملك الظاهر بنفسه وجماعة اختارهم

وأغار ثانياً على عكا وبلادها وهدم برجاً كان خارج البلد وذلك عقيب اشارة عسكره
وهدم الكنيسة الناصرة

ذكر القبض على من يذكر

(وفيها) بعد وصول الملك الظاهر بيبرس الى مصر واستقراره في ملكه في رجب
قبض على الرشيدى ثم قبض في ثاني يوم على الدمياطى والبرلى * وقد تقدمت أخبار
البرلى المذكور

ذكر وفاة الاشرف صاحب حصص

(وفي هذه السنة) بعد عود الملك الاشرف صاحب حصص موسى ابن الملك المنصور
ابراهيم ابن الملك المجاهد شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذى من
خدمة الملك الظاهر بيبرس الى حصص مرض واشتد به المرض وتوفي الى رحمة الله
تعالى وأرسل الملك الظاهر وتسلم حصص في ذى القعدة من هذه السنة أعنى سنة احدى
وستين وستمائة وهذا الملك الاشرف موسى هو آخر من ملك حصص من بيت شيركوه
وقد تقدمت أخبار الاشرف موسى المذكور وأخذ الملك الناصر يوسف صاحب حلب
منه حصص بسبب تسليمه شيميس الملك الصالح أيوب صاحب مصر وانه يعوض عن
حصص تل باشر ثم أعاد هولاء كوه عليه حصص فبقيت في يده حتى توفي في أواخر هذه
السنة وانتقلت حصص الى مملكة الملك الظاهر بيبرس في ذى القعدة حسبما ذكر وكان
جملة من ملك حصص منهم خمسة ملوك أولهم شيركوه بن شاذى ملكه اياها نور الدين
الشهيد ثم ملكها من بعده ابنه ناصر الدين محمد بن شيركوه ثم ملكها بعده ابنه شيركوه
ابن محمد وتلقب بالملك المجاهد ثم ملكها بعده ابنه ابراهيم بن شيركوه وتلقب بالملك
المنصور ثم ملكها بعده ابنه موسى بن ابراهيم وتلقب بالملك الاشرف حتى توفي في
هذه السنة وانقرض بموته ملك المذكورين (ثم دخلت سنة اثنتين وستين وستمائة)
في هذه السنة قبض الاشكرى صاحب قسطنطينية على عز الدين كيكافوس بن كيكافوس
ابن كيكافوس صاحب بلد الروم وسببه ان عز الدين كيكافوس المذكور كان قد وقع بينه
وبين أخيه فاستظهر أخوه عليه فهرب كيكافوس وبقي أخوه ركن الدين قليج أرسلان
في سلطنة بلاد الروم ثم سار كيكافوس المذكور الى قسطنطينية فاحسن اليه الاشكرى
صاحب قسطنطينية والى من ماله من الامراء واستمروا كذلك مدة فمزمت الامراء
والجماعة الذين كانوا مع عز الدين المذكور على اغتيال الاشكرى وقتله والتغلب على
قسطنطينية وبلغ ذلك الاشكرى فقبض عليهم واعتقل عز الدين كيكافوس بن كيكافوس
في بعض القلاع وكحل الامراء والجماعة الذين كانوا عزموا على ذلك فاعمى عيونهم

وقد تقدم ذكر كيكوس المذكور وأخيه قليج أرسلان في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة (وفيها) في ثامن رمضان توفي الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الانصارى المعروف بشيخ الشيوخ بحماة وكان مولده في جمادى الاولى سنة ست وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى وكان ديناً فاضلاً متقدماً عند الملوك وله النثر البديع والنظم الفائق وكان غزير العقل عارفاً بتدبير المملكة فمن حسن تدبيره ان الملك الافضل على ابن الملك المظفر محمود لما ماتت والدته غازية خاتون بنت الملك الكامل رحمه الله تعالى حصل عند الملك الافضل المذكور استشعار من أخيه الملك المنصور محمد صاحب حماة فمزّم على أن ينتزع من حماة ويفارق أخاه الملك المنصور وأذن له أخوه الملك المنصور في ذلك فاجتمع الشيخ شرف الدين المذكور بالملك الافضل وعرفه ما يمتد منه من السلوك مع أخيه الملك المنصور ثم اجتمع بالملك المنصور وقبح عنده مفارقة أخيه وما برح بينهما حتى أزال ما كان في خواطرهما وصار للملك الافضل في خاطر أخيه الملك المنصور من المحبة والمكانة ما يفوت الوصف وكان ذلك من بركة شرف الدين المذكور وللشيخ شرف الدين المذكور أشعار فائقة قد تقدم ذكر بعضها وكان مرة مع الملك الناصر يوسف صاحب الشام بهمان فعمل الشيخ شرف الدين

أفدى حبيبا منذ واجهته عن وجه بدر أتم اغنائى

في وجهه خالان لولاها ما بت مفتونا بهمان

وأنشدهما للملك الناصر فاعجبا الى الغاية وجعل يردد انشادهما وقال لكتابه كمال الدين بن المعجمى هكذا تكون الفضيلة فقال ابن المعجمى ان التورية لا تستخدم هنا لان عمان مجرورة في النظم فلا تستخدم في التورية فقال الملك الناصر للشيخ شرف الدين مقاله فقال شرف الدين ان هذا جائز وهو أن يكون المثني في حالة الجر على صورة الرفع واستشهد شرف الدين بقول الشاعر

فاطرق اطراق الشجاع ولو رأى مسافرا لناباه الشجاع لصمما

واستشهد بغير ذلك فتحقق الملك الناصر

فضيلته (ثم دخلت سنة

ثلاث وستين وستمائة)

تم الجزء الثالث من تاريخ أبي الفداء

ويليه الجزء الرابع وأوله

ذكر فتوح قيسارية